

الْفَقْرُ

مَوْسُوْعَةُ اَسْتَدَالِ الْفَقْرِ اَوَّلُ اَرْبَعِ اَرْبَعِيْنَ

مِفْقَرُ الْفَقْرِ

الْمَجْلَدُ الْاَوَّلُ

حَدِيثُ الْكُفَيَّاءِ

اَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَظَمِيُّ

اَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكِيمِ بْنِ الشَّيْخِ اَبِي اَرْزِي

اَعْلَى الدَّرَجَاتِ



مِفْقَدُ النَّاسِ

المجلد الأول

حَدِيثُ الْكِسَاءِ

الْفَقْرُ

مَوْسُوْعَةُ اسْتَدْلَالِيَّةٌ فِي الْفَقْرِ اِسْلَامِيًّا

مِفْقَرُ الْفَقْرِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المجلد الأول

حَدِيثُ الْكِسَاءِ

رَبِّهِ اللّٰهُ الْعَظِيْمُ

اَلَا مَوْلَا السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ اَلْحَسْبِي الشَّيْرُزِي

اَعْلَى الدَّرَجَاتِ

باهتمام
الحسينية الكربلائية - اصفهان

اسم الكتاب: من فقه الزهراء عليها السلام (ج / ١)

المؤلف: آية الله العظمى الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمته الله

الناشر: رشيد

الطبعة: الاولى

سنة الطبع: ١٣٨٦ هـ ش / ١٤٢٨ هـ ق

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

ليتوغرافي: آل البيت عليهم السلام

المطبعة: شريعت

ردمك الدورة: ٧-٢٦-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨

ردمك الجزء الاول: ٢-٢٢-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨



طبع هذا الكتاب لثواب روح المرحوم المغفور له

خادم الحسين (ع)

الحاج رضا تربتي الكربلائي (ره)

في ايام ولادت فاطمة الزهراء عليها السلام

جمادى الثاني / ١٤٢٨

بأهتمام

الحسينية الكربلائية - اصفهان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثّة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، سيما المحدثّة العليمة ، التقية النقية ، الرضية المرضية ، الصديقة الكبرى ، فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» ، واللعة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين . . ان سيدة النساء فاطمة الزهراء «سلام الله عليها» مجهولة قدرأ ومهضومة حقأ، ولعلّ من مصاديق مجهولية قدرها عدم الإستفادة من كلماتها وخطبها في : «الفقه» وعدم ادراجها ضمن الأدلة أو المؤيدات التي يُعتمد عليها في استنباط الاحكام الشرعية ، ولذلك فقد استعنت بالباري جلّ وعلا في الكتابة حول ذلك^(١) رجاء المثوبة واداء لبعض الواجب والله الموفق .

والروايات المذكورة في هذا الكتاب بعضها صحيح من حيث السند

(١) لقد قام الإمام المؤلف «دام ظله» استخدام أسلوب «فقه الحديث» في تحليل كلماتها ﷺ حيث تناول كل كلمة كلمة بالبحث والدراسة ، وربما في العديد من جوانبها وقد ورد في الحديث الشريف : «أنتم أفقه الناس ما عرفتُم معاني كلامنا» [الإختصاص : ص ٨٨] ومن الواضح ان للكلمات دلالات جلية وأخرى خفية ، كما ان لها ظهراً وبطناً ويظهر ذلك بجلاء اكبر في آيات الذكر الحكيم وفي القواعد الفقهية .

وبعضها حسن أو موثق وبعضها الآخر وإن لم يطلق عليها ذلك اصطلاحاً - حسب ما جرى عليه علماء الدراية والرجال - إلا أن الغالب منها قد ورد في باب المستحبات والآداب مما يشمل حديث : «من بلغه . . .»^(١) وغيره .

بالإضافة إلى الشواهد الكثيرة المؤيدة لها في الآيات والروايات الأخرى ، وهي قرينة خارجية .

إضافة إلى قوة المضمون في بعضها - وهي قرينة داخلية - مما يجعل للأحكام المذكورة قوة ، بحيث تصلح للإستدلال بها أو لاعتبارها مؤيداً على الأقل .

كما أن بعضها يؤيد بنحو الملاكات^(٢) .

وقد ذكرنا في بعض المباحث^(٣) أن الحجية قد تكون من جهة تمامية السند بمقتضى بناء العقلاء والآيات والروايات ، ومنها : قوله (ع) : «لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا»^(٤) الحديث .

وقد تكون من جهة قوة المتن مما تكون دليلاً على الورود عنهم (ع) وإن لم يكن قوي السند لبناء العقلاء أيضاً ، ولشمول ملاك : «ثقاتنا» له^(٥) .

وقد تكون من جهة قوة المؤلف ، فيما كان بناء العقلاء الإعتماد على إسناده أو أفاد الإطمينان ، وذلك كالشريف الرضي «ره» ونحن نرى حجية نهج البلاغة وإن لم يتسلسل اسناد العديد من الخطب والكلمات الواردة فيها - لمجموعة من

(١) راجع وسائل الشيعة : ١ / ٥٩ ب ١٨ ح ١ ط اسلامية .

(٢) ربما يكون المراد تنقيح المناط ، أو كون الحكم المذكور صغرى لكبرى كلية ويكون المراد من الشواهد : المعاضد الموافق .

(٣) راجع «الأصول» و«الوصول إلى كفاية الأصول» للإمام المؤلف «دام ظله» .

(٤) وسائل الشيعة : ١٨ / ١٠٨ ب ١١ ح ٤٠ .

(٥) الملاك : «الوثاقة» كما تطرق له الإمام المؤلف «دام ظله» في «الأصول» .

القرائن الخارجية والداخلية - .

وقد تكون من جهة القرائن الخارجية^(١)، كما ذكر ذلك العديد من علماء الأصول.

وقد تكون من جهة الشهرة المضمونية لشمول قوله ﷺ: «خذ بما اشتهر بين اصحابك»^(٢) . . «فإن المجمع عليه لا ريب فيه»^(٣).

وربما يقال بالحجية أو يتعامل مع الحديث التعامل مع الحجة من حيث ترتيب الآثار أو بعضها - على تفصيل مذكور في الفقه والأصول - من جهة التسامح في أدلة السنن.

وقد كتبنا حول هذه القاعدة رسالة مستقلة أدرجناها في شرح الرسائل للشيخ الاعظم الانصاري «قده»^(٤).

أما سند حديث الكساء فقد رواه والذي «ره» في رسالة مخطوطة له، بسند صحيح متصل الاسناد وكل واحد منهم من الاعلام^(٥).

وكذلك سند خطبتها «عليها الصلاة والسلام»، فقد رُويت بما لا يدع للشك مجالاً، كما لا يخفى على من راجع ذلك في مظانه، وسيأتي إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى انطباق مضمونها مع الآيات والروايات ووجود القرائن الداخلية والخارجية.

(١) بعض ما سبق وسيأتي من مصاديق ذلك كما لا يخفى، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام أو قبله.

(٢) حيث يستفاد الشمول للشهرة الفتوائية أيضاً.

(٣) وسائل الشيعة : ١٨ / ٧٥ ب ٩ ح ١ .

(٤) راجع الوسائل إلى الرسائل : ج ٦ .

(٥) ولهذا الحديث أسناد كثيرة وسيأتي بعد المقدمة - أول الفصل الأول - الإشارة إلى بعض المصادر في الهامش.

لمحة عن عظمة الزهراء ع

ومن نافلة القول في المقام الإشارة إلى أننا لم نقم في هذا الكتاب إلا بالإلماع إلى هذا البعد الفقهي مع شيء موجز من الشرح والتوضيح، وإلا فهي «صلوات الله عليها» أعلى وأجلّ من أن أتمكن أنا الفقير العاجز عن ذكر بعض ما يليق بمن دارت على معرفتها القرون الأولى^(١) ومن هي قطب دائرة الإمكان، كما دل على ذلك قوله تعالى في حديث الكساء: «فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها».

فإنّ مكانتها وعظمتها «صلوات الله عليها» لا يمكن أن يستوعبها أي واحد من المخلوقات إلا النبي ﷺ والوصي ﷺ فإن الضيق لا يمكن أن يحيط بالواسع وأنتى للذرة أن تحيط بالجرة؟! وأنتى للمغرفة أن تستوعب المحيط؟!

كما قالوا بالنسبة إلى استحالة ادراكنا لله سبحانه لأن اللامتناهي يستحيل أن يحيط به المتناهي المحدود أو يدرك كنهه، ولا شك أنهم ﷺ ليسوا كالله سبحانه في اللاتناهي واللامحدودية إلا أنه لا شك أنهم ﷺ أوسع من الناس الضيقين بما قد يلغى النسبة بين الطرفين ويجعلها أبعد من نسبة القطرة إلى المحيطات، وقد سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها كما في الحديث الشريف^(٢).

فإنها «عليها الصلاة والسلام» أفضل من الأنبياء كافة^(٣) باستثناء الرسول ﷺ، كما دلت على ذلك أدلة متعددة، وسيأتي ذلك.

وهي «عليها الصلاة والسلام» حجة على كل أولادها الأئمة الطاهرين ﷺ

(١) إشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الصادق ع: هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها

دارت القرون الأولى. «أمالي الطوسي» ج ٢ ص ٢٨٠ ط قم.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٢١٨ ط نجف وص ٥٨١ ط طهران.

(٣) سيأتي بعد قليل الحديث عن أفضليتها ع.

- وهم افضل من الانبياء والملائكة كافة - ولذا قال الإمام العسكري عليه السلام: «وهي حجة علينا»^(١).

وقال الإمام الحجة «عجل الله تعالى فرجه الشريف»: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة»^(٢).

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام: «أمي خير مني»^(٣).

ولها «عليها السلام» الولاية التكوينية بتفويض الله سبحانه لها كتفويضه الولاية لهم عليهم السلام.

أما كونها عليها السلام كسائرهم عليهم السلام في حجية قولها وفعلها وتقريرها فمما قام عليه الإجماع، بالإضافة إلى الأدلة الثلاثة الأخرى، وسنذكر شيئاً من الأدلة على ما لهم عليهم السلام من الولاية التكوينية والتشريعية، كما نشير إلى بعض مصاديقها حسب ما ذكرناه في كتاب البيع من «الفقه»^(٤).

الولاية التكوينية والتشريعية...

فإن الصديقة الطاهرة عليها السلام كسائر المعصومين عليهم السلام لها الولاية التكوينية والتشريعية، وهي «صلوات الله عليها» وكذلك سائر أهل البيت عليهم السلام قد جعلهم الله الوسائط في خلق العالم والعلة الغائية له^(٥) كما أنها وانهم عليهم السلام سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها وبهم عليهم السلام، وقد صرح

(١) كتاب تفسير اطيّب البيان : ج ١٣ ص ٢٢٥ .

(٢) بحار الانوار : ج ٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت .

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ص ٢٣٢ ط بيروت .

(٤) موسوعة الفقه ، كتاب البيع ، الجزء الرابع .

(٥) سيأتي هذا البحث تفصيلاً، فراجع ما سيأتي من بحث «لأجلهم» و«محبتهم» وغيرهما .

بذلك في الأدلة الشرعية^(١) فلولاهم لساخت الأرض^(٢)، وكونهم ع سبب القيام كما ان الجاذبية والقوة الطاردة أو العناصر الأربعة سبب القيام المادي بحيث لولاها لساخت الأرض وانهدم العالم.

وكونهم ع واسطة الفيض كما في حديث الكساء^(٣) وغيره، وانه لولاهم لم يجر فيض الله سبحانه على هذا العالم القائم فرضاً.

كما انها «صلوات الله عليها» تعلم الغيب كسائر المعصومين ع حسب مشيئته سبحانه.

ولها ولهم ع الولاية التكوينية ومعناها: ان زمام العالم بأيديهم ع ومنهم فاطمة «سلام الله عليها» حسب جعل الله سبحانه، كما ان زمام الإمامة بيد عزرائيل، فلهم ع التصرف فيها ايجاداً وإعداماً، لكن من الواضح ان قلوبهم اوعية مشيئة الله تعالى^(٤)، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الافعال الاختيارية منحهم ع القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين ع، فإن كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء ع ثابتة للمعصومين ع أيضاً، لانهم أفضل منهم، وفاطمة «صلوات الله عليها» أفضل من جميع الأنبياء ع إلا الرسول ع:

لأنها «سلام الله عليها» بضعة منه^(٥)، لا البضعة المادية فقط، بل المعنوية

(١) سيأتي الحديث عن الأدلة على ذلك بعد صفحات، كما سينتظر ذلك في مطاوي الكتاب، وراجع العبقات والبحار - عند الحديث عنهم ع وكذا عن خلق العالم - وكفاية الموحدين ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ودلائل الصدق للمظفر إلى غيرها من الكتب الكلامية.

(٢) الكافي : ١ / ١٧٩ ح ١٠ .

(٣) الدعاء والزيارة ص ٨٠٥ وملحق مفاتيح الجنان وسائر المصادر المذكورة في هذا الكتاب.

(٤) بحار الانوار : ٣٣٦/٢٥، ح ١٦ ب ١٠ ط بيروت .

(٥) المستدرک : ١٤ / ١٨٢ ح ١٦٤٥٢ ب ٢١ . احقاق الحق : ١٠ / ٢٢٥ - ٢٢٨

ايضاً، إذا لا يترتب على المادية تلك الآثار التي رتبها الرسول ﷺ عليها، وإذا كان ﷺ افضل من جميع الانبياء فبضعته كذلك، فتأمل.

وهناك روايات عديدة يمكن القول بانها متواترة ولو اجمالاً، ومحتفة بالقرائن المعبرة تدل على افضليتها «صلوات الله عليها» من جميع الانبياء ﷺ إلا الرسول الاعظم ﷺ وهي على طوائف :

فمنها : ما دل على كون طاعتها مفروضة على جميع الخلائق والانبياء ﷺ.

فعن ابي جعفر الباقر ﷺ : «ولقد كانت ﷺ مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والانبياء والملائكة...» (١) ومنها : ما دل على اطلاع الله تعالى على الخلق واختيارهم.

فقد قال الرسول الاعظم ﷺ لعلي ﷺ : «ان الله عز وجل اشرف على الدنيا فاخترني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاخترك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاختر الائمة من وُلك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختر فاطمة على نساء العالمين» (٢).

مع ملاحظة وحدة السياق معه ﷺ مما يفيد عمومية الافضلية من كل الانبياء وبضميمة ما دل على انها ﷺ افضل من ابنائها ﷺ.

وفي كمال الدين : «... ثم اطلع إلى الارض اطلاعة ثالثة فاخترك وولديك...» (٣)

ونظيره قوله تعالى : «... يا محمد اني خلقتك وخلقْتُ علياً وفاطمة

(١) دلائل الإمامة للطبري : ص ٢٨ ط النجف الاشرف.

(٢) زين الفتى للحافظ العاصمي على ما في «فاطمة الزهراء ﷺ» للعلامة الاميني ص ٤٣ طبعة طهران.

(٣) كمال الدين : ص ٢٦٢ ح ١.

والحسن والحسين من سنخ نوري وعرضت ولايتكم على اهل السماوات والارضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين . . . » (١)

ووحدة السياق معه (عليها السلام) والإطلاق يفيد المطلوب .

ومنها : ما دل بالصراحة على الافضلية : مثلاً : قوله (عليها السلام) : « ما تكاملت النبوة لنبي حتى أقرّ بفضلها ومحبتها » (٢) فتأمل .

وكذلك الاحاديث الدالة على انه «لولا ان الله تعالى خلق امير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن لفاطمة (عليها السلام) كفو على وجه الارض آدم فمن دونه» وهي عديدة . (٣)

ومنها : ما يدل بالالتزام على الافضلية مثل :

١ : الكتابة على ساق العرش والجنة :

(١) هذا الحديث مذكور في الكثير من المصادر إذ هو مذكور في مقتضب الاثر وفي غيبة الطوسي وفي تاويل الآيات وفي مقتل الخوارزمي وفي فرائد السمطين وفي تفسير فرات ، فراجع عوالم العلوم تحقيق مؤسسة الإمام المهدي «عج» ص ١٣-١٤ .

(٢) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ، كما نقل الحديث القدسي حيث قال تعالى متحدثاً عن الزهراء (عليها السلام) : « هذا نوري . . . أفضله على جميع الانبياء . . . » ، والحديث مذكور في علل الشرائع ومصباح الانوار ايضاً راجع عوالم العلوم ص ٦١ . ونقله في ص ٢٨١ عن عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ، وجاء في لسان الميزان : « . . . لما خلق الله آدم وحواء تبخترا في الجنة وقالوا : من احسن منا ؟ فبينما هما كذلك إذ هما بصورة جارية لم ير مثلها ، لها نور شعشعاني يكاد يطفى الابصار ، قالوا : يا رب ما هذه ؟ قال : صورة فاطمة . . . » راجع بهجة قلب المصطفى ص ٧٦ .

(٣) راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٨٧ نقلاً عن البحار ج ٤٣ ص ١٠٧ و ١٠٨-١١٠ .

وقد نقل هذا الحديث في «عوالم العلوم ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي «عج» عن أمالي الصدوق وعلل الشرائع والخصال ودلائل الإمامة هكذا . . . » لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الارض آدم فمن دونه» العوالم : ص ٥٢ والتهذيب : ٧ / ٤٧٠ ح ٩٠ ب ٤١ .

فمثلاً: قال رسول الله ﷺ: «ليلة عرج بي إلى السماء رأيتُ على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، علي باغضهم لعنة الله»^(١)

وقال ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بالفِي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يؤمروا بالسجود إلا لاجلنا...»^(٢)

وقال ﷺ: «لما خلق الله إبراهيم كشف عن بصره فنظر في جانب العرش نوراً فقال: إلهي وسيدي ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم هذا نور محمد صفوتي، قال: إلهي وسيدي واري نوراً إلى جانبه؟ قال: يا إبراهيم هذا نور علي ناصر ديني، قال: إلهي وسيدي واري نوراً ثالثاً يلي النورين؟ قال: يا إبراهيم هذا نور فاطمة تلي أباهما وبعليها...»^(٣)

ب: والخليفة قبل آدم ﷺ^(٤):

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «خلق نور فاطمة قبل أن تخلق الأرض والسماء... خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق

(١) تاريخ بغداد : ٢٥٩/١ نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٢٣ .

(٢) تاويل الآيات : ٥٠٩/٢ .

(٣) الاربعون لابن أبي الفوارس نقلاً عن العوالم : ص ١٧-١٨ ، وما شاكل ذلك من الاحاديث كثير، فراجع كشف الغمة : ٤٥٦/١ ومقتضب الاثر وغيبة الطوسي وتاويل الآيات ومقتل الخوارزمي و... ويمكن مراجعة تمام الحديث باسناده في تلك الكتب عبر مراجعة العوالم ص ١٣ - ١٤ ونظيره في علل الشرائع ودلائل الإمامة [العوالم : ص ١٩] .

(٤) راجع مثلاً: البحار ج ١٥ ص ١٠ ورواية أخرى في مرآة العقول في مولد النبي ﷺ راجع الحديثين في كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٤٠ وص ٨٦ - ٨٧ .

آدم... (١)

ج : قصة سفينة نوح : حيث «... سمر المسامير كلها في السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء...» وكان المسمار الأول باسم الرسول ﷺ والثاني باسم الإمام علي ع والبقية باسم السيدة الزهراء ع والحسين ع... ثم قال ع : «ولولانا ما سارت السفينة بأهلها». (٢)

د : تعليم أسمائهم ع للأنبياء ع فمثلاً : ورد عن الإمام الحجة ع : ان زكريا ع سأل ربه أن يعلمه الاسماء الخمسة... الحديث. (٣)

وكذلك ما ورد عن الإمام الباقر ع في قوله تعالى : «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل» (٤) كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ذريتهم. (٥)

هـ : ما ورد في يوم القيامة ومقامها ع مثل قوله ع : «... والذي بعثني بالحق ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل إلا صعق فينادي إليها : ان يا جهنم يقول لك الجبار اسكني بعزي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت

(١) مغاني الاخبار نقلاً عن العوالم ص ٢٨ ونظيره في مصباح الانوار «العوالم ص ١٥-١٦» وفي فرائد السمطين نقلاً عن أبي هريرة : «لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينا العرش فإذا في النور خمسة اشباح سجّداً وركعاً...» «العوالم ص ١٦-١٧» ونظيره في كمال الدين «العوالم ص ٢٢» وفي الكافي «العوالم ص ٢٤» وغيرها.

(٢) عبات الانوار : مجلد حديث السفينة ، ولا يخفى ما له من الدلالة على ان بيركهم ع وعناية الله بهم نجي نوحاً ع واصحابه .

(٣) راجع البحار ج ٥٢ ص ٨٤ .

(٤) طه : ١١٥

(٥) المناقب لابن شهر آشوب .

محمد ﷺ إلى الجنان...»^(١)

و : وما أشبه ذلك مثل ما دل على أفضليتها ﷺ من الائمة ﷺ كقول الإمام الحسين ﷺ : «أمي خير مني»^(٢) وغير ذلك^(٣) .
وسائر الائمة ﷺ أيضاً كذلك ، فهم في الأفضلية سواء من هذه الجهة^(٤) ،
ويؤيده روايات مثل صلاة عيسى ﷺ خلف الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف»^(٥) .

الولاية التكوينية للأنبياء والصالحين

وقد دل القرآن العظيم على ثبوت الولاية التكوينية لعدة من الانبياء ﷺ وغيرهم ، فتثبت لها «صلوات الله عليها» ولسائر أهل البيت ﷺ بطريق أولى : كقصة آصف وعرش بلقيس^(٦) ، وسليمان ﷺ والريح والشياطين وغيرهم^(٧) ، وقصة الجبال والطير مع داود ﷺ^(٨) ، وقصة عيسى ﷺ وتكلمه في المهد^(٩) وإبرائه الاكمه والابرص وإحيائه الموتى وخلقه الطير^(١٠) ، إلى غيرها مما

(١) بحار الانوار : ٤٩١/٢٢ .

(٢) الإرشاد : ص ٢٣٢ ط بيروت .

(٣) راجع ص ١١ من هذا الكتاب .

(٤) أي : على جميع الانبياء ﷺ إلا الرسول ﷺ .

(٥) بحار الانوار : ٣٤٩/١٤ ح ١٢ ب ٢٤ .

(٦) النمل : ٤٠ .

(٧) ص : ٣٦ - ٣٧ .

(٨) الانبياء : ٧٩ .

(٩) مريم : ١٩ - ٢٠ .

(١٠) آل عمران : ٤٩ .

ورد في القرآن الكريم .

وقد وردت طائفة كبيرة منها في السنة المطهرة .

بل من أطاع الله تعالى إطاعة كاملة يكون قادراً على العديد من ذلك كرامةً، كسلمان الذي تكلم مع الميت، وزينب عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي أومأت إلى الناس - في سوق الكوفة - فهدأت الاصوات وسكنت الاجراس^(١) وغيرهما .

كما ان الانبياء والائمة «عليهم الصلاة والسلام» ياتون بها معجزة أو خرقاً للعادة ويطلق عليهما الخارق باعتبار خرقه سنن الكون الاولى، بأمر خالقه سبحانه .

وفي الحديث: «أطعني تكن مثلي» - على وزن حبر أو فرس - والاول معناه اسم المصدر والثاني المصدر من قبيل شبه وشبه وحسن وحسن . والمثل يطلق على (وينسب إلى) التابع وعلى المتبوع أو المشابه، مثل: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾^(٢) وقد يستعمل في المتبوع مثل: ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾^(٣)، فإن معناه الشبه تابعاً أو متبوعاً .

ومن الواضح : ان قدرتهم التكوينية ليست ذاتية من عند أنفسهم، بل هي منحة الله تعالى وعطاؤه لهم عليهم السلام، ولذا قال سبحانه: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً﴾^(٤) فقدرتهم في طول قدرة الله سبحانه وحاصلة بإرادته تعالى .

ولذا لا ينافي علمهم بالغيب حسب ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾^(٥) عدم

(١) بحار الانوار : ١٦٢/٤٥ ح ٧ ب ٢٩ .

(٢) النور : ٣٥ .

(٣) الزخرف : ٥٩ .

(٤) الاعراف : ١٨٨ .

(٥) الجن : ٢٧ .

علمهم الذاتي حسب قوله سبحانه : ﴿ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسَّنني السوء﴾^(١)، فهما كالشفاعة لا يملكها أحد بذاته ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾^(٢) وإن ملكها غير واحد فهو بأمره سبحانه ﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٣).

فقوله : «تكن مثلي» لا ينافي ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾^(٤) و﴿ليس كمثله شيء﴾ فـ«مثلي» طولي لا عرضي، وفي بعض الأمور بقريضة الوضوح، والذيل «أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء...»^(٥) فإن الخبر يعمم ويخصّص الموضوع، كالعكس.

أما ما سبق من كونهم ﷺ بما فيهم فاطمة «صلوات الله عليها» علة غائية للتكوين فلا أدلة ومؤيدات عديدة، منها: ما ورد من: «ما خلقت سماءاً مبنية... إلا لأجل هؤلاء الخمسة»^(٦) وفي حديث آخر: «لولاك لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»^(٧) ولعل الوجه في ذلك ان عدم خلق الكمال من جميع الحثيات مع خلق ما عداه دليل على عدم قدرة الخالق أو بخله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فلولا هم ﷺ كان الخلق على خلاف الحكمة.

(١) الاعراف : ١٨٨ .

(٢) الزمر : ٤٤ .

(٣) الانبياء : ٢٨ .

(٤) النحل : ٧٤ .

(٥) بحار الانوار : ٣٧٦/٩ ح ١٦ ب ٢٤ قريب منه .

(٦) بحار الانوار : ٢٣/٣٥ ح ١٥ ب ١ .

(٧) راجع : كشف اللآلي للعرندس على ما نقله السيد ميرجهاني في اللجنة العاصمة والعلامة

المرندي في ملتقى البحرين ص ١٤ ومستدرك سفينة البحار : ٢/٢٣٤ ونقله «عوالم العلوم»

ص ٢٦ عن مجمع النورين وستاتي احاديث أخرى .

العلة للحدوث والبقاء

وقد ذهب بعض العلماء إلى كونهم (عليهم السلام) العلة حدوثاً بمعنى ان الكون منهم ككون الوفاة من عزرائيل، وعن الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف»: «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا»^(١).

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧ ط طهران . وفي البحار أيضاً ج ٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت.

ذهب بعض علماء الكلام إلى ذلك مستنديين إلى أدلة وشواهد ومؤيدات كثيرة نشير إلى بعضها، قالوا: ومما يشهد على كونهم (عليهم السلام) وسائط الله سبحانه وتعالى في خلق العالم بعد وضوح امكان ذلك بل وضوح رجحانه بالنظر لحكمة الله تعالى كما فصل في محله، ما ورد في الحديث القدسي: «... وهي فاطمة، وبنورها ظهر الوجود من الفاتحة إلى الخاتمة» [الخصائص الفاطمية للمحقق الشهير الملا محمد باقر: ص ١] والظاهر ان المراد ظهورها من كتم العدم إلى نور الوجود والباء للسببية، فليتأمل.

كما قالت السيدة فاطمة (عليها السلام): «... ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه...» [السقيفة وفدك نقلاً عن شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢١١]. وإطلاق «وسيلته» يقتضي الأعم من الحدوث والبقاء، وهذا بناء على كون المراد بـ «الوسيلة» ما يتوصل به إلى الشيء - كما هو الأصل في معناها، راجع لسان العرب مادة «وسل» وباقي المعاني مشتقة منه - فهم (عليهم السلام) الوسيلة في الإيجاد وهم (عليهم السلام) الوسيلة في الإفاضة بعد الإيجاد.

ويقول العلامة المجلسي «قدس سره»: ورد في أخبار كثيرة: «لا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا» باب نفي الغلو عن النبي والائمة (عليهم السلام) [بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٤٧]. مع وضوح ان «رب» عَلم لله سبحانه وتعالى أي للواجب الوجود فلا يقال فيهم (عليهم السلام) انهم اله واجب الوجود بل هم ممكنوا الوجود، وبعد ذلك «قولوا فينا ما شئتم» ومن مصاديقه كونهم (عليهم السلام) الوسائط في الخلق خاصة مع ملاحظة «ولن تبلغوا» والامر واضح بملاحظة

→

العقد السلبي، والعقد الإيجابي للكلام وبملاحظة ان المتكلم معصوم حكيم ملتفت لدقائق الكلام، ومنها هذا الإطلاق الواسع والمؤكد.

وورد، كما اشار المصنف «دام ظله»: «نحن صنائع ربنا والناس بعد صنايعنا» [كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧، وفي البحار ايضاً ١٧٨/٥٣ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت] ووحدة النسق والسياق يشير إلى ان الناس مصنوعون لهم ﷺ كما انهم ﷺ مصنوعون لله تعالى، فالله سبحانه علة العلة.

وفي نهج البلاغة [الكتاب ٢٨]: «إننا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا» واللام في «لنا» للتقوية خاصة مع ورود «صنائعنا» الذي يشهد لذلك.

وفي البحار عن الخصال قال أمير المؤمنين ﷺ: «اياكم والغلو فينا قولوا انا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم» [بحار الانوار: ٢٧/٢٥ ونظيره ص ٢٧٤]. وكونهم ﷺ ياذن الله العلة الفاعلية من مصاديق الفضل كما لا يخفى.

وقوله ﷺ: «ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة لساخت بأهلها» [بحار الانوار: ١١٣/٥١ ح ٨ ب ٢]. وهذا ونظائره يدل على كون استمرار الإفاضة منوطاً بهم ﷺ.

وأما الروايات التي يتوهم منها نفي ذلك فهي إما محمولة على التقية أو ان المراد بها نفي كونهم ﷺ بالاستقلال وفي عرض الله سبحانه علة الخلائق لا نفي كونهم ﷺ في طول الله تعالى وبالإستناد إليه وبقدرته وإذنه: العلة للخلقة فلاحظ هذه الرواية مثلاً:

روي عن زرارة انه قال: قلت للصادق ﷺ: ان رجلاً يقول بالتفويض فقال: وما التفويض؟ قلت: ان الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً «صلوات الله عليهما» ففوض إليهما فخلقنا ورزقا واماتا واحياء؟ فقال: كذب عدو الله إذا انصرفت إليه فأتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، [بحار الانوار: ٣٤٣/٢٥ - ٣٤٤].

فلاحظ ان الإمام ﷺ نفى التفويض بمعنى اعتبارهم «شركاء لله خلقوا كخلقه» أي في عرض الله لا باستناد إليه... وهكذا سائر الاحاديث كما يظهر بالتتبع والتأمل، خاصة مع لحاظ ان اطلاق السؤال يشمل المقام «وهو كونهم ﷺ الخالقين في طول الله سبحانه» وهو محل الإبتلاء ايضاً بل لعل السؤال كان عن خصوص كونهم ﷺ العلة في طول الله بقرينة «خلق... ففوض...» ومع ذلك لم ينف الإمام ﷺ هذا الشق، بل نقل الحديث

←

واما كونهم (عليهم السلام) علته^(١) بقاءً : فلأن البقاء بحاجة إلى استمرار العلة، كالمصباح حيث ان دوامه بحاجة إلى الإتصال المستمر بالقوة الكهربائية، وهم بإرادة الله وفي طوله تعالى علة كما ان الكهرباء بإرادته تعالى وفي طوله علة للإنارة.

وقد قيل للصادق (عليه السلام) : الله بمقدوره أن يخلق الكون الباقي أبداً، في أقل

→

لنفي الشق الآخر وهو كونهم (عليهم السلام) شركاء لله تعالى وفي عرضه .
 كما ان التفويض بمعنى ان أمور الكون إليهم (عليهم السلام) بقاءً دون مدخلة لله تعالى اصلاً أيضاً باطل، ولهذا البحث مقام آخر تطرقنا له هنا إشارة فقط .
 ونموذج آخر يوضحه قوله (عليه السلام) : «انا بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى» [بحار الانوار : ٢٥/٢٦٦]. فهذا التشبيه دليل على المتبرئ منه إذ النصارى يرون فيه رباً وشريكاً لا مخلوقاً مستند القدرة إلى الله سبحانه، وهذا التقييد بـ«كبراءة» في العديد من الاحاديث شاهد كبير على المطلب .
 ولذا جاء في الرواية : «وانا لنبرا إلى الله عزوجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى قال الله عزوجل : ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة : ١١٦]، [بحار الانوار : ٢٥/٢٧٢].
 وكذلك قول صاحب الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف» : «... ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره...» [بحار الانوار : ٢٥/٢٦٦] مع وضوح علمهم (عليهم السلام) بالغيب بإذنه تعالى، وكذلك قدرتهم .
 ويوضحه أكثر قوله «عجل الله تعالى فرجه الشريف» : «اني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول انا نعلم الغيب او نشارك الله في ملكه...» [بحار الانوار : ٢٥/٢٦٦].
 فالمنفي هو مشاركة الله في ملكه وهو الند ومن هو في العرض، لا من يقوم بعمل استناداً إليه تعالى وبإفاضته وفي طوله، وما يوضح المطلب أكثر فأكثراً مراجعة الرواية المطولة المذكورة في ج ٢٥ ص ٢٧٣-٢٧٨ من البحار حيث ان الائمة كانوا يواجهون من يدعي ان علياً (عليه السلام) هو الله تعالى والعباد بالله ويردون عليه بكل شدة وعنف .

(١) اي : علة الكون .

من الساعة^(١) فلا عمل له سبحانه بعد ذلك، كما قالت اليهود ﴿يد الله مغلولة﴾^(٢) فاجاب - ما معناه - : بأن الكون قائم به سبحانه على سبيل الإستمرار، فالكون بالنسبة إليه كالصور الذهنية بالنسبة إلينا بحيث ان مجرد عدم الالتفات يوجب انعدامها، ولذا ورد: «لولا الحجة لساخت»^(٣) والمراد الإنعدام لا الإنهدام فليس من قبيل انهدام الكون إذا فقدت الجاذبية.

وفي دعاء رجب «فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الارحام وما تغيض»^(٤) إلى غير ذلك، مما دلّ على هذه المراتب الثلاثة في الولاية التكوينية.

الولاية التشريعية

وكذلك لفاطمة «صلوات الله عليها» الولاية التشريعية، إذ هم ﷺ علة التشريع، فإن علة الملازم علة للملازم الآخر وعلة الملزوم علة للزومه ايضاً، مثل كون علة وجود الكتب المتعددة علة وجود الزوجية أو الفردية التي هي وصف لتلك الكتب، إذ التشريع من لوازم التكوين - بالمعنى الاعم - إضافة إلى ما ورد من «انهم ﷺ نور واحد» وما ورد من «انّ فاطمة ﷺ حجة علينا»^(٥) وغير ذلك.

كما انهم ﷺ علة فعلية التشريع وبقاء التشريع حيث ان الدين باق بصورة أو أخرى، فلا يقال لدين موسى ﷺ - مثلاً - : لم يبق بقول مطلق، إذ جوهر الدين بقي بصورة أخرى في زمن عيسى ﷺ وزمن الرسول ﷺ. ﴿قولوا آمنا

(١) الساعة - لغة - الفترة من الزمن فتشمل حتى الدقيقة مثلاً.

(٢) المائدة : ٦٤ .

(٣) راجع بحار الانوار : ١١٣/٥١ ح ٨ ب ٢ . وبصائر الدرجات ص ٤٨٨ و ٤٨٩ .

(٤) بحار الانوار : ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨ .

(٥) راجع كتاب تفسير اطيّب البيان ٢٢٥/١٣ ، عن الإمام الحسن العسكري ﷺ .

بِاللَّهِ^(١).

الأمير بين الأمرين في التشريع

لا يقال : كيف يجمع بين تشريعهم (عليهم السلام) المستفاد من «ففوّض إليه دينه»^(٢) ومن «المفوّض إليه دين الله»^(٣) ومن «سنة النبي في قبال فرض الله» وبين ﴿ما ينطق عن الهوى﴾^(٤) المراد به الأعم من القول والفعل والتقرير، ولذا ورد ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم﴾^(٥) فإن كل مظهر نطق، مثل ﴿يسبح لله﴾^(٦) المراد به التكوين أو اللسان أو بُعد آخر لا تدركه عقولنا؟

لانه يقال : ان قلوبهم (عليهم السلام) أوعية مشيئة الله سبحانه، كما ان الله ينبت، لكن محل إنباته الأرض، أو الرحم، كما قال : ﴿وانبتناها نباتاً حسناً﴾^(٧). ثم ان الله سبحانه نسب الأمور التكوينية تارة إلى نفسه وأخرى إليهم وثالثة إليهما:

فمرة قال تعالى : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾^(٨).

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) التهذيب : ٣٧٩/٩ ح ٢٤ ب ٤٦ .

(٣) بحار الأنوار : ٨١/٩١ ح ٢ ب ٣٠ .

(٤) النجم : ٣ .

(٥) الجاثية : ٢٩ .

(٦) الجمعة : ١ .

(٧) آل عمران : ٢٧ .

(٨) الإسراء : ٤ . والقضاء يأتي بمعنى الاخبار والتقدير والحكم، وغير ذلك «راجع شرح التجريد بحث القضاء» وربما يكون المراد بالآية ان التقدير كان حسب السنن الكونية، افسادهم مرتين، فمن السنن الكونية ان التكبر يفسد وهذا تقدير كوني .

وتارة قال سبحانه : ﴿ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت﴾ .^(١)
 وقال تعالى الثالثة : ﴿رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾^(٢) ﴿وسيوطينا الله من
 فضله ورسوله﴾^(٣) - ماضياً ومستقبلاً - كما استدل بها الصادق عليه السلام على ابي
 حنيفة الذي قال : اشركت بالله .

فمعنى انهم عليه السلام المكونين بامر الله تعالى وبانهم مجرى إرادته وأوعية مشيئته ،
 مثل ان عزرائيل يميت بامر الله سبحانه وإرادته ، وإسرافيل ينفخ ، وجبرائيل ينزل
 الوحي ، وميكائيل يقسم الرزق ، وهكذا .

ومن المعلوم ان المعصومين عليه السلام جميعاً افضل من الملائكة ، ولذا سجدت
 الملائكة لآدم عليه السلام ، وهم عليه السلام افضل من آدم عليه السلام .

وكشاهد على ما نحن فيه ترى - في القرآن الكريم - يقول سبحانه تارة :
 ﴿الله يتوفى الانفس﴾ .^(٤)

وأخرى : ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ .^(٥)

وثالثة : ﴿توفته رسلنا﴾ .^(٦)

فالثالث^(٧) في طول الثاني الذي هو في طول الله سبحانه .

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) التوبة : ٥٩ .

(٣) التوبة : ٥٩ .

(٤) الزمر : ٤٢ .

(٥) السجدة : ١١ .

(٦) الانعام : ٦١ .

(٧) للروايات الدالة على ان ملك الموت اعواناً يقبضون الروح بامر الله .

من الأدلة على ولايتهم عليهم السلام

ثم انه يدلّ على ولايتها عليها السلام خصوصاً أو ضمن سائر المعصومين عليهم السلام أدلة كثيرة، وقد سبق أو سيأتي بعضها كدليل أو مؤيد، منها:

قوله عليه السلام: «فاطمة حجة الله علينا»^(١).

و: حديث الكساء، كما سيأتي بيان ذلك.

و: قوله عليه السلام: «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه»^(٢).

و: ما دل على تساويها عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام.

و: ما دل على الأفضلية من الأنبياء عليهم السلام مع قيام الأدلة على ثبوت الولاية لهم - على درجات -.

و: الأولوية القطعية من أمثال: «عبدني أطعني تكن مثلي».

و: قوله عليه السلام: «الخلق بعدُ صنائعنا».

و: «فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض».

و: «فوض إليه دينه».

و: «كونهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله».

و: صدور الخوارق منهم.

و: التوقيع المروي عن صاحب الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف» كما سيأتي^(٣) إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

(١) راجع كتاب تفسير اطيّب البيان ١٣/٢٢٥، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٢) التهذيب: ٧/٤٧٠ ح ٩ ب ٤١.

(٣) وسيأتي ذكر مصادر تلك الأحاديث تفصيلاً بإذنه تعالى.

كما يدل على ولايتهم ﷺ عموماً، قوله تعالى: ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين﴾^(١) بالإضافة إلى الآيات والروايات المتواترات، لما قد ثبت من انهم ﷺ نور واحد، وإن لاولهم ما لآخرهم، كما في الروايات، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) الآية، فهم ﷺ كالنبي ﷺ في مرتبة الولاية، وإن اختلفوا في مراتب الفضل، فبعد الرسول ﷺ علي ﷺ وبعده أو مقارناً له - كما يظهر من جملة من الاحاديث - فاطمة «سلام الله عليها»، ثم الحسن ﷺ، ثم الحسين ﷺ، ثم القائم ﷺ، ثم الائمة الثمانية قبله ﷺ كما يظهر من الاحاديث.

ماذا تعني الأولوية؟

وهل المراد الاولوية التكوينية؟^(٣) أو في صورة التدافع؟ أو أن له ﷺ سلطة فوق سلطة الإنسان، كما في سلطة الله تعالى على السيد المسلط على العبد؟ أو الحكومة؟ أو الثلاثة الاخيرة؟ أو الخمسة جميعاً، لجامع السلطوية فليس من استعمال اللفظ في اكثر من معنى؟

احتمالات ، وإن كان بعضها أقرب .

نعم إذا كان (اولى) بمعنى التفضيل العرفي يكون الثاني فقط، لكنه خلاف الظاهر حيث الإحتفاف بالقرائن الداخلية والخارجية، فتأمل .

(١) الاحزاب : ٦ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) بمعنى انه اولى لانه كوّنه .

سلطة الهدم والبناء

والظاهر ان لهم ﷺ ، سلطة الهدم كما لهم سلطة البناء ، من قبيل الزوج الذي له سلطة النكاح والطلاق ، أو الشركة حيث العقد الجائز للشريك ، كلاهما^(١) ، بخلاف مثل البيع اللازم حيث البناء فقط ، ومثل ثالث جعل الخيار بيده حيث له الهدم فقط .

فكما انه سبحانه له حق طلاق نساء الناس أو تزويجهن ، ولو بدون رغبتهم كذلك لهم ﷺ هذا الحق خلافةً منه تعالى ، لكن من الواضح انهم ﷺ في طوله سبحانه ، وانهم أوعية مشيئته كما تقدم ، وإن كانوا ﷺ لا يقومون بأعمال أمثال هذه القدرة عادةً ، كما سيأتي .

من معاني التفويض

ثم ان التفويض التكويني إليهم ﷺ هو بالمعنى الذي ذكرناه ، ودلّ عليه النص مثل « فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض »^(٢) والإجماع .
والتشريعي أيضاً كما ذكرناه ودلّ عليه « المفوض إليه دين الله »^(٣) و « ان الله أدب نبيه بأدابه ففوض إليه دينه »^(٤) إلى غيرها من الروايات المتواترة .
وفي قبالة تفويضان باطلان :

(١) أي : الإمضاء والفسخ .

(٢) بحار الانوار : ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨ ، ط بيروت .

(٣) بحار الانوار : ٢٠/٥٢ ح ١٤ ب ١٨ .

(٤) راجع بحار الانوار : ٢٣٤/٢٥ ح ١٤ .

الاول : عزل الله سبحانه عن اي شيء وانما يكون كمن اشغل مصنعا وفوضه إلى آخر واعتزل هو عن العمل اطلاقاً، وهذا يخالفه النص والإجماع، بل الكتاب والعقل ايضاً.

الثاني : تفويض الأمور وتركها وسائر الكون لا إلى احد بأن يكون الله سبحانه قد خلق الكون وهو يدور بنفسه كمن يشغل مصنعا ويتركه يدور بدون قيام احد مقامه، وهذا هو الذي قاله اليهود مما ذكره سبحانه : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا﴾^(١).

وهذا التفويض الباطل بالمعنى الثاني هو نقطة النقيض لفكرة الجبر التي تقول ان الله سبحانه يفعل كل شيء، بينما الاول بمعنى انه تعالى لا يفعل أي شيء، والحقيقة انه أمر بين الأمرين، فالآلات منه سبحانه والعمل من الإنسان ولذا يثاب ويعاقب.

عود على بدء

ولما سبق من ان الله سبحانه جعل بيدهم ﴿الكون﴾، تصدر منهم ﴿الحوارق﴾، معجزة وكرامة، بما انهم اوعية مشيئة الله تعالى، وكذلك ما سبق من انه تعالى فوض إليهم التشريع كما ورد «المفوض إليه دين الله». والاول يشمل الهدم والبناء كإماتة الإمام الرضا ﴿عليه السلام﴾ الساحر وإحياء عيسى ﴿عليه السلام﴾ الأموات، والتبديل والتحويل، قال سبحانه : ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾^(٢)، ومن سنة الله جعله تعالى التكوين والتشريع

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) فاطر : ٤٣ .

بأيديهم (ع)، وذلك كأن يجعل الشام عراقاً وبالعكس، وكان يجعل الرجل امرأة وبالعكس كما في قصة الإمام الحسن (ع) (١).

بين التصرف والصلاحية

ولم نجد تصرفهم (ع) في التشريع وإن كان لهم صلاحية ذلك، ولعل السبب في ذلك أن لا يتخذ الأحكام ذلك ذريعة للتصرف في الأحكام وبالرغم من ذلك ترى الأحكام قد تصرفوا في أحكام الله تعالى كما في المتعتين، وكما في صلاة التمام في عرفات وغير ذلك، فكيف بما إذا كانوا يرون الرسول (ص) يفعل ذلك، ولذا قالوا باستحباب البول في المزبلة، لكذب نسبوه إلى النبي (ص).

ومما تقدم ثبتت الولاية بمعانيها السبعة: كونهم (ع) للتكوين علة، وطريقاً كطريقة عزرائيل للموت، وانه قائم بهم، وكذلك التشريع: علة وطريقاً، وقياماً، بإضافة ان لهم (ع) الحكومة، حيث لا تلازم بين الأخير وسائر أقسام التشريع.

التوقيع الشريف

ويؤيد ذلك - بل يدل عليه - التوقيع المروي عن صاحب الزمان «أرواحنا فداه» في دعائه:

«أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا انهم عبادك وخلقتك، فتقها ورتقها بيدك، بدوها

(١) بحار الانوار : ٤٣/٣٢٧ ح ٦ ب ١٥ .

منك وعودها إليك، أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت»^(١) إلى آخر الدعاء .

و«مناة» : - على وزن دعاة جمع داعي - من منى الله تعالى فلاناً بخير، أي أعطاه له .

و«اذواد» : - جمع ذائد كأصحاب جمع صاحب - من ذاد بمعنى طرد، فالمعنى : من ينال خيراً أو يطرد عن شيء لا يكون إلا بهم ﷺ لا علة بل فعلية .
وملأ السماء والأرض : كالشمس تملأ الكون وإن كان جسمها الظاهر صغيراً .

ولعل سرّ ورود الزيارة الجامعة والدعائين لرجب عنهم ﷺ لبيان الطريق الوسط بين مادية الخلفاء الذين استهتروا فيها وإفراط المتصوفة القائلين بوحدة الوجود أو الوجود في تلك الازمنة المتأخرة .

ومن الواضح أن ظهور «لا إله إلا الله» بسببهم ﷺ، من جهة امتلاء العالم بالشرك الوثني أو المسيحي أو اليهودي، بل والعامّة القائلين بالتجسيم ونحوه، وقد قال علي عليه السلام : «فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزّاه»^(٢) الحديث .

ولا يخفى أن ما ذكرناه في الجملة يظهر من مئات الآيات والروايات مما ذكر في مباحث أصول الدين فراجع .

(١) بحار الأنوار : ٣٩٣/٩٥ ح ١ ب ٢٣ ط بيروت .

(٢) بحار الأنوار : ١٧٦/٥٤ ح ١٣٦ ب ١ .

لا فرق بين حياتهم ومماتهم عليهم السلام

ثم انهم عليهم السلام وهم اموات كالاحياء من جهة التكوين وجهة التشريع، لإطلاق الادلة إلا في الامر السابع الذي هو فعلية الحكومة.

ولا يقال : انهم عليهم السلام كيف يتصرفون في التكوين وهم اموات؟
لانه يقال :

أولاً : لا موت لهم عليهم السلام فإنهم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(١) وانما بدّلوا الملبس، بل كل حي إذا مات كان كذلك، فقد خلقهم للبقاء لا للفناء، وقد قال الرسول ﷺ - لمن اعترض عليه حينما خاطب قتلى المشركين يوم بدر - : «ما أنت بأسمع منهم»^(٢).

وفي الزيارة : «وانك حيّ»^(٣) إلى غير ذلك.

وثانياً : على فرض كونهم عليهم السلام أمواتاً، ما المانع من أن يُعطي الله سبحانه باليت الحياة، كالرزق والشفاء وغير ذلك؟! وفي القرآن الحكيم : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ﴾^(٤)، ومن المعلوم ان الماء بالمعنى المتعارف ليس حياً، فإن الله تعالى هو علّة العلل، ولا فرق عنده في الإحياء بسبب بين أن يكون حياً أو ميتاً.
وفي آية أخرى : ﴿يخرج الحيّ من الميت﴾^(٥)، وفي بقرة بني إسرائيل

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) بحار الانوار : ٢٠٧/٦ ب ٨ ، وفيه : انهم اسمع منكم .

(٣) بحار الانوار : ١٠٣/٩٩ ح ٢ ب ٧ . وفي ج ١٠١ ص ١٧١ ح ٤٢ عن كامل الزيارات :
اشهد أنّك حيّ شهيد تُرزق عند ربك . وفي ص ١٦٩ ح ١٥ عن الكامل : واشهد أنّك ومن قُتل معك شهداء احياء عند ربك تُرزقون .

(٤) الأنعام : ٩٥

(٥) الروم : ١٩ .

المذبوحة انها سببت حياة المقتول ، كما سبب اثر الرسول حياة عجل السامري ، وكذلك رش الماء على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فماتوا فعادوا احياء في قصة ارميا ، المذكورات في القرآن الكريم .

ولذا لم تكن قصة البقرة مثلاً مجرد سرد تاريخ ، بل لعبر : منها ان الله سبحانه يحيي الميت من الميت ، كما لم تكن آية النجوى^(١) مجرد قصة منسوخة ، بل لإفادة ان الناس - عادة - يقومون بأداء العبادات التي تتعلّق بالجوارح ، أما إذا وصل الامر إلى المال ظهر عمق ايمانهم ، فلا يقال : ما فائدة الآية المذكورة تتلى إلا فضيلة علي عليه السلام .

رفعة منزلتهم عليه السلام ذاتية

ثم إن رفعة المعصوم عليه السلام أمر جوهري كرفعة الذهب على التراب ، وقد دلّت على ذلك الادلة الاربعة .

والمراد بدلالة العقل : الدليل الإلّهي حيث يكشف أعمالهم عن ذلك ، واللمّي بالنسبة إلى الكبرى حيث ان القدرة المطلقة بدون محذور في الخلق يعطي خلق الارفع ايضاً ، نعم الإنطباق على الاشخاص الخاصين - أي الصغرى - نقلياً .

قال سبحانه : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾^(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾^(٤) إلى غيرها من

(١) المجادلة : ١٢ .

(٢) البقرة : ٢٥٣ .

(٣) الإسراء : ٢١ .

(٤) الرعد : ٤ .

الآيات والروايات المتواترة، وقد دلت على ذلك الكرامات الخاصة أيضاً.
ولا يستشكل بانه لو كان خلق زيداً او عمرواً مثلهم لكان يستحق
الدرجات الرفيعة، لوضوح انه يلزم في الحكمة خلق كل مهية ممكنة لا محذور في
خلقها، وإلا لزم العجز أو الجهل أو الخبث، تعالى عن ذلك علواً كبيراً^(١).
نعم ما في ذاته محذور عدم القابلية كخلق المتناقضين مثل أن يخلق شيئاً
واحداً نملةً وفيلًا، أو زوجاً وفرداً، أو وجوداً وعدماً أو ماهو خلاف المصلحة، لا
يكون الاول للإستحالة الذاتية، والثاني للإستحالة العرضية، إذ القبيح محال
على الحكيم تعالى.

مجالات ستة للرسول ﷺ

ثم ان القرآن الحكيم ذكر الأسوة برسول الله ﷺ^(٢)، وفي كلام
علي (عليه السلام) : «فتأسى متأس بنبيه وإلا فلا يأمن الهلكة»^(٣) وفي الزيارات قد ورد
التأسي بالائمة (عليه السلام)، فيجب التأسي بهم (عليهم السلام) - ومنهم فاطمة «صلوات الله
عليها» - لانهم (عليهم السلام) حجج الله تعالى، هذا فيما لم يكن من مناصبهم
ومختصاتهم.

والظاهر انه ﷺ تتوفّر لديه وفي حيطته أمور ستة :

١ - الاحكام الاولى قولاً أو فعلاً أو تقريراً كوجوب الصلاة وحرمة الخمر
إلى سائر الاحكام التكليفية والوضعية، والمراد بها أعم مما ذكر ومن مثل الصيام

(١) في مطاوي الكتاب اجوبة أخرى عديدة عن ذلك فليراجع .

(٢) الاحزاب : ٢١ .

(٣) راجع نهج البلاغة - الخطبة : ١٦٠ . خبر يريد به الطلب .

في الحضر والإفطار في السفر، فإن الثاني وإن كان ربما يقال له الحكم الثانوي باعتبار ان التشريع أولاً وبالذات هو الصيام، إلا انه أيضاً حكم أولي باعتبار ان المكلف مخير بينهما فهما موضوعان عرضيان.

٢- الاحكام الثانوية : وهي الطولية، مثل احكام الإضطرار ونحوها، والرسول ﷺ أسوة فيهما، كل في مورده، فقد اضطر الرسول ﷺ إلى دخول مكة بالسلاح، وإلى الصلاة جالساً في مرضه وهذا من مختصاتهما كما انه لم يعمل حسب «ما لا يعلمون»^(١) وما «أخطأوا» و«ما سهوا» و«ما نسوا» لانه منزّه عنها. اما انه هل عملَ حَسَبَ «ما اكرهوا» بنفسه الشريفة ﷺ؟ فلم أجده. والعامّة يقولون : بالسهو والنسيان فيه ﷺ لكن اجماع الشيعة على خلاف ذلك، وكذلك العقل والنقل.

٣- الأمور العامة : كشرائه ناقة، أو زواجه من ثيب عمرها كذا، وأكله وشربه كذا، فإنه لا يلزم الإقتداء به ههنا بحيث ان التارك لا يأمن الهلكة. نعم إن عمله يدل على الجواز، وقول بعض العامة القائلين باللزوم - ولذا قال بوجوب البول في المزبلة ولو في السنة مرة - باطل البناء والمبنى، ولذا لا يقولون بمثل ذلك في ما نسبوا إليه من حملة زوجته ونظرها إلى الطّبالين، وهذا أيضاً باطل عندنا مفترى عليه ﷺ.

٤- الحكوميات : التي هي عبارة عن تطبيقه ﷺ كبرى المصلحة على صغرى خارجية في شؤون الناس، كنصب أسامة أميراً، أو فلاناً والياً على البحرين، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يجب على علي ﷺ في زمان حكومته أن يفعل ذلك بعينه وإن فرض ان المنصوب بقي على العدالة.

٥ - التصرفات الولائية بالمعنى الاعم : فإنها وإن كانت جائزة له ﷺ خلافة

(١) الكافي : ٢/٤٦٣ ح ٢ .

عن الله سبحانه، إلا أنا لم نجد انه (عليه السلام) عمل بها كجعل حرّ عبداً أو عكسه، أو إبطال زواج أو جعله، أو إبطال ملك أو عكسه، إلى ما أشبه ذلك، وروي تهديد علي (عليه السلام) جعل الأحرار عبيداً في قصة طغيان الفرات، كما لم نجد مثل هذا التصرف عن الأئمة «عليهم الصلاة والسلام».

وما ذكره بعضهم من قصة سمرة^(١) وإن القلع كان بالولاية محل نظر، بل هو جائز حتى للفقهاء حيث يلجؤه الأمر إلى ذلك، كما بيناه في «الأصول» فإنه حكم قضائي في أمثال هذا النزاع.

٦ - الإختصاصات : كزواجه (عليه السلام) أكثر من أربع، وغيره، مما ذكره الشرائع والجواهر وغيرهما في باب النكاح، وهي خاصة به (عليه السلام) وإن كان ربما يوجد نحو منها في بعض المعصومين (عليهم السلام) مثل حرمة زواج علي (عليه السلام) امرأة مادامت فاطمة «سلام الله عليها» في بيته، مما يكون من مختصات فاطمة «سلام الله عليها»، وحرمة أن يخاطب غير علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين، مما كان من خصائصه، وما يظهر من اختصاص بعض الأحكام بالإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف» كما يظهر من بعض الأخبار.

شمولية علمهم وقدرتهم (عليهم السلام)

ثم انهم (عليهم السلام) ومنهم فاطمة «صلوات الله عليها» يحيطون علماً وقدرة - بإذن الله تعالى - بالكائنات جميعاً إلا ما استثنى^(٢)، وقد تقدّم في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث: «يعلمون ما كان وما يكون وما

(١) الكافي : ٢٩٢/٥ ح ٢ .

(٢) كالإسم الأعظم الـ ٧٣ مثلاً على رواية .

هو كائن» فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها، كما ان عزرائيل يحيط علماً وقدرةً في بُعد الإمامة بكل انسان بل بالملائكة ايضاً - كما ورد في الاحاديث - .

وقد قال الله سبحانه في ابراهيم عليه السلام : ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض﴾ . (١)

وفي يعقوب عليه السلام : ﴿ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف﴾ . (٢)

وهم عليهم السلام افضل من الملائكة والانبياء كما دلت على ذلك النصوص واجماعنا، وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

وفي رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى : ﴿انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ (٣) فإطلاق الشاهد (٤) وقرينية اطلاق الصفات الآخر يدل على العموم، ومن المعلوم ان الشاهد لا يكون إلا من حضر . وقال سبحانه : ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ . (٥)

ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك : ﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثاً﴾ (٦) .

وفي الروايات : «لو لا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات» (٧) فإذا كان لبني آدم هذه القدرة - لولا المنع - فأهل

(١) الانعام : ٧٥ .

(٢) يوسف : ٩٤ .

(٣) الاحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

(٤) وحذف المتعلق يفيد العموم .

(٥) النساء : ٤١ .

(٦) النساء : ٤٢ .

(٧) بحار الانوار : ١٦٣/٥٦ ب ٢٣ .

البيت عليه السلام أولى .

وتقول في تشهد الصلاة : «السلام عليك أيها النبي» وفيه ظهور الحضور، وفي الحديث : «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»^(١) حيث ان جماعة اتخذوهم عليهم السلام آلهة فنهوا عن ذلك، أما بعد الألوهية ففيهم عليهم السلام كل خير والتي منها عموم العلم والقدرة، وفي جملة من زيارات الحسين عليه السلام كما في بعض فقرات «الزيارة الجامعة» دلالة على ذلك .

وما ورد من إبلاغ الملك السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينافي ما تقدم، فهو كإبلاغ الملك صحيفة الأعمال إليه سبحانه، وسؤالهم عليهم السلام عن أشياء كسؤال الله في قوله تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾^(٢) إلى غير ذلك، مما لا يخفى على من راجع الروايات المتواترة .

بين العلم الغيبي والسلوك العملي

ثم الظاهر ان علمهم الغيبي لا يؤثر في سلوكهم العملي، فالحسن عليه السلام يشرب السم مع انه لم يكن مجبوراً، والرسول صلى الله عليه وآله مضغ اللحم المسموم الذي أثر فيه وأخيراً انتهى إلى الموت، وعلي عليه السلام كان يعلم بوقت موته، ومع ذلك خرج إلى المسجد مع إمكانه ان يستناب في صلاة الجماعة ذلك اليوم او يستصحب معه حراساً او يسجن ابن ملجم او يخرج من المسجد او يجعل عليه حراساً او ما أشبه ذلك .

(١) راجع بحار الانوار ٢٥/٢٤٧ ح ٢٥ ب ١٠ . وفيه : قد ورد في اخبار كثيرة : «لاتقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا» .

(٢) طه : ١٧ .

أما القول بأنهم ﷺ لا يعلمون عند نزول الموت، أو أنهم مضطرون، كما في دسّ هارون والمامون السم إلى الإمامين الكاظم والرضا ﷺ أو ما أشبه ذلك من الأجوبة فليست بمقنعة وخلاف ظاهر الأدلة.

بل لو كان العلم الغيبي يؤثر، لما بكى الرسول ﷺ لفقد ولده إبراهيم، ولما بكى الحسين ﷺ لفقد أولاده وأصحابه، مع أنهم ﷺ يعلمون بل ويرون انتقالهم إلى جنّات النعيم، وهل يبكي أحداً لذهاب ولده إلى مكان حسن جداً وهو يراه عين اليقين؟ بل لم يكن يعقوب ﷺ يبكي من فراق يوسف ﷺ، وهو يعلم أنه حيّ وسيّرجع إليه بعد مدة ملكاً.

لا يقال : حتى على فرض موت يوسف ﷺ فلماذا هذا البكاء من يعقوب ﷺ حتى ابيضّت عيناه وخيف عليه أن يكون حرّضاً أو يكون من الهالكين؟

لأنه يقال : كما أن العيون والشمس منبع الماء والنور كذلك جعل الله سبحانه للمعنويات منابع، فيعقوب ﷺ منبع العطوفة ليتأسّ الناس به ويستمدونها منه ولولا ذلك لم يكن لهم ما يتأسّون به.

فعلمهم الغيبي «صلوات الله عليهم أجمعين» لا يؤثر في عواطفهم الإنسانية، كي يكونوا أسوة، وإلا لقال الناس إن علياً ﷺ كان يخوض الحروب لعلمه بأنه لا يقتل ونحن لا نعلم ذلك.

بل ميثم التمار جاء إلى الكوفة وقد كان يتمكّن من الفرار من مكة إلى موضع لا يصله سلطان ابن زياد، إلى غيرها من الأمثلة الكثيرة.

وكذلك حال القدرة الغيبية إذ لا يستعملونها إلا حال الإعجاز، فلقد كانوا قادرين على رفع الضيق عنهم وعن المؤمنين، فهم ﷺ - ولا مناقشة في المثال - كوكيل الإنسان الغني لا يتصرف في أمواله إلا بإذن الموكل وإن كان قادراً على

التصرف، والله سبحانه العالم.

الأحكام المستفادة

وقد أشرنا إلى أن الأحكام التي ذكرت في الكتاب مما يستفاد من كلماتها «عليها السلام» إنما ذكرناها بإيجاز دون التطرق لمختلف الأدلة والاقوال وشبه ذلك، وإلا فالتفصيل يحتاج إلى مجلدات ضخمة، حسب قولهم (ع): «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»^(١) ولعل الله سبحانه يوفق بعض موالينا (ع) من الفقهاء كي يتشرف بتفصيل ذلك، وهو المستعان.

ولا يخفى أن الأحكام التي استفدناها قد تستخرج استناداً إلى الدلالة المطابقة أو التضمنية أو الإلزامية، وقد يتم استخراجها استناداً إلى دلالة الإقتضاء^(٢) وربما الدلالة العرفية أيضاً وإن لم تكن من الأربع المذكورة. وربما كان

(١) وسائل الشيعة : ٤١/١٨ ب ٦ ح ٥٢ . ونحوه في المعنى ح ٥١ : «إنما علينا أن نلقي عليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا».

(٢) ما يتوقف صحة أو صدق الكلام عليه وذلك نظير : ﴿وسئل القرية﴾ [يوسف : ٨٢] وكذا استكشاف أمير المؤمنين علي (ع) لادنى مدة الحمل من ضمّ قوله تعالى : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ [الاحقاف : ١٥] إلى قوله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين﴾ [البقرة : ٢٣٣] ومن ذلك : إلغاء الخصوصية حيث يكتشف بذلك أن ما ذكر أنما كان بعنوان المصداق وكصغرى لكبرى كلية للقطع أو الإطمينان بالملاك، وقد تكون الاستفادة والاستنباط مستندة إلى (مبنى) الكلام أو إلى مقدمات مطوية أو شرائط أو موانع كذلك، وإذا لاحظنا عصمتها (ع) وإحاطتها العلمية ظهر بوضوح أن كلامها بشتى دلالاته حجة، فلو توقف صحة الكلام أو صدقه مثلاً على مقدمة مطوية وإن كانت بعيدة كان ذلك دليلاً على حجيتها وصدقها وأمكن الاستناد إليها كذلك.

والقارئ الكريم سيرى أن المؤلف «دام ظله» قام بملاحظة شتى الجهات السابقة الذكر وربما يكون من ذلك أيضاً : استكشاف الإنشاء من الأخبار وبالعكس عبر بعض الدلالات السابقة.

الحكم أو العلم به منشأ لتعليل أو توضيح بعض كلماتها ﷺ. (١)
وقد استطرّدنا أحياناً إلى ذكر بعض الأمور الأخرى، بالإضافة إلى
الإعتقادات وفلسفة الأحكام، والأحكام الخمسة.
وهذا الكتاب يتطرق غالباً للحديث عمّا يستنبط من أقوالها ﷺ، أما فعلها
وتقريرها: فبحاجة إلى كتاب ضخم ويكفي أن نشير هنا إشارة عابرة إلى بعض
النماذج من فعلها وسيرتها ﷺ.

دروس من سيرتها ﷺ

ففي سيرة وحياة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» مواضع كثيرة للتعلم، إذا
تعلمها المسلمون، بل البشرية، سعدوا في الدنيا قبل الآخرة، وأسعدوا الآخرين.
نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:
زواجها الميمون، حيث زوجها الرسول ﷺ في أول بلوغها ﷺ. (٢)
وكذلك إذا زوجت البنات في أوائل البلوغ سعدن وانقطعت إلى حد بعيد
جذور الفساد في المجتمع، إذ معنى زواجهنّ في ذلك السن زواج الأولاد الذكور
أيضاً في سن البلوغ، فلا ترغب النفس أو تهتم بالحرام.
وقد رأينا جملة من العشائر في البلاد الإسلامية تجري على ذلك، وبذلك
تشذ الجريمة وتتضاءل أرقامها إلى ما يقارب الصفر، بخلاف ما لو لم يتبع هذا
المنهج حيث تتصاعد تصاعداً كبيراً، وذلك يؤدي إلى الأمراض والعقد النفسية
والتوترات العصبية وهدم العوائل وكثرة المشاكل إلى غيرها.

(١) اللف والنشر مرتب كما لا يخفى.

(٢) راجع عوالم العلوم ١١/ ٢٨٧ ب ٣ ح ٢ ط ٢، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي ﷺ.

كما ان في الجهاز البسيط لزواجها «صلوات الله عليها» اكبر الدرس لتخفيف المهور والقناعة بالميسور، وقد قال (عليه السلام) : «افضل نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً^(١) واقلهنّ مهراً^(٢)».

وقال (عليه السلام) : «القناعة مال لا ينفد»^(٣).

وعن علي (عليه السلام) : «لا كنز أغنى من القناعة»^(٤).

وذلك من أسرار السعادة وتحرك الشباب بشكل أكثر جدية نحو الامام فإن الزوجين يتعاونان على تقديم الحياة - بعد الزواج - إلى الامام، وربما يكون ذلك مما يوضح بعض السر في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥) بينما غلاء المهور وتعقيد مقدمات وبرامج الزواج وزيادة التشريفات يوجب التأخير في الزواج أو يؤدي بالكثير إلى البقاء عزاباً وعوانس مدى الحياة بما يستلزم ذلك من أضرار وخطار.

وكذلك ادارتها «صلوات الله عليها» لشؤون البيت، حيث فوّضت إليها الأمور الداخلية، والخارجية إلى علي (عليه السلام) فإنها توجب الراحة النفسية والصحة الجسدية، إذ إنّ الاعمال الشاقة - وإن كانت مقرونة بالتعب والنصب - توجب الصحة والسلامة، بينما الراحة والدعة تؤديان إلى مختلف الامراض.

ومما يؤيد هذا المعنى هو ان التاريخ - حسب الإستقراء الناقص - لم يسجل

(١) قد يكون المراد بالصباحة ههنا : الطلاقة والإشراق لا الجمال، والوجه يكتسي بالصباحة والإشراق بتأثير الحالة المعنوية والروحية والاخلاقية للإنسان، قال في مجمع البحرين : «وقد صبَّحَ الوجه صباحةً : اشرق وانار» وقال في لسان العرب : «الصبيح : الوضيء الوجه».

(٢) وسائل الشيعة : ١٥ / ١٠ ب ٥ ح ٩ .

(٣) نهج الفصاحة : ٤٤٨ ح ٢١١١ ط طهران .

(٤) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٧١ .

(٥) النور : ٣٢ .

لها «صلوات الله عليها» ترضاً إلا مرة واحدة.

أما مرضها الأخير فهو وليد الصدمة التي تعرّضت لها بين الحائط والباب والتي انتهت إلى شهادتها ووفاتها «صلوات الله عليها».

ولعله لاجل تعليم الأمة على الكدح والعمل لم يمنحها الرسول ﷺ خادمة عند ما طلبت منه ذلك مع انه ﷺ الكريم الرؤوف، وذلك حتى تكون ﷺ أسوة في العمل بنفسها لنساء المسلمين، وربما كان طلبها ﷺ وعدم تلبيته ﷺ بمجمله تعليمياً.

أما حصولها «عليها السلام» على فضة، فهو مما دعت إليه الضرورة حيث تراكت عليها الاعمال اليدوية الشاقة من الطحن والخبز والغسل وغير ذلك، بالإضافة إلى أطفالها الصغار وضرورة الإهتمام بشؤونهم إلى جانب ان النساء كنّ يرجعن إليها في كثير من شؤونهنّ ومسائلهن، ثم نجد بعد حصولها على فضة ان النبي ﷺ قد قسم العمل بينهما، يوماً لها ويوماً لفضّة كما في النص^(١) وهذا ايضاً بالإضافة إلى كونه تعليمياً للأمة على مشاطرة من هم أدنى منزلة في الهموم والمهام يتضمّن تأكيداً للإلتزام بالعمل والكد والكدح رغم وجود البديل.

والجدير بالذكر ان فضة كانت متزوجة ذات أسرة، وقد يظهر ذلك من خبر قراءتها للقرآن في سفرة الحج وتلقي اولادها لها في المنزل كما هو شأن الإسلام حيث لا يدع بنتاً بلا زوج، حتى قال سلمان المحمدي وهو حاكم في المدائن عند ما تزوح امرأة هناك فوجد عندها بنتاً - من زوجها السابق - غير متزوجة: سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما مضمونه) : لو لم تزوج البنت في الدار فزنت كان عقاب الزنا على اهل الدار.

(١) راجع دلائل الإمامة للطبري ص ٤٩ ط نجف، ومسند فاطمة «سلام الله عليها» ص ٤٢ ح ٩ ط طهران. والخرائج كما في البحار عنه ج ٤٣/٢٨ ح ٣٣.

أما طحنها (ع) وعجنها وخبزها وطبخها وغزلها وغسل الملابس ورعاية
الاولاد وقيامها بإنجاز العشرات من الحاجات البيتية بنفسها «صلوات الله عليها»
أو بمساعدة فضة، ففي كل ذلك تعليم لكيفية سلوك الزوجة في الحياة الزوجية .
ولو راج مثل ذلك في بيوتنا فهل بعد ذلك كنا نحتاج إلى استيراد كل شيء
من الغرب والشرق حتى اللحم وغيره من الاوليات والضروريات؟
كما ان قولها «سلام الله عليها» لعلي (ع) : «ما عهدتني كاذبة ولا خائنة»^(١)
تعليم لكيفية سلوك الزوجات مع الازواج، وإلا فعلي (ع) كان يعلم ذلك .
وهكذا نجد في عدم دخول النبي (ص) دارها لما رأى سترأ على الباب^(٢) تعليماً
آخر لنا، ولعل الزهراء (ع) تعمدت وضع الستر حتى يكون مدعاة للتعليم، كي لا
ترفل النساء في النعيم بينما كثير من الناس يعانون شظف العيش وقد قال (ع) : «ما
آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع»^(٣).
إلى غير ذلك من النقاط المشرقة في سيرتها (ع) الوضاعة، وكلها عبر
وبرامج تربوية ومناهج للسعادة الدنيوية والأخروية .

(١) روضة الواعظين : ص ١٨١ ط قم .

(٢) راجع مناقب ابن شهر آشوب : ٣ / ٢٤٣ ط قم . ورواه البحار عنه في ج ٤٢ / ٨٦ .

(٣) وسائل الشيعة : ٨ / ٤٩٠ ب ٨٨ ح ١ .

وفي الختام

وفي الختام نشير إلى أننا قد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول: (١)

الأول : أحكام مستفادة من حديث الكساء .

الثاني : أحكام مستفادة من الخطبة الشريفة .

الثالث : أحكام مستفادة من سائر ما روي عنها ﷺ .

والله المسؤول أن يقرنه برضاه، وأن ينفع به، انه قريب مجيب، والحمد لله
أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١٤١٤ هـ

(١) قام الإمام المؤلف، بتأليف هذا الكتاب في شهرين ونصف هما جمادى الثانية ثم رمضان المبارك وقسم من شوال من العام ١٤١٤ هـ، علماً بأن فهرس بعض الاحكام المستفادة من حديث الكساء كان قد كتبها من قبل.

الفصل الأول

أحكام مستفادة من حديث الكساء

بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ سَمِعْتُ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ ، فَقُلْتُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا فَقُلْتُ لَهُ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا ابْنَاهُ مِنَ الضُّعْفِ ، فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِيْتِينِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَعَطِينِي بِهِ ، فَاتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَعَطَيْتُهُ بِهِ وَصَرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ بَيَاضٌ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةٌ وَإِذَا بَوْلِدِي الْحَسَنَ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَاهُ ، فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي ، فَقَالَ : يَا أُمَاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَاذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةٌ وَإِذَا بَوْلِدِي الْحُسَيْنَ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَاهُ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي ، فَقَالَ لِي : يَا أُمَاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ وَآخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ . فَدَنَى الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ أَتَاذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا شَافِعَ أُمَّتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ

مَعَهُمَا تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا
الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا
رَائِحَةُ أَخِي وَأَبْنِ عَمِّي رَسُولِ اللَّهِ . فَقُلْتُ : نَعَمْ هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيْكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ،
فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ
تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟ قَالَ لَهُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَيَا وَصِيَّي وَخَلِيفَتِي وَصَاحِبَ
لِوَائِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ ، فَدَخَلَ عَلِيٌّ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ :
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ قَالَ :
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ . فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَلَمَّا
اِكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ اخَذَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَرْفِي الْكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ
الْيَمْنَى إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَتِي لَحْمُهُمْ
لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي يُؤْلِمُنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ
وَسَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ
فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَغُفْرَانَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ وَأَذْهَبْ
عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ
سَمَاوَاتِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مُبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً
مُضِيَّةً وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي إِلَّا فِي مَحَبَّةِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ
الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ جَبْرَائِيلُ يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ فَقَالَ
عَزَّ وَجَلَّ : هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ هُمْ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَيَعْلَاهَا وَبَنُوها ،

فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ لَا كُؤْنَ مَعَهُمْ سَادِسًا ، فَقَالَ اللَّهُ : نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَهَبْطِ الْأَمِينَ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَخُصُّكَ بِالسَّحْبَةِ وَالْإِكْرَامِ وَيَقُولُ لَكَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مُبْنِيَّةً وَلَا أَرْضًا مَدْحِيَّةً وَلَا قَمَرًا مُنِيرًا وَلَا شَمْسًا مُضِيئَةً وَلَا فَلَكَأً يَدُورُ وَلَا بَحْرًا يَجْرِي وَلَا فَلَكَأً يَسْرِي إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَقَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحَيِّ اللَّهُ إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ ، فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ فَقَالَ لَا بِي : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فَقَالَ عَلِيُّ ﷺ لَا بِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْبِرْنِي مَا لِيَجْلُوسَنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَأَصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا مَا ذَكَرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، فَقَالَ عَلِيُّ ﷺ : إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَفَازَ شِيعَتُنَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَأَصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا ، مَا ذَكَرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ وَلَا طَالِبُ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ ﷺ : إِذْنُ وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَازُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .
وبعد : فقد روى والدي «رحمه الله تعالى» حديث الكساء في مجموعة له،
بسند صحيح إلى فاطمة الزهراء «سلام الله عليها»، كما رواه غيره^(١) :

(١) وإليك نصّ حديث الكساء سنداً على ما في عوالم العلوم والمعارف والاحوال، تحقيق وطبع مؤسسة الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف»، قم :

رايت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني، عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدس الاردبيلي، عن شيخه علي بن عبدالعالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلّي، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الاول، عن ابيه، عن فخر المحققين، عن شيخه العلامة الحلّي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلّي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلّي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الجليل محمد بن شهر آشوب، عن الطبرسي - صاحب الإحتجاج -، عن ابيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمي، عن شيخه الكليني، عن علي ابن ابراهيم، [عن ابيه إبراهيم] بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم ابن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الانصاري، عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ . . . وهذا السند في منتهى الجلالة ورجاله من كبار ومشاهير العلماء، أما القاسم بن يحيى فالصحيح عندنا تبعاً لجمع منهم صاحب الجواهر والعديد وغيره، اعتباره إذ هو من شيوخ البزنطي، والبزنطي صح انه لا يروي إلا عن ثقة، وأما جابر ففيه قولان، وقد اعتبره جمع وهو الاصح، وقد نقل متن حديث الكساء أيضاً العلامة الثقة فخر الدين الطريحي الاسدي صاحب «مجمع البحرين» في كتاب «المنتخب الكبير»، وكذلك نقل ما يقرب من نصفه الديلمي صاحب «الإرشاد» في «الغرر والدرر» وكذلك نقله كله الحسين العلوي الدمشقي الحنفي وكذلك آخرون، وهو من الإشتهار بحيث يغني عن تتبع السند، وقد سبق في المقدمة وسياتي في البحث عن سند خطبتها عليها السلام في المسجد ما ينفع في المقام جداً، فليراجع .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

استحباب الرواية ^(١)

مسألة : تستحب رواية الأحاديث، كما روت «صلوات الله عليها» هذا الحديث لجابر وكما روى جابر لغيره وقررتها الزهراء عليها السلام بحكايتها له، وبلحاظ العلة الغائية لحكايتها له ^(٢).

وهذا وإن لم يكن من التقرير الإصطلاحي لكنه نوع من التقرير بالمعنى الأعم، إذ التقرير عبارة عن: الإقرار لشيء ^(٣) أو بشيء لفظاً أو قلباً أو إشارة، فلا فرق بين أن يعمل الإنسان عملاً ويسكت عليه الطرف الآخر حيث إنه يقرره إذا لم يكن هناك محذور في سكوته أو أن يقرأ إنسان على إنسان شيئاً آخر فإنه تقرير أيضاً، لكنه ليس تقريراً سكوتياً وإنما تقريراً بالقراءة، فتأمل.

وهناك تقرير ثالث وهو: التقرير العملي، كما إذا جعل الإشارة بالرأس أو باليد أو بالعين أو ما أشبهه، علامة لشيء سواء سكت في قبال تلك أو فعل تلك فإنه أيضاً تقرير.

ومن المعلوم أن كل ذلك بالنسبة إلى المعصوم «صلوات الله عليه» دليل على الصحة، بل لا يبعد أن يكون مثل ذلك شهادة أيضاً، فتأمل ^(٤).

(١) راجع حول هذا المبحث والبحوث اللاحقة: «الفقه: الآداب والسنن» و«الفقه: الواجبات والمحرمات».

(٢) إذ كان الهدف من حكايتها له أن ينقل هذا الحديث الشريف للآخرين.

(٣) الإقرار لغة يأتي بمعان: التثبيت والتحقيق والإذعان والتبيين وغير ذلك.

(٤) التأمل قد يكون بلحاظ درا الحدود بالشبهات كما سيأتي.

بُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :

مثلاً : لو ان انساناً شاهد زیداً وهو يسرق أو يقوم بغيرها مما يوجب الحدّ لكنه امتنع من إقامة الشهادة عليه عند الحاكم خوفاً من ذلك السارق ، فيتفق سرّاً مع الحاكم أنه إذا سكت أو أشار إشارة حال قراءة الحاكم للدعوى فإنه يكون دليلاً على السرقة أو ما أشبه ذلك.

وهل هذا يجري في الزنا أيضاً؟

احتمالان، والاقرب العدم، لأن مقتضى ان «الحدود تدرا بالشبهات» واشدية الامر في الزنا لزوم أن يكون بإقراره أربعاً أو بالشهود الذين يتلفظون بالزنا تلفظاً، لا بمثل الإشارة والكتابة، ولا يخفى انه يجري هذا الوجه في كل الحدود^(١).

رواية النساء

مسألة : يستحب للنساء أيضاً رواية الاحاديث^(٢) لأنها «صلوات الله عليها» أسوة.

فإنها ﷺ وإن كانت معصومة ولها خصائص مثل حرمة تزوج علي ﷺ عليها ما دامت في قيد الحياة، إلا أن الظاهر من الأدلة انهم ﷺ أسوة إلا فيما خرج بالدليل، وليس المقام من المستثنى.

(١) راجع «الفقه : القواعد الفقهية» و«الفقه : الحدود والتعزيرات».

(٢) قد يذكر الخاص بعد العام أو قبله والصغرى بعد الكبرى لأهميتها أو لطرده احتمال الإستثناء أو لغير ذلك من الجهات وعلى ذلك جرى ديدن الكتاب، كما قد يتكرر ذكر المسألة تمهيداً لذكر فوائد جديدة وإضافات عديدة، وقد تذكر بعض المسائل باعتبارها كبرى لصغرى مذكورة في كلماتها ﷺ .

ويدل على كونها «سلام الله عليها» أسوة: انها معصومة نصاً وإجماعاً وعقلاً، والمعصومة لا تفعل إلا ما يطابق رضى الله سبحانه، كما ورد في الاحاديث ما يدل على انها أسوة. (١)

وكذلك حال مريم الطاهرة (ع). .

وفي بعض الروايات: انها «صلوات الله عليها» تعادل علياً (ع). (٢)

وفي جملة من الروايات: انها «سلام الله عليها» افضل من غير ابيها (ع). (٣)

كما يشهد به: «لم يكن لفاطمة كفو على وجه الارض آدم فمن دونه». (٤)

وقال الحسين (ع): «أُمِّي خَيْرُ مِنِّي» (٥) إلى غيرها من الروايات. (٦)

ومن الواضح ان ذلك ليس فقط لاجل علمها، وإن كان علمها في غاية السمو والرفعة بل لان الله سبحانه خلقها رقيقة، كما خلق الماء الحلو والذهب والشمس أرفع من المر والصخر والقمر حيث ان نوره مستفاد من نور الشمس، وفي الحديث: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» (٧).

لا يقال: فإذا خلقها الله كذلك فما هو فضلها؟

لانه يقال: نقضاً: فما هو فضل الذهب والماء الحلو والاذكياء والعباقرة؟

(١) راجع الإحتجاج: ص ٤٦٧ ط مشهد.

(٢) راجع مناقب ابن شهر آشوب ٣/٢٤٩ ط قم.

(٣) راجع دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٨ ط نجف. ويستفاد من حديث المصنف وفيه:

«كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله . . . والانباء والملائكة».

(٤) الكافي: ١/٤٦١ ح ١٠ ط طهران.

(٥) الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٣٢ ط بيروت.

(٦) والحديث عن ذلك تفصيلاً تجده في ثنایا الكتاب، وقد اشرنا إلى ذلك في المقدمة.

(٧) نهج الفصاحة ص ٦٣٥ ح ٣١٥٢ ط طهران.

.....

وحلاً : بأن حكمة الخلق تقتضي خلق كل ما يمكن - من المجرة إلى الذرة -
 فإذا لم يخلق الله كذلك فلماذا؟ وإذا خلق كل شيء هكذا فلماذا لا يخلق الادون
 فالادون وهكذا؟^(١)

ولاشك ان رفعة علمها ايضاً من اسباب رفعتها، وكذلك حال الانبياء
 والاروصياء «خلقكم الله انواراً»^{(٢)(٣)}.

رواية الرجال عن النساء

مسألة : يجوز رواية الرجال عن النساء في الجملة .
 لإطلاق الأدلة، بالإضافة إلى ما في هذا الحديث، كما يجوز العكس
 ايضاً.

(١) اشار الإمام المؤلف إلى اجوبة أخرى على هذا السؤال في العديد من كتبه ومنها «الفقه :
 حول القرآن الحكيم» و«القول السديد في شرح التجريد» و«شرح المنظومة» وغير ذلك .
 ولعل مما يجاب به عن الإشكال : ان الله تعالى لعلمه بان الائمة والانبياء ﷺ سيكونون -
 في دار الدنيا- خير من سيخرج من الإمتحان الإلهي، لذلك أفاض عليهم المزيد من لطفه
 وفضله وجعلهم من معدن أسمى وذلك كما ان الاستاذ لو اكتشف ان أحد تلامذته سيكون
 اشد الجميع اجتهاداً ومثابرة فإن من الطبيعي ومن العدل ايضاً ان يوليه الاستاذ مزيداً من
 الإهتمام ويخصه - دون سائر التلاميذ - بمقدار أكبر من الوقت والتوجيه والعطاء ﴿انزل من
 السماء ماءً فسال أودية بقدرها﴾ [الرعد : ١٧] وربما يفسر الامر ايضاً بالنجاح في عالم
 الذر او عوالم أخرى اسبق، مما سبب مزيداً من الإفاضة على الناجح، في العوالم
 اللاحقة .

(٢) مفاتيح الجنان : ص ٥٤٧ ط بيروت .

(٣) حول هذا المبحث راجع «الفقه : البيع» و«القول السديد في شرح التجريد» للمؤلف
 و«عقبات الانوار» لمير حامد حسين الموسوي الهندي و«إحقاق الحق» للتستري و«البحار» .

.....

وهكذا رواية النساء عن النساء، والرجال عن الرجال، بالضرورة.
والمراد بالجواز: الأعم من المباح والواجب والمستحب، كلّ حسب الموازين المقررة.

والإسلام إنما منع ما منع لفلسفة، ولم يمنع مثل ذلك، وبذلك يظهر أن ما ورد في بعض الروايات: «صوت المرأة عورة»^(١) إنما هو مثل ما ورد من: «أن المرأة عورة»^(٢) يراد به المنع عن الإختلاط والمفاسد، ولذا قال سبحانه: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾^(٣) ولم يقل: فلا تتكلمن.

وتكلم الرجال مع النساء وبالعكس قامت عليه السيرة، والروايات دلت على ذلك أيضاً.

وذلك هو المراد بحديث: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»^(٤). فإن المراد من «أن لا يراها رجل»: رؤية جسمها العاري وما أشبه مما منعه الإسلام، كما أن المراد من «أن لا ترى رجلاً» رؤيتها الجسم العاري من الرجل.

وإلا فمن الواضح حضور النساء مجالس الرسول (ص) وتحديثهنّ معه (ص) وكذلك بالنسبة إلى علي (ع) وسائر الأئمة (ع) مما هو كثير.

ومن المعلوم أن أمثال هذه الإطلاقات - كسائر الإطلاقات - تقيد بما علم من الشريعة، وذكرها الفقهاء في الكتب الإستدلالية والرسائل العملية.

(١) عنه (ع): «نهى النساء عن إظهار الصوت إلا من ضرورة». مستدرک الوسائل: ٢٨٠/١٤ ب ٩٠ ح ٥ ط قم.

(٢) عن الصادق (ع): «اتقوا الله في الضعيفين يعني بذلك اليتيم والنساء وإنما هنّ عورة». الكافي: ٥١١/٥ ح ٣.

(٣) الاحزاب: ٣٢.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٤١ ط قم. ورواه عنه البحراني في العوالم ج ١١/١٢٨ ح ٣.

رواية حديث الكساء

مسألة : يستحب رواية حديث الكساء بصورة خاصة، وقد جرت عادة كثير من المؤمنين منذ مئات السنين على رواية هذا الحديث في المحافل والجامع بقصد التبرك وقضاء الحوائج.

تسمية المرأة

مسألة : يجوز للرجل تسمية المرأة في الجملة.

فإن جابراً سمي الزهراء عليها السلام بالإسم، وكذلك كان الرسول ﷺ والائمة عليها السلام يسمون النساء، من «خديجة» عليها السلام ومن سبقتها من فضليات النساء أو شرارهن إلى آخر أم من أمهات الائمة عليها السلام وهي السيدة نرجس عليها السلام أمام الاقارب والاجانب.

وقبل ذلك سمي الله سبحانه مريم الطاهرة في القرآن الحكيم وهو يتلى آناء الليل واطراف النهار.

ومن الواضح ان ذلك ليس خاصاً بالله وبهم عليهم السلام ولذا ذكرهن علماؤنا الاعلام على المنابر وفي الكتب وغيرها.

كما لا يحرم ذكر بعض الخصوصيات لهن، كارتفاع القامة والعمر ونحوهما، وانما يستثنى «التشبيب» كما ذكر في الفقه.

وكذلك لا إشكال في العكس بأن تسمي المرأة الرجل - محرماً أو غير

.....

محرم - لإطلاق الأدلة وعدم دليل على الحرمة، بل ولا الكراهة، نعم الظاهر حرمة التشبيب أيضاً منها بالنسبة إليه، للملاك وإن لم يتعرض له المشهور من الفقهاء.

وكذلك ما إذا كان ذكر الاسم اغراءً لا من جهة كونه ذكراً للإسم، بل من جهة العارض.

وهل الإسم يعدّ من حقها بحيث إذا كرهت ذلك لم يجز الذكر حيث أنه تصرف في حق الغير أو لا؟

لا يبعد الثاني، وكذلك بالنسبة إلى من لم يرض ذكر اسمه من الرجال، إلا إذا كان هناك محذور خارجي فالمنع بسببه لا بسبب ذكر الإسم.

صوت الأجنبية

مسألة : يجوز سماع صوت الأجنبية حتى في غير مورد الضرورة، في الجملة، وإلا لما كانت فاطمة «سلام الله عليها» تروي لجابر «رحمه الله تعالى».

أما الجواز فللأصل والسيرة والروايات المتعددة في مكالمة النساء للرجال في غير مورد الضرورة، أما الضرورة فإنها تبيح المحرمات، كما ورد: ﴿إلا ما اضطررتم﴾^(١) وفي الحديث: «ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطرَّ إليه»^(٢) والمراد بالإضطرار هنا: الأعم من الإكراه فإنهما يطلقان على كليهما في غير مورد المقابلة كالفقير والمسكين (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).

(١) الانعام: ١١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٣/ ٢٧٠ ب ١٢ ح ٦ ط اسلامية.

نعم قد تقدّم ان المحرّم هو الخضوع بالقول، للآية والرواية، ولا يبعد ان يكون ذلك ايضاً مقيداً بقوله سبحانه: ﴿فَيطمع الذي في قلبه مرض﴾^(١) فإذا لم يكن هناك من كان كذلك لم يتم دليل على الحرمة حتّى في صورة الخضوع. وعليه يحمل جعل الإمام الباقر عليه السلام مالاً للنوادب يندبنه في منى^(٢)، مع وضوح ان صوتهن كان مسموعاً من خلف الخيام. اما ان يكون ذلك استثناءً من الخضوع حتى عند من يطمع من مرضى القلب فبعيد جداً.

ولذا لم أجد من الفقهاء من منع قراءة النساء في مجالس العزاء وإن كان الصوت يصل إلى مسامع الرجال، والمسألة بعد بحاجة إلى التأمل والتتبع. وهل العكس - بأن يخضع الرجل بالقول فتطمع أنثى في قلبها مرض - كذلك، أم بالنسبة إلى الذكور في من يطمع شذوذاً جنسياً؟ لا يبعد الثاني ملاكاً، اما الاول فبعيد، فتأمل.

(١) الاحزاب: ٣٢.

(٢) الكافي: ١١٧/٥ ح ١: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى».

دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»

استحباب التلقب

مسألة : يستحب التلقب لانه نوع من التكريم، وللأسوة حيث قالت «سلام الله عليها» : «دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ» .

وهل يدل على الإستحباب أو الجواز؟ الظاهر الاول للقرينة الداخلية، كما ان قرينة جعل الإسلام احترام الناس أصلاً، للآيات والروايات و... وقد قال سبحانه : ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١) وما اشبه، يدل عليه .
وفي الاحاديث ان النبي ﷺ كان يكني اصحابه .

ولا يبعد ان يكون اللقب او الكنية بالنسبة إلى الاقرباء - خصوصاً الكبار منهم كالاب والأم - أكد استحباباً، ويلمع إليه ما سبق^(٢) وان الرسول ﷺ كان اباً لها ﷺ .

وهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه وهو ان القرآن قد يمدح الإنسان مثل : ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) و﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤) و﴿فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) قد يكون المراد ان الإحترام مشكك ذو درجات وكلما كان الآخر اقرب للإنسان رحماً او اقوى عليه حقاً ، تاكد الإحترام اكثر فاكثر .

(٣) الإسراء : ٧٠ .

(٤) المؤمنون : ١٤ .

خلقنا^(١)، إلى غير ذلك، وقد يذمه مثل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾^(٢) و﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٣) و﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤) إلى غير ذلك، فكيف الجمع؟ والجواب: ان الاول بالنظر إلى الذات، والثاني بالنظر إلى فعل الإنسان بنفسه ومعنى «خلق» انه كذلك^(٥)، لا انه في طبيئته الجبرية، كما هو واضح. وذكرها ﷺ الكنية واللقب، من جهة التلذذ بتكرار اسم المحبوب كما قاله أهل البلاغة، قال المتنبي:

«أسامي لم تزده معرفة
وانما لذة ذكرناها»
وتقديم الكنية، من جهة الإلماع أولاً إلى القرابة القريبة، وإلا فالرسول ﷺ كان يدخل في كثير من البيوت.

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) المعارج : ١٩ .

(٣) الانبياء : ٣٧ .

(٤) الاحزاب : ٧٢ .

(٥) فـ«هلوعاً» مثلاً حال، وهو اشارة إلى ما عليه الإنسان في فعله واخبار عما سيكون عليه نفسياً او عملياً بما هو داخل في دائرة الاختيار او بنحو الإقتضاء.

في بعض الأيام

«في بعض الأيام»

توقيت الأمور

مسألة : يستحب التوقيت ومن مصاديقه كون الحادث ليلاً أو نهاراً حيث قالت (ع) : «في بعض الايام» حتى لا يظن أو يحتمل ان الحادث كان في بعض الليالي، لانصراف اليوم في المقام إلى النهار، وإن صح اطلاقه على مجموع الليل والنهار، أو النهار كاملاً، كما يقال : اقام في البلد الفلاني عشرة أيام، أو درسنا التفسير في خمسة أيام، وكذلك حال الأسبوع والشهر والسنة، أما إذا قيل : الليل، فلا يشمل النهار كما ان النهار لا يشمل الليل.

وانما استفدنا الإستحباب، لانه لولا ذلك لكان قولها (ع) : «في بعض الايام» لغواً والعياذ بالله (١) فتأمل، وقد ورد عن رسول الله (ص) : «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن» (٢) والكلام من العمل، وذكر الوقت من الإتقان، ولعله داخل في : «كل شيء موزون» (٣) وقوله (ع) : «اني اعلم انها نزلت في ليل أو

(١) والاصل في كل كلمة من كلام الحكيم - فكيف إذا كان قمة في الحكمة والبلاغة - انها جيء بها لغرض وفائدة.

(٢) الكافي : ٢٦٢/٣ ح ٤٥ .

(٣) الحجر : ١٩ .

فقالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ

نهار»^(١) ولو بالملاك وتنقيح المناط .

وقد سبق الإسلام الحضارة الحديثة في ذكر التوقيت وربط الأعمال به ،
ولذا وضع لكل من ساعات الليل وساعات النهار دعاءً ، بالإضافة إلى مواقيت
الصلاة والحج والصوم والعيد وغير ذلك مما هو كثير .

ولا يخفى ان «الساعة» قد تطلق على جزء من الوقت ، كما تطلق على
المحدد بستين دقيقة ، وعلى تقسيم النهار من الطلوع إلى الغروب إلى اثني عشر
قسماً كل منها يسمى ساعة ايضاً ، وكذلك الليل ، على تفصيل ذكره علماء
الفلك .^(٢)

«فقالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ»

ترتيب المطالب

مسألة : يرجح ترتيب المطالب على وجه يفيد مطابقة مرحلة الإثبات
لمرحلة الثبوت ، كما قالت ﷺ : «دخل عليَّ أبي . . . فقال» ، فجاءت «سلام الله
عليها» بفاء التفريع ولم تقل : «وقال» وفرقهما واضح .
فإن في اللغة العربية خصوصيات حتى بالنسبة إلى الكلمة وجزء الكلمة ،

(١) أمالي الصدوق : ٢٨١ ح ١ المجلس ٥٥ ط بيروت . فيه : «لو سالتهموني عن آية آية في ليل
أنزلت أو في نهار أنزلت . . . اخبرتكم» .

(٢) وسيأتي مزيد من الحديث عن «التوقيت» عند قولها ﷺ : «فما كانت إلا ساعة» .

.....

كما قالوا في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾^(١) مع انه لا وجه - كما قد يتوهم - لحذف الياء، قالوا: لانه حكاية عن سرعة كلامه، حيث ان المسرع في كلامه يحذف بعض الكلمة، ولغتهم وإن لم تكن لغة العرب لكن الله سبحانه وتعالى حذف الياء علامة على ذلك في لغتهم.

ومثلاً: قال علي «عليه الصلاة والسلام» فيما يروى عنه :

انا الذي سمّني أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة^(٢)

فإن الإمام (عليه السلام) لم يرد ذكر المرادفات للأسد لمجرد التكرار والجمال، وإنما أراد خصوصيات الاسد في أحواله المختلفة، فإن كل اسم وضع لخصوصية من خصوصيات الاسد، فالاسد يسمى «حيدرأ وحيدرة»: حينما ينزل من مكان مرتفع كالجبل ونحوه حيث يستلزم المهابة الشديدة. ويسمى «ضرغام آجام» لأن الضرغام في الآجام يزار فيملاً الاجمة بصوته المرعب.

ويقال له: ليث، باعتبار تلوثة بالفريسة، وهذا منظر مخيف جداً للفريسة وللإنسان الذي يشاهدهما.

ويسمى : قسورة، فيما إذا كان يطارد حيواناً أو قطعياً من الحيوانات، فلذا قال سبحانه : ﴿كانهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾^(٣).

وورد في بعض كتب العرب ان امرؤ القيس قال قصيدة مطلعها : «دنت الساعة وانشق القمر» ثم نزل قوله تعالى : «إقتربت الساعة»^(٤).

(١) الكهف : ٦٤ .

(٢) الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص ٢٨ ط قم .

(٣) المدثر : ٥٠ - ٥١ .

(٤) القمر : ١ .

فقال بعض أدباء الجاهليين: ان هذه الآية تمتاز بسبعين نكتة من حيث الفصاحة والبلاغة، على كلام امرء القيس.

استحباب الإبتداء بالسلام

مسألة : يستحب الإبتداء بالسلام حتى من الكبير على من دونه^(١).
ولذا سلّم الرسول وعلي عليه السلام على فاطمة عليها السلام، بل في بعض الروايات : استحباب سلام الكبير على الصغير^(٢) وقد كان عليه السلام يسلم على الاطفال^(٣)، وفيه من التواضع والتعليم ما ليس في عكسه.

وكذا الامر في سلام الراكب على الراجل، إلى غير ذلك من احكام السلام الكثيرة، وقد جمعها ابن العم السيد عبد الهادي «قدس سره» في رسالة مستقلة أنهاها إلى ألف مسألة.

وقد ذهبنا في «الفقه» إلى كفاية لفظ «سلام» و«سلاماً» في تحقق السلام، كما يدل على ذلك الإطلاقات والآية: ﴿قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾^(٤)، ويؤيده الاعتبار وسيأتي تفصيل ذلك.

فالمستفاد من الحديث استحباب السلام الكامل، لانهم سلموا عليها عليها السلام

(١) راجع «الفقه : الآداب والسنن».

(٢) راجع مستدرک الوسائل : ٣٦٤/٨ ب ٣٤ ح ١.

(٣) راجع نفس المصدر ح ١ : «إن رسول الله عليه السلام مرّ على صبيان فسلم عليهم». ح ٢ : «كان عليه السلام يسلم على الصغير والكبير».

(٤) هود : ٦٩.

بالصيغة الكاملة^(١)، بالإضافة إلى انه نوع احترام، واحترام المؤمن، فكيف أمثالهم (ع) من أكد المستحبات.

كما ان سلامهما عليها وجوابها لهما (ع) دليل على استحباب سلام الصغير ايضاً، فليس خاصاً بالكبير، بل ربما يقال بوجوب جواب الكبير لغير البالغ ايضاً، كما تقتضيه الإطلاقات آية ورواية، فتأمل.^(٢)
نعم حديث الكساء لا يدل على أزيد من الرجحان.

السلام على فاطمة (ع)

مسألة : يستحب السلام على فاطمة «صلوات الله عليها» حيث قال (ع) :
«السلام عليك»، وقد دل عليه بعض الأحاديث ايضاً.
ولا فرق في ذلك (فيها وفي سائر المعصومين (ع)) بين حيهم وميتهم، فهم
حاضرون ناظرون ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾.^(٣)

(١) لاصالة الأسوة، والالتزام بأن كل أفعالهم داخلية في دائرة الواجب أو المستحب، لا غير
ومما يشهد له وصية الرسول (ص) لابي ذر بان تكون كل أفعاله لله [راجع تحف العقول :
ص ٥٤ ح ١٥٢ ط طهران]، وذلك في المباح ممكن ايضاً عبر النية فـ«أنما الاعمال بالنيات»
[وسائل الشيعة : ٣٥/١ ب ٥ ح ١٠].

(٢) قد يكون الوجه : رفع التكاليف عنه وبالنسبة إليه مطلقاً إلا ما خرج.

(٣) آل عمران : ١٦٩ .

سلام الرجل على المرأة

مسألة : يستحب سلام الرجل على المرأة إذا كانت من محارمه، ولذا سلّم الرسول ﷺ وعلي ﷺ على فاطمة «سلام الله عليها» .
أما في المحارم : فلا إشكال .

وأما في غير المحارم : فإذا لم يكن بتلذذ وريبة، ولذا ورد أن رسول الله ﷺ كان يسلم على النساء، وعلي ﷺ كان يسلم على غير الشابة منهنّ، والسرّ: كي لا يتخذ أسوة لأن مجتمع مكة كان يختلف عن مجتمع الكوفة حيث تجمع فيه اخلاط من الناس، وكان من مظان افتتان الناس .
ومنه يعلم وجه سلام الصحابة على نساء النبي ﷺ كما في بعض التواريخ، وعلي الزهراء ﷺ .

والظاهر الحرمة في سلام المرأة على الرجل الأجنب إذا كان عن تلذذ أو خوف ريبة، أما بدونهما فلا إشكال، ولذا كنّ يسلمن على الرسول ﷺ والائمة ﷺ كما في بعض التواريخ .

نعم إذا سلم أحدهما على جماعة من مثله، وفيه الجنس المخالف، مثل الرجل على مجموعة من النساء والرجال - في قافلة مثلاً - أو المرأة على جماعة من الرجال والنساء فهو أبعد من الفتنة والريبة .

وإذا لم يحرم السلام في موضع كان مستحباً، إلا في الموارد المكروهة، كما ورد في موارد خاصة مذكورة في كتب الأحاديث .

ثم إذا حرم السلام فالظاهر عدم وجوب الجواب لانصراف أدلة الوجوب

فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، قال : إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا

إلى السلام غير المحرم .

«فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ»

ردّ السلام

مسألة : يجب ردّ السلام ولذا قالت : «عليك السلام» ، والفعل وإن كان أعم إلا أن استفادة الوجوب إنما هي من الأدلة الأخرى .

«قال : إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا»

الإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية

مسألة : يجوز التشكي والإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية ، ويرجع إن كان لفائدة كالتعليم أو دفع التوهم أو شبه ذلك ، حيث قال (ع) : «إني أجد في بدني ضعفاً» ، أما النفسية فبالملاك .

ولا إشكال في جواز الإخبار ، وربما يقال بالإستحباب لانه (ع) أسوة ، والمنصرف من مثله (ع) انه يأتي بالراجع .

ويؤيده ما ورد من أن الشكاية إلى المؤمن شكاية إلى الله سبحانه^(١) وبذلك

(١) راجع الوافي : ١٦٤/٣ ب ١٧١ ح ١ .

يقيد ما ورد من كراهة التشكي^(١).

ولعل قوله ﷺ : « في بدني » لدفع توهم انه في النفس تالماً مما يقوم به المشركون والاعداء فيكون المراد به ما اراد ابراهيم عليه السلام حيث قال : « إني سقيم »^(٢) - على إشكال - او انه في قبال الضعف في جزء من الجسد كالعين والأذن وما أشبهه .

ويحتمل ان قوله ﷺ : « إني أجد . . . » كان تمهيداً لامره بإتيانها بالكساء إليه ، وكأنه لدفع توهم من انسان - غيرها ﷺ - انه لماذا يريد المنام في النهار ، وإذا كان كذلك كان دليلاً على رجحان دفع التوهم « ورحم الله من جب الغيبة عن نفسه » .

ويؤيده ما روي عنه ﷺ انه كان يتكلم مع زوجة من زوجاته في الطريق فلما مر بهما انسان ، قال ﷺ له : يا فلان هذه زوجتي فلانة - دفعاً لتوهمه - . فقال الصحابي : او منك يا رسول الله ﷺ - يريد انه لايتوهم عن مثله ﷺ - .

فقال ﷺ : « نعم ، ان ابليس عدو الله . . . يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق »^(٣) .

ولا يخفى ان قول ابراهيم عليه السلام : « إني سقيم »^(٤) لم يرد به المرض حتى يكون خلاف الواقع ، بل اراد سقم النفس من كفرهم وشركهم ، كما هو كذلك في كل متدين في مجتمع غير ديني .

(١) راجع بحار الانوار : ١٢ / ٢٤٨ ح ٣٥ .

(٢) الصافات : ٨٩ .

(٣) تفسير العياشي : ١ / ٣٠٩ ح ٧٨ ط طهران . وفيه آخر الحديث فقط .

(٤) الصافات : ٨٩ .

فَقُلْتُ لَهُ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ مِنَ الضُّعْفِ

«فَقُلْتُ لَهُ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ مِنَ الضُّعْفِ»

الدعاء للمريض

مسألة : يستحب الدعاء للمريض^(١)، حيث قالت «سلام الله عليها»: «أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ»، ولذلك كان دعاؤها^(٢) واستحبابه قد ورد في جملة من الروايات، سواء كان بحضرته أم غائبا، وسواء بهذه اللفظة الواردة في هذا الخبر أم بلفظ آخر، وسواء كان المرض مولما أم لا.

وهل من ذلك المرض القلبي؟ قال سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٣).

الظاهر ذلك^(٤)، ولذا كان عليه السلام يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٥). و«لا يعلمون» يراد به على طبق الواقع عملا^(٦)، وإن كانوا علموا، كما قال سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٧).

(١) راجع «الفقه : الآداب والسنن».

(٢) العديد من كلماتها عليها السلام - ومنها هذه الكلمة - تصلح أن تكون مؤيدا أو دليلا على الحكم في مرحلة الإثبات، كما تصلح أن تكون معلولا لوجود الحكم في مرحلة الثبوت، وههنا «حيث» إشارة للأول و«لذلك» إشارة للثاني فليدقق.

(٣) البقرة : ١٠ .

(٤) سيأتي تقييده بالدعاء بالهداية وشبهها.

(٥) بحار الانوار : ٢٠ / ٢١ ب ١١ غزوة أحد.

(٦) قد يكون المراد (العلم المؤدي للعمل والمحرك للجوارح) وقد يكون المراد (علم اليقين). وقد يكون إشارة لمن لا يعلم منهم، فتأمل.

(٧) النمل : ١٤ .

.....

وهل يجوز الدعاء للمريض المؤذي للمسلمين كفراً أو نفاقاً أو ظلماً؟
لا إشكال في جوازه في الهداية وكف الظلم. والكلام في جواز الدعاء له
بالعمر الطويل والمال الكثير والعافية البدنية؟
الظاهر العدم، لانه بملاك الدعاء على المؤمن، وفي قول الصادق عليه السلام
لإبراهيم الجمال دلالة عليه.
ثم لا يخفى ان الأمور كلها بيد الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ
فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١) وإذا كان كذلك فما شأن الدواء؟ وإذا كان بالدواء فما شأن
الدعاء؟

والجواب : ان الأمور كلها بيده سبحانه، لكنه جعل الدنيا دار أسباب وأمر
بالأخذ بها، فالدواء لما بأيدينا، والدعاء لما ليس بأيدينا، ولذا قال عليه السلام : «اعقلها
وتوكل»^(٢) وفي حديث : انه تعالى قال لموسى عليه السلام : «أتريد أن تبطل حكمتي في
الاشياء؟»

الإستعاذة بالله تعالى

مسألة : يستحب الإستعاذة بالله سبحانه حتى من مثل الضعف فكيف
بالمرض.

أما الإستحباب فلأنه دعاء فيظهر منه ذلك، والضعف يسبب تأخر الإنسان

(١) الشعراء : ٨٠ .

(٢) نهج الفصاحة : ٦٩ ح ٣٥٩ ط طهران .

عن حوائجه الدينية والدينية، ولا نعلم هل كان ضعف جوع أو ضعف تعب، أو ضعف مشكلة أثرت على الجسد، إذ النفس إذا وقعت في المشكلة أثرت على الجسد أيضاً، إذ كل منهما يؤثر في الآخر صحةً وسقماً، ونشاطاً وخمولاً وقوة وضعفاً، ولذا ورد في الدعاء: «قوّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي»^(١) وكذلك في أدعية أخرى، وفي القرآن الحكيم: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢) إلى غير ذلك.

رفع الضعف الجسمي والنفسي

مسألة : ومنه يعلم انه ينبغي أن لا يقوم الإنسان بما يسبب ضعف جسده، وانه إذا ضَعُف استحب له رفعه .

وكذلك حال ضعف النفس وقوتها، فإن الشجاعة ممدوحة كما ورد في الحديث : «ان الله . . يحب الشجاعة ولو على قتل حيّة»^(٣).

وكما ان الجسد يتقوى بالرياضة والمقويات وما أشبه، كذلك النفس تتقوى بالرياضة النفسية وهي ترويض النفس على القيام بما تكره، وكذلك تركيز الفكر في شيء خاص في أوقات متكررة، فإن النفس حينئذ تكون كمثل المجهر حيث ان مقدار كف منه تحت أشعة الشمس يحرق، بينما مقدار الف فرسخ من أشعة الشمس - متشتتة ومتوزعة - لا يحرق .

ثم ان التضعيف الموجب لعدم التمكن من القيام بالواجبات محرم لانه

(١) دعاء كميل .

(٢) الكهف : ٣٩ .

(٣) مستدرک الوسائل : ٢٩٧/٨ ب ٣٩ .

فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِيْتِينِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطَّيْنِي بِهِ

مقدمة له فيجب رفعه .

وذلك فيما إذا علمنا من الشارع انه أراد ذلك الواجب - وكان شرطه شرط الوجود لا الوجوب - كما في ماء الغسل والوضوء ، ولهذا فإن الفاقد للماء يجب عليه أن يمشي غلوة سهم أو سهمين ، على تفصيل مذكور في الفقه ، وأما إذا لم يعلم من الشارع ذلك لم يجب ، كما إذا كان مريضاً قبل شهر رمضان وتمكّن - قبل حلوله - من علاج نفسه بحيث يتمكن من الصوم مع حلول الشهر المبارك فإنه لا دليل على وجوب العلاج حينئذ .

«فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِيْتِينِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطَّيْنِي بِهِ»

أمر الغير بإنجاز الحاجة

مسألة : يجوز بالمعنى الأعم أمر الغير بالحاجة خصوصاً إذا كان الأمر أعلى .

حيث قال ﷺ : «إِيْتِينِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ» و«غَطَّيْنِي بِهِ» .

ثم ان في بعض الروايات النهي عن طلب الحاجة من الغير ، لكن الظاهر ان أمثال تلك انما يراد بها الإفراط ، كما هي عادة بعض الناس في القاء كلهم على الناس ، لا القدر المتوسط العقلاني ، فإنه كان متعارفاً منذ صدر الإسلام إلى هذا اليوم ولم يقل أحد من الفقهاء - فيما أعلم - بكراهته ، وبعد ذلك لا مجال لان يقال : ان قول النبي ﷺ لفاطمة ؓ انما هو من باب التخصيص لذلك المطلق واستثناء طلب الاب من اولاده منه .

فَاتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِي فَغَطَّيْتُهُ بِهِ

وعلى أي حال، فهذا في الحاجة التي تتأتى من الإنسان ومن غيره. أما في ما لا يتأتى إلا من غيره كالبناء والحدادة والنجارة وما أشبه فلا يحتمل الكراهة إطلاقاً.

ولعلّ تخصيصه (عليها السلام) الكساء باليماني، لأنه كان أكبر أو أضخم ولذا فسّره صاحب كتاب نصاب الصبيان بالـ «كليم» وهو نوع من الفرش والبساط بينما سائر الكساءات لم تكن كذلك أو لم تكن متوفرة ولعله (عليها السلام) أراد أن ليسع أهل بيته (عليها السلام) عند مجيئهم، لعلمه وعلمهم (عليها السلام) بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة^(١).

«فَاتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِي فَغَطَّيْتُهُ بِهِ»

قضاء الحاجة

مسألة : يستحب قضاء حاجة الغير سواء طلبها من أخيه أم لم يطلب، ويتأكد في صورة الطلب^(٢) لجملة من الروايات الدالة على استحباب قضاء حاجة المؤمن.

بل لا يبعد استحباب قضاء حاجة الإنسان ولو لم يكن مسلماً للملاك في

(١) راجع بحار الانوار : ٢٦/ ١٩٤ ب ١٥ ح ١ .

(٢) راجع «الفضيلة الإسلامية» و«الفقه : الآداب والسنن» .

.....

سقي عليّ عليه السلام ^(١) والحسين عليه السلام ^(٢) الماء لمن حاربوهما، ولقوله عليه السلام : «لكلّ كبد حرى اجر» ^(٣) إذا فهم منه الملاك بالنسبة إلى كل الحاجات، سواء أظهرها أم تبين عنه تطلبه لها.

ثم ان فاطمة «عليها الصلاة والسلام» هي التي غطّت الرسول عليه السلام مما تكون أسوة في استحباب تغطية الرحم بل وغير الرحم أيضاً، لان الملاك عام حتى في غير الرحم.

طاعة الأب

مسألة : يستحب اطاعة الاب وقد يجب كما فعلت الزهراء عليها السلام . والأمر إذا اجتمعت فيه جهات يصلح كل واحد منها سبباً لرجحان الإطاعة - يحمل أمره على إحدى الجهات حسب ما تقتضي القرينة إذا لم يمكن الجمع .
والظاهر ان طاعة غير الاب من الاقرباء كذلك أيضاً مع اختلاف المرتبة، بل يستحب للإنسان إطاعة سائر المؤمنين في حوائجهم، فإن قضاء حاجة المؤمن يشمل حتى مثل ذلك، وإن كان المؤمنون يختلفون في شدة الإستحباب وعدمها .
بل ولعله يستحب حتى لغير المؤمن - كما اشرنا إليه - لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» ^(٤)، ولان الإمام

(١) راجع بحار الانوار : ٢٩/٤٢ ب ١١٦ ح ٨ .

(٢) راجع بحار الانور : ٣٨/٦٠ ب ٣٠ ح ١ بيان . ط بيروت . وفي ج ٤٤ : «فقال الحسين عليه السلام لفتيانہ : اسقوا القوم واروهم من الماء» .

(٣) بحار الانوار : ٣٧٠/٧٤ ب ٢٣ ح ٦٣ بيان .

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٥٢ .

وَصَرَتْ أَنْظَرُ إِلَيْهِ

الحسين (ع) نزل عن جواده بنفسه وسقى ذلك المحارب الذي جاء لقتله، في قصة مشهورة، ولغير ذلك من الأدلة أو المؤيدات.

«وَصَرَتْ أَنْظَرُ إِلَيْهِ»

النظر إلى وجه الأب

مسألة : يستحب النظر إلى وجه الأب، بل وإدامة النظر إليه والإكثار منه لما ورد من الروايات الدالة على استحباب النظر إلى وجه الأبوين، خصوصاً إذا كان الأب كالرسول (ص) أو كان عالماً، فقد ورد أن النظر إلى باب دار العالم عبادة ولابعد، إذ النظر بلطف نحو ذي الكمال وما يتعلق به يقرب الإنسان إلى الكمال، إذ أنه يستلزم التحنن والعطف نحو المنظور إليه وما يتعلق به^(١) وله أثر وضعي أيضاً ولعلّه لذا - ولو كجزء العلة - ارتد يعقوب (ع) بصيراً بسبب ثوب ولده، فإذا كان ثوب الولد كذلك يكون باب دار العلم والمراقدة المطهرة وما أشبه، بذلك الحكم أيضاً.

بل في قصة السامري: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾^(٢) فإذا كان تراب قدم فرس جبرائيل كذلك أفلا يكون ما يتعلق بهم (ع) بهذه الحيشة؟ بل وبطريق أولى لأنه خادمهم (ع) وذلك ليس خاصاً بالنظر، بل التحسس بما أمكن من

(١) كما هو من مقدمات الاقتداء به، وهو نوع من التشويق على العمل الصالح.

(٢) طه: ٩٦.

الحواس الخمس كذلك، فقد أخذت الزهراء «سلام الله عليها» حفنة من تراب القبر المطهر وأنشدت: «ماذا على من شمّ تربة أحمد عليه السلام» الابيات^(١).
 وورد ان من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان عن الله فقد عبد الله وإن كان عن الشيطان، فقد عبد الشيطان فإن الحواس الخمس بالإضافة إلى الفكر لها احكام اقتضائية ولا اقتضائية، ولذا ورد «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(٢) إلى غير ذلك مما يجده المتبع في كتب الاحاديث والاخلاق.

النظر إلى وجه المعصوم عليه السلام

مسألة : يستحب النظر إلى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بل إلى وجه مطلق المعصوم عليه السلام.

وفي الحديث : « النظر إلى وجه علي عبادة»^(٣) وبحكمه : النظر إلى آثاره كخط يده أو ما أشبه ذلك، ويشهد لذلك روايات استحباب النظر للكعبة ولباب دار العالم، بطريق أولى.

(١) المناقب لابن شهر آشوب : ٢٤٢/١ أولها : «قل للمغيّب تحت اطباق الثرى».

(٢) بحار الانوار : ٣٢٧/٧١ ب ٨٠ ح ٢٢ .

(٣) الوسائل : ٨٥٤/٤ عن مجالس ابن الشيخ ص ٢٩٠ وفيه : «النظر إلى علي بن ابي طالب عليه السلام عبادة».

وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَا كَأَنَّهُ الْبَدْرُ

«وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَا كَأَنَّهُ الْبَدْرُ»

ذكر الكرامات

مسألة : يستحب ذكر ما يشاهده الإنسان من كرامات المؤمنين بالله ، كما ذكرت «سلام الله عليها» ذلك بقولها : «وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَا» .
وهل كان وجهه عليها السلام يتلأ بنور مادي خارق للعادة إعجازاً ، أم ان هذا الكلام منها «عليها الصلاة والسلام» على وجه التشبيه؟
احتمالان . ولا يبعد الاول .

وهكذا يستحب ذكر مطلق كرامات ومعاجز المعصومين عليهم السلام لما فيه من الفائدة العظيمة والتي من أهمها جمع الناس حولهم ، فإن القائد إذا التفّ الناس حوله تكون كلمته أكثر نفوذاً وقيادته أكثر استحكاماً ، وبذلك يسعد الناس في دنياهم وآخرتهم ، بالإضافة إلى ان ذكر الكرامات والمعاجز يوجب قلع الناس عن المادية البحتة ، فإن الماديين يتصورون ان المادة هي كل شيء ، والمعاجز والكرامات لما كانت خلاف المعادلات المادية ، فإنها تدل على أن (الماورائيات) وعالم الغيب ايضاً شيء له تأثيره الخارجي الكبير ، ولذلك لا يرتطم الإنسان في احوال المادي التي تؤدي بدنياه وآخرته .

فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ

التشبيه في الكلام

مسألة : يجوز التشبيه في الكلام ويرجح فيما لو تضمن حثاً على الخير أو كان عمّن هو من أولياء الله كما قالت عليها السلام : «كأنه البدر في ليلة . . .» كما في قوله تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة . . .﴾^(١).

«فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ»

مزید البیان

مسألة : ينبغي تكثير اللفظ لمزيد البیان والفائدة، كما في قولها عليها السلام : «تمامه وكمال» وهو من صغريات الإتيان، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله : «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن»^(٢).

فإن القمر يقال له : البدر قبل الليلة الرابعة عشر وبعدها، حيث أنه في الثالثة عشر والخامسة عشر يرى كاملاً أيضاً^(٣) وإن كان في الحقيقة يطراً عليه شيء من النقص من هذا الجانب أو من ذلك الجانب كما لا يخفى.

والظاهر أن الفرق بين التمام والكمال أن التمام بالنسبة إلى الكم، والكمال

(١) إبراهيم : ٢٤ .

(٢) الكافي : ٢٦٢/٣ ح ٤٥ .

(٣) راجع لسان العرب مادة بدر حيث يقول : «والبدر القمر إذا امتلأ» و«سمي بداراً لتمامه» .

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً

بالنسبة إلى الكيف .

مثلاً : المائدة قد تكون تامة وليست كاملة وقد تكون كاملة وليست تامة ،
أما إذا كملت وتمت من حيث الكم والكيف تسمى تامة كاملة ، وتنام القمر مثلاً
بالليلة الرابعة عشرة وكماله أن لا يكون هنالك غيم رقيق أو عجاج أو ما أشبه
يحول دون كمال نوره للناظرين ، وربما كان المراد : شدة نوره ، فالكمال على هذا
ثبوتي وعلى ذاك إثباتي .

«فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً»

تحديد الأحداث

مسألة : يستحب التوقيت - كما سبق - حيث قالت «سلام الله عليها» :
«فما كانت إلا ساعة . . .» .

إذ إن الإخبار عن الوقت الماضي أو الآتي ومقدارها ، داخل في «نظم
أمركم»^(١) - كما قاله علي (ع) - فإن النظم يشمل الزمان والمكان وسائر المزايا
والخصوصيات كالكم والكيف وغيرهما من المقولات .

ويؤيده قوله سبحانه : ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿مَوَاقِيتٍ لِلنَّاسِ﴾^(٣) .

(١) مستدرک الوسائل : ١٣ / ٤٤١ ب ١ . عن نهج البلاغة ٣ / ٨٥ .

(٢) الإسراء : ١٢ .

(٣) البقرة : ١٨٩ .

والظاهر ان المراد بـ«الساعة»: القطعة من الزمان، لا الساعات المستوية أو المعوجة الفلكية وإن اطلق عليها جميعاً، للإنصراف.

وليس تواليهم ﷺ في المجيء بعيداً - مع قطع النظر عن الجانب الغيبي ومعرفتهم مسبقاً بالامر - فإن بيت الزهراء ﷺ كان له بابان، باب إلى المسجد ولم يغلقه الرسول ﷺ حيث سدّ الابواب بأمر الله سبحانه إلا بابها^(١)، وباب إلى الشارع، وكان هؤلاء الاطهار ﷺ غالباً في المسجد أو حواليه.

ويدل على وجود البابين، انهم اخرجوا باب دارها «عليها الصلاة والسلام» الذي كان إلى الخارج لا الذي كان إلى المسجد، وسحبوا علياً «عليه الصلاة والسلام» من ذلك الباب إلى المسجد، لا من الباب الذي كان في المسجد.

وقد كانت «سلام الله عليها» تبكي فتسمع من في المسجد، مما راوا ان بكاءها يفضحهم - على تفصيل مذكور في التواريخ -.

ولا يخفى ان عادة ضبط الوقت مما يزيد في إقبال الناس على العمل الجاد لان الضابط يلتفت أكثر فأكثر إلى تقضي عمره تدريجاً، وان ما انقضى لا يعود، وهذا يشجع أكثر على العمل الصالح.

ما هي حقيقة الزمان؟

وهنا نقاط حول الزمان نذكرها بالمناسبة.

هل ان الزمان والمكان انتزاعيان أو حقيقيان؟ ومن أية مقولة؟ بل هل هما شيان أو شيء واحد، كما ذهب إليه بعض المعاصرين؟

(١) راجع تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ ص ١٧ .

ان ذلك من اغمض الاشياء قديماً وحديثاً، كسائر حقائق الاشياء، فالمفهوم من اظهر الاشياء والكنه في غاية الخفاء، ومن الطريف ان الزمان متعاكس ومتخالف طولاً وعرضاً، ففي بعض الروايات ان السلطان إذا كان عادلاً أمر الله الفلك ببطء الدوران، وإذا كان ظالماً أمر الله الفلك بسرعة الدوران، وقد ذكرنا في «الفقه: الآداب والسنن» كيفية اختلاف الزمان في قطعتين من الارض في إحداهما الملك العادل وفي الأخرى الملك الظالم.

هذا من ناحية العرض. (١)

أما من ناحية الطول فهناك ما يشير الإستغراب :

فقد ورد ان الرسول (ص) عُرِجَ به إلى السماء وجرت قضايا ومشاهدات كثيرة ما يستوعب - حسب الظاهر - ربما مقدار شهر من الزمان أو أكثر بينما لما رجع لم يكن قد انقضى من الزمن في الارض إلا مقدار دقيقة أو أقل (٢) مما يدل على ان الامر في الارض أقل من المكان أو البعد الذي دخل فيه الرسول (ص) حتى بالنسبة إلى ذهابه إلى المسجد الأقصى.

وقد التزم جماعة (٣) بامتداد الزمان وتقلّصه حسب سرعة الحركة (٤)، فإذا كان شخص عمره عشرون سنة تحرك دون سرعة الضوء - بحد معين - إلى مجرة أخرى مما استغرق ذهابه وإيابه خمسين سنة، فإنه إذا رجع إلى الارض يكون

(١) المراد زمن واحد ممتد على مساحتين.

(٢) إحدى الروايات تفيد انه (ص) ذهب ورجع، وحركة حلقة الباب لم تتوقف بعد! مما لا يتجاوز ثوان معدودات.

(٣) منهم «انيسيتين».

(٤) من الاقوال القديمة عند الفلاسفة في حقيقة الزمن انه مقدار الحركة (أو مقدار حركة الفلك).

وَإِذَا بُولَدِي الْحَسَنَ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ

عمره سبعون سنة، بينما سيري انه قد انقضى من عمر الارض اربعة ملايين سنة!^(١) وربما يؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٢) على بعض التفاسير وكذلك ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣).

ومن الطريف في العرض ما ورد في بعض المكاشفات: ان انسانين ماتا، أحدهما مجرم والآخر محسن، فإن الاول مرّ عليه في ساعة واحدة مقدار ألف سنة، والثاني مرّ عليه في قدر ألف سنة مقدار ساعة، ولا ينافي هذا ما سبق فليدقق^(٤).

ولعله يأتي يوم ينكشف فيه حقيقة الامر بإذن الله سبحانه.

«وَإِذَا بُولَدِي الْحَسَنَ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ»

السلام على الأم و...

مسألة : يستحب السلام على الأم والبنت والزوجة كما فعله أولئك الاطهار الثلاثة «عليهم أفضل الصلاة والسلام»، وقد أشرنا إلى المسألة سابقاً، ونضيف:

لا يقال : ان ذلك من البديهيّات.

(١) مجلة العربي : العدد ٤٠٠ .

(٢) السجدة : ٥ .

(٣) المعارج : ٤ .

(٤) يتضح ذلك بمراجعة توجيهه «دام ظله» في «الأدب والسنن» لتلك الرواية الشريفة.

لأنه يقال : إنما صارت هذه الأمور بديهيّة بسبب قولهم وفعلهم وتقريرهم (عليها السلام) وإلا فالمرأة - مثلاً - لم تكن لها كرامة في الجاهلية، بل حتى يومنا هذا ترى بعض الجهال يُنزلون المرأة إلى مرتبة الحيوان أو أدنى، كما أن الغربيين يعدون المرأة آلة لترويج البضائع وترفيه الرجل، وقد رأيت أنا من يقول : - وهو يذكر شيئاً عن زوجته - «تكرّم . . . زوجتي» كما يقول في نفس الوقت : «تكرّم كلبتي» فهو يعتقد بحقارتها.

لا يقال : أن الإسلام أيضاً أهان المرأة حيث قال (عليها السلام) : «ناقصات»^(١) وما أشبه ذلك .

لأنه يقال : قد ذكرنا في بعض كتبنا : أن الإسلام أراد أن يجعل المرأة في مكانتها الطبيعية فلا إفراط ولا تفريط، فالمراد بالنقص الإشارة إلى الحدود التكوينية للمرأة، ونوعية وظائفها وانها ليست مثل الرجل، من قبيل أن السيارة الصغيرة لها أربع عجلات في قبال السيارة الكبيرة حيث لها ثمان عجلات أو أكثر، لا النقص بمعنى النقيصة كإنسان لا يد له، ولذا أكرمها الله بقوله تعالى : ﴿لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾^(٢) وقال (عليها السلام) : «فإن المرأة ريحانة»^(٤) فالطائفتان من قبيل : ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾^(٥) و﴿انه كان ظلوماً جهولاً﴾^(٦) وقد تقدم الإلماع إلى مثل ذلك .

(١) تهذيب الاحكام : ٤٠٤/٧ ب ٣٤ ح ٢١ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٣) راجع : «فاطمة الزهراء افضل أسوة للنساء» و«نكاتى از شخصيت اسلامى زن» للإمام المؤلف .

(٤) وسائل الشيعة : ١٢٠/١٤ ب ٨٧ ح ١ . عن الكافي : ٦١/٢ .

(٥) الإسراء : ٧٠ .

(٦) الاحزاب : ٧٢ .

يا أُمّاهُ

«يا أُمّاهُ»

التسمية

مسألة : يستحب تسمية المسلّم عليه بعد السلام مباشرة، كما قال ﷺ :
«السلام عليك يا فاطمة» .

وقال الإمام الحسن ﷺ : «السلام عليك يا أُمّاه» إلى آخره .
بل يستحب تسمية كل من المسلّم والمسلّم عليه الآخر ولذا سمّى
الرسول ﷺ وعلي ﷺ والحسنان ﷺ فاطمة «صلوات الله عليها»^(١) والمراد
بالإسم : الأعم من الكنية واللقب .

وكما سمّت فاطمة «سلام الله عليها» أولئك الاطهار ﷺ .
وقد ذكر علماء النفس ان الإنسان يهش إذا ذكر اسمه في مقام التعظيم كما
يوجب ذكر اسم المحبوب الفرح للمسمّى ايضاً .
وبذلك يظهر انه لا خصوصية في السلام والجواب، بل ملاكه - مثل الادلة
الأخر كما هنا بذكر اسم أولئك الاطهار ﷺ الرسول الأعظم ﷺ في قصة تلقيهم
التمر، قائلاً: هنيئاً مريئاً يا حسن^(٢) وهكذا - يشمل كل مكان يناسب ذكر
الإسم .

(١) جرى ذكر أدلة ومؤيدات أخرى للإستحباب، سابقاً في مسألة «استحباب التلقب» فليراجع .

(٢) بحار الانوار : ٤٣ / ٣١١ ب ١٢ ح ٧٣ .

.....

وفي أحاديث المعراج : ان الله سبحانه كرر في خطابه له عليه السلام ذكر «يا أحمد»^(١) وكذلك في خطابه لبعض الانبياء الآخرين ، سواء في القرآن مثل : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾^(٢) و : ﴿ناديناه أن يا إبراهيم﴾^(٣) وهكذا ، أو فيما روي من الأحاديث القدسية .

نعم إذا كانت التسمية اهانة - في بعض الاعراف الإجتماعية - فلا يكون من المستحب بل من المكروه ، وأحياناً الحرام ، كل في موره .

خطاب الأم

مسألة : يستحب خطاب الأم بكلمة «يا أمّاه» أو ما شابه مما يعدّ احتراماً لها .

(١) عوالم العلوم : ٢٦/١١ ب ٣ ح ١ . تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام . نقلاً عن الجنة العاصمة عن كشف اللآلي لابن العرندس باسناده عن جابر الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى انه قال : «يا أحمد لولاك لما خلقت الافلاك ولولا عليّ لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما» .

(٢) طه : ١٧ .

(٣) الصافات : ١٠٤ .

فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ

«فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ»

صيغ السلام المختلفة

مسألة : قد سبق انه يجب رد السلام ، وقد سبق حكم ما لو كان المسلم غير بالغ ، ويجوز ان يجيب بآية صيغة مثل : «عليك السلام» و«عليكم السلام» و«عليكم السلامات» و«عليكم سلامات» و«عليك سلام الله» و«عليكم سلام الله» ، وكذلك إذا قدم «السلام» على «عليك» .

والظاهر انه يكفي في كل من التسليم والرد لفظ : «السلام» فقط ، ولذا قال في القرآن الحكيم : ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾^(١) وجعلُ هذا إشارة إلى أنهما سلّما بصيغة كاملة لا ظهور له إذ هو مجاز والمجاز خلاف الاصل .

وهل يكون من السلام الصيغ الأخر مثل : «عليك التسليم» أو : «التسليم عليك» أو : «أنا مسلّم» أو يقول في جواب : أنا مسلّم أو ما أشبه ذلك ؟ لا يبعد ذلك للإطلاقات وكونه تحية وداخلاً في قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾^(٢) .

ولو لم يكن في السلام ذكر الله تعالى ، لا لفظاً ولا تقديرأً ، كما لو قال : «عليك سلام الملائكة» فهل يجب الجواب ؟ لا يعلم الوجوب .

(١) هود : ٦٩ .

(٢) النساء : ٨٦ .

.....

وكذلك لا يعلم الكفاية إذا قال المجيب : «عليك سلام الملائكة» .
والحاصل انه كلما عرف ولو بالملاك المطمئن به انه داخل في السلام
والجواب أخذ به وكلما شك فالأصل العدم .
ولربما يسأل : لماذا قدّمت فاطمة «عليها الصلاة والسلام» الخبر على المبتدأ
بينما العادة جارية على تقديم المبتدأ على الخبر مثل : «السلام عليك أيها النبي»
و«السلام علينا» و«السلام عليكم»؟
الجواب : لعل السبب ان تقديم «عليك» أدل على المحبوبة ، كما ذكره في
علم البلاغة من ان المقام إذا كان مقام هذا أو ذاك قدم ما كان المقام مقامه .
ولا يبعد جواز تغيير «عليك» إلى سائر الصيغ التي تفيد هذا المعنى مثل :
«السلام لك» ، ولذا ورد في بعض السلامات : «اللهم أنت السلام ومنك السلام
وإليك يعود السلام ودارك دار السلام حيناً ربنا منك بالسلام»^(١) .
والملاك هنا أيضاً هو ما ذكرناه من الملاك الأنف وجوباً وعدمياً ، ولابن العم
رحمه الله^(٢) رسالة سلامية ذكر فيها ألف مسألة حول السلام ، لكنها لم تطبع
حتى الآن .

(١) مفاتيح الجنان : ٣٩٠ : اعمال جامع الكوفة ط بيروت .

(٢) آية الله العظمى السيد عبدالهادي الشيرازي «قدس سره» .

يا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي

«يا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي»

مدح المؤمن وتوقيره

مسألة : يستحب مدح الطرف الآخر بالحق وتوقيره، سواء في السلام أو في أثناء الكلام أو في سائر الموارد، ومنه الإشارة بالفعل وما أشبه، ولذا قالت «سلام الله عليها»: «يا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي».

ووجه هذه الكلمة: ان الإنسان الذي فقد شيئاً أو خاف محذوراً، تأخذ عينه في النظر هنا وهناك بدون استقرار، فإذا وجده أو أمن استقرت عينه، وفاقد الولد شاردة عينه فإذا جاءه الولد استقرت، ف«قُرَّةَ عَيْنِي» من القرار والاستقرار. كما ان في بعض تعابيرهم عليه السلام: «ثمرة فؤادي» وكأنه بمناسبة ان الشجرة كما تتزيّن بالثمرة كذلك يتزيّن الإنسان بالولد، ويمكن أن تكون المناسبة غير ذلك^(١).

ومن المعلوم ان المدح يوجب قوة التجمع وتماسكه سواء في الاجتماع الصغير من قبيل العائلة، أو الوسط كالقبيلة والتجمعات المهنية أو الثقافية أو الإقتصادية أو ما أشبه، أو الكبير كاهل البلد والقطر، أو الأكبر كالامة.

لكن المدح يجب ان يكون بمقدار يطابق الواقع، وان لا يكون فيه محذور، وإلا فقد قال عليه السلام: «احثوا في وجوه المداحين التراب»^(٢) وذلك فيما كان تملقاً أو ما

(١) الثمرة امتداد للشجرة كمّاً وكيفاً وزمناً، وكذلك الولد، كما انها علة غائية لها في الجملة، وهي بالفعل لما هو في الشجرة بالقوة.

(٢) بحار الانوار : ٢٩٤/٧٣ ب ١٣٤ ح ١ . عن امالي الصدوق : ٢٥٦ .

.....

كان من مصاديق مدح الظالم أو ما أشبه ذلك .
وكما يستحب المدح في مورده يكره القدح - مع المنع من النقيض حرمة أو بدونه كراهة - فيما إذا انطبق عليه عنوان محرم أو مكروه .

إظهار المحبة للأولاد والأقرباء

مسألة : يستحب إظهار الأمّ المحبة لأولادها كما في قولها (عليها السلام) : « يا قرّة عيني وثمره فؤادي » .

وهذا ليس خاصاً بالأمّ، بل كذلك حال الأب، والأولاد بالنسبة إلى الأبوين وهكذا سائر الأقرباء، فإن إظهار المحبة نوع من الإجلال والاحترام، وهكذا حال إظهار المحبة بالنسبة إلى سائر المؤمنين .

وكما يمكن إظهار المحبة بالكلام كذلك يمكن بالكتابة والإشارة .

والفرق بين « المودة » و « المحبة » إذا اجتمعا : ان « المودة » هي الظاهرة و « المحبة » هي القلبية، أمّا إذا اختلفا فكل يشمل الآخر .

فَقَالَ : يَا أُمّاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً

«فَقَالَ : يَا أُمّاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً»

استحباب السؤال والتحقيق^(١)

مسألة : يستحب السؤال والاستعلام عن المجهول^(٢) ومنه السؤال عن أهل الدار عما يستجد فيه كما سأل الحسن ثم الحسين ثم علي «عليهم الصلاة والسلام» بقولهم : «إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً».

ثم لا يخفى ان السؤال ينقسم إلى الاحكام الخمسة ، فقد يكون واجباً كما في السؤال عن الأمور الدينية الواجبة ، قال تعالى : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٣) . وقد يكون مستحباً كالسؤال عن الأمور الدينية أو الدنيوية المستحبة ذاتاً أو الراجع الإطلاع عليها .

وقد يكون مكروهاً كما إذا كان مزعجاً في الجملة ، أو مستلزماً للوقوع في المكروه .

وقد يكون حراماً ، قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ﴾^(٤) . وقد يكون مباحاً : كغير موارد الاحكام الأخرى^(٥) .

(١) راجع «الفقه : العقل» .

(٢) إذ السؤال طريق المعرفة ، كما ان التفكير والتدبر طريق لها .

(٣) النحل : ٤٣

(٤) المائدة : ١٠١ .

(٥) ربما يكون المقصود : السؤال عن ما لا يضر جهله ولا ينفع علمه بوجه .

.....

لكن لا يخفى ان السؤال المحرّم - كالسؤال الواجب - ليس محرماً بذاته وإنما يحرم لعارض، مثل: ان يكون موجباً لهدر حق أو مستلزماً ضرراً بالغاً للسائل أو ما أشبه ذلك، وإن قال بعض بالوجوب النفسي في بعض الموارد. أما الآية المباركة فهل هي محمولة على الحرمة أو الكراهة؟ احتمالان، وإن كان الظاهر من آخرها انها على نحو الإرشاد والكراهة.

أما ما ورد من ان السؤال ذل^(١) فالمراد - على تقدير كون المعنى المراد هو السؤال بمعنى الاستعلام^(٢) الإشارة إلى حقيقة تكوينية وهي انزلية مرتبة السائل من حيث هو سائل من المسؤول عنه بما هو كذلك، إضافة إلى ان كونه ذلاً لا يستلزم كراهته مطلقاً بل يدخل الامر في باب التزاحم، ولذا ورد في الحديث: «ما ضلّ من استرشد»^(٣)، وورد: «ولا يستحينّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه»^(٤) ولذا قالوا: «اسأل عن أمور دينك حتى يقال: انك مجنون» بمعنى: كثرة السؤال.

(١) راجع من لا يحضره الفقيه : ٣٧٥/٤ ب ٢ وقال علي عليه السلام: «السؤال مذلة»، بحار الانوار: ١٢/٧٨ ب ١٥ ح ٧٠.

(٢) إذ يحتمل كون المراد به الاستجداء فعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لابي ذر: «يا اباذر إياك والسؤال فإنه ذلّ حاضر وفقر تتعجّله وفيه حساب طويل يوم القيامة».

(٣) بحار الانوار : ١٢/٧٨ ب ١٥ ح ٧٠.

(٤) نزهة الناظر وتنبية الخاطر : ٥١ ط قم . ونهج البلاغة قصار الحكم : ٨٢ .

استعمال الطيب^(١)

مسألة : يستحب استعمال الطيب خصوصاً المتزايد منه ، كما كانوا يجدونه فيه ﷺ ، وكما دل حديث الكساء عليه حيث كان النبي ﷺ يكثر من الطيب بالإضافة إلى ما كان له من الحسن والطيب الذاتي ، ولعل استعماله الطيب مع عدم حاجته إليه بدنياً ، كان بُغية أن يتساقط منه في الطريق^(٢) ، كما في الاحاديث وإن يكون أسوة فلا يقولون انه طيب ذاتاً ، فمالي وله ؟

وقد ورد في الحديث انه ﷺ أمر بأن يشتري بثلثي مهر الزهراء «سلام الله عليها» الطيب .^(٣)

وفائدة الطيب لا تنحصر في الرائحة الحسنة فقط ، بل له فوائد أخرى منها : انه منشط للأعصاب ، وموجب لعدم نفرة بعض عن بعض ، بل موجب للتقارب أكثر فأكثر ، فإن الإنسان ينفر من الروائح الخبيثة بينما ينتعش ويستأنس بالروائح الطيبة .

إذ الإنسان مفطور على حب النظافة ، و«النظافة من الإيمان»^(٤) في كل شيء ، في الدار والاثاث والبدن والدكان واللباس وغير ذلك .

(١) راجع «الفقه : الآداب والسنن» .

(٢) إذ ان قسماً من الطيب مائع ، وهناك قسم جامد كالطحين يذرّ على الملابس ونحوها مثل : الذريرة والسعوط والمسك .

(٣) راجع عوالم العلوم ج ١١ ص ٣٥٧ باب ٦ حديث ٤ تحقيق مؤسسة الإمام المهدي ﷺ .

(٤) نهج الفصاحة : ٦٣٦ ح ٣١٦١ .

وللطبيب بحوث كثيرة مذكورة في كتب الحديث والطب وغيرهما^(١).
 أما استعمال الروائح المنفرة وما يستلزمها كالتدخين فهو من أسوأ الأشياء
 حيث يستلزم القذارة والوساخة في الإنسان وغيره، كما يستلزم تنفير الناس
 خصوصاً الزوجة من الزوج المدخن وبالعكس، وكذا يستلزم الأمراض كالسرطان
 والتدرن الرئوي وغيرهما.
 ثم ان الروائح الكريهة مكروهة استعمالاً، إلا إذا سببت إيذاء للناس فإنها
 عندئذ محرمة^(٢).

ولا يخفى ان الجوارح لها احكام، فللأذن احكام، وللعين احكام،
 وللسان والذوق احكام، وللمس احكام، وأما الأنف فلم نجد له حكماً إلا في
 الحج حيث يحرم امساك الأنف عن الروائح الكريهة.
 ومن المحتمل أن يكون من المكروه أيضاً استشمام رائحة المرأة الأجنبية، ولذا
 قالت «سلام الله عليها» - في قصة ابن أم مكتوم - : «واشم ريحه»، حيث ان
 الكراهة في الجانبين أي : شم الرجل رائحة المرأة وشم المرأة رائحة الرجل.
 أما إذا كان موضع رية وافتتان فلا يبعد الحرمة.

كما ان استعمال المرأة التي تخرج من البيت للطيب بحيث يشم ريحها
 الاجانب مكروه جداً، وقد قال بعضهم بالحرمة ولو لم يكن موضع رية وتلذذ
 وخوف افتتان.

ولا يبعد استحباب شم الاطفال رحمة ورافة بهم كما ورد بالنسبة إلى

(١) تطرق الإمام المؤلف «دام ظله» لذلك في العديد من كتبه ومنها «الفقه : الآداب والسنن»
 و«الفقه : الحج».

(٢) إلا في صورة التزاحم، ويستثنى أيضاً ما كان متعارفاً.

كَانَهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

رسول الله ﷺ حيث كان يشم علياً عليه السلام في طفولته، وهناك بعض الروايات الأخرى بالنسبة إلى استشمامه للحسين «عليهما الصلاة والسلام» وكذلك فاطمة «صلوات الله عليها».

واحكام الطيب في الحج واضحة.

«كَانَهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»

عدم التسرع في الحكم

مسألة : يرجع عدم التسرع في الحكم على شيء قبل استظهاره، كما في قول الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام : «كانها رائحة جدِّي» وقول علي عليه السلام : «كانها رائحة أخي وابن عمي».

والجاهل غالباً يتسرع في إصدار أحكامه بشكل قطعي كما نشاهد ذلك في كثير من العوام والاطفال، بينما العاقل لا يقطع ثبوتاً، ولا يتسرع في ذكره اثباتاً، إلا بعد التأكد والتفحص والتثبت، وحتى بالنسبة إلى القطعيات العرفية، فإن كثيراً منها يشك فيها لدى التأمل، فيلزم على الإنسان أن لا يقطع بها فوراً، بمعنى أن تكون له حالة من التساؤل والتردد وطرح شتى الاحتمالات، ولذاذكروا: ان اخطاء الحواس - من العين والأذن وغيرهما - تصل إلى ثمانمائة قسم، ومن قرأ علم الفلسفة والفيزياء وما أشبه ظهر له كثرة أخطاءه حتى في القطعيات. (١)

(١) حول الجوانب المختلفة لهذا المبحث راجع «الفقه: العقل» و«الأصول: مبحث القطع».

وهل كانت رائحة الرسول (ص) رائحته الذاتية المنبعثة من جسده المبارك أو رائحة طيبة مكتسبة؟

احتمالان، فإن كانت تلك الرائحة رائحة طيبة مكتسبة دلّ هذا الكلام - ونحوه مما ورد في الروايات - على انه (ص) كان يستعمل عطراً خاصاً، دائماً أو غالباً حتى عُرف به .

الإتيان باللقب

مسألة : قد سبق انه يستحب الإتيان باللقب، كما في قوله (ع) : «جدي رسول الله» وكذلك في قول علي (ع) : «أخي» .

بحث في مؤاخاته (ص) لعلي (ع)

ثم لا يخفى ان الرسول (ص) آخى بين اهل مكة رجالاً ونساءً، الرجال للرجال والنساء للنساء، مرةً، وآخى بين المهاجرين والانصار - رجالاً ونساءً كذلك - في المدينة المنورة مرةً ثانية^(١) وفي كلتا المرتين اتخذ علياً (ع) اخاً لنفسه دون غيره .

اما في مكة فهو واضح^(٢) واما في المدينة - مع ان فلسفة الإخاء فيها كانت

(١) حول هذا المبحث راجع «لاول مرة في تاريخ العالم» للإمام المؤلف .

(٢) لوجود المقتضي وانتفاء المانع، واما في المدينة فلربما يتوهم ان فلسفة الإخاء فيها كانت مانعاً من اتخاذه اخاً وسبباً ليتخذ احد الانصار اخاً، ولذلك تصدى الإمام المؤلف «دام ظله» للإجابة عن ذلك .

فَقُلْتُ : نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ

تقتضي أن تكون بين أحد المهاجرين ومثله من الانصار - فإفادة انه عليه السلام لا يمكن أن يكون له أخ في مستواه، كما أن علياً عليه السلام لا يمكن أن يكون له أخ في مستواه، وإنما هما نور واحد واحد هما أخ الآخر، وإن كان الرسول عليه السلام في المرتبة الأولى وعلي عليه السلام في المرتبة الثانية.

ولعل من أسباب هذا التآخي إفادة انه عليه السلام مع علي عليه السلام كموسى وهارون عليهما السلام اعتباراً، وإن لم يكن أخاه حقيقة، كما كان هارون عليه السلام أخاً لموسى عليه السلام حقيقة.

ويدل عليه حديث المنزلة المشهور بين الشيعة والسنة، حيث قال عليه السلام :
«يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

«فَقُلْتُ : نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

الإجابة على الأسئلة

مسألة : تستحب الإجابة على سؤال السائل فإنه من مصاديق «قضاء الحوائج»، وقد يكون من صغريات «إرشاد الجاهل» و«تنبيه الغافل» ومن مصاديق «المعروف».

وهذا أيضاً ينقسم إلى الاحكام الخمسة كما ذكرناه في باب السؤال على تلك الوتيرة.

ويصح أن تكون الإجابة باللفظ أو الكتابة أو الإشارة، لأن الكل يفيد شيئاً

(١) بحار الانوار : ٤٨٧/٣٢ ب ١٢ ح ٤٢٠ .

واحدًا.

نعم قد يكون بعضها أولى من بعضها الآخر، فإن في الجواب لفظاً إحتراماً لا يتحقق - عادة - مثله في الإشارة.

الوضوح والتعجيل والإيجاز

ويستحب أيضاً التعجيل في الإجابة وبدون لبس أو إبهام^(١) ولذا نرى أنها (ع) فور سؤال الحسن والحسين وعلي (ع) منها قالت: «نعم ان جدك تحت الكساء»، و«ها هو مع ولدك تحت الكساء».

كما يرجح أن يكون الجواب على قدر السؤال^(٢) ولكن قد يكون تطويل الجواب وتفصيله مطلوباً وإن كان أكثر من حدود سؤال السائل كما أنها «عليها الصلاة والسلام» قالت: «تحت الكساء» زيادةً على المسؤول عنه^(٣) لمحبة التكلّم مع المحبوب كما ذكره علماء البلاغة في قوله سبحانه: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾^(٤) حيث كان تكلّمه مع الله سبحانه وتعالى محبوباً لموسى مع أن في إجابته: ﴿هي عصاي﴾ كفاية في مقام الجواب على سؤال الله سبحانه وتعالى.

ولكن قد يكون السبب في إطالة الجواب على سؤال الله جهة أخرى غير هذه الجهة التي ذكرها علماء البلاغة من محبوبة اطالة الكلام مع السائل وهي:

(١) إذ ذلك من مصاديق «الإتقان»، والتعجيل تعجيل في قضاء حوائج الإخوان.

(٢) وذلك من (الحكمة).

(٣) إذ ظاهر السؤال كان عن أصل وجوده (ع).

(٤) طه : ١٨ .

.....

ان موسى ﷺ أراد أن يعدّد الفوائد كي يستكشف ان الله سبحانه وتعالى أراد آية فائدة منها حيث لم تكن هناك قرينة مقامية تعين المراد والهدف المقصود، كما إذا قال إنسان لشخص آخر بيده كتاب: ما هذا الذي بيدك؟

فيقول: كتاب فيه مختلف العلوم الادبية من النحو والصرف والبلاغة والإشتقاق ونحوها، وهو بهذا يحاول أن يطلع السائل على محتويات الكتاب حتى إذا كان مراده النحو أو الصرف أو البلاغة أو الإشتقاق اشتراه أو استعاره أو ما أشبه ذلك، وإذا كان مراده اللغة أو التفسير مثلاً أو ما أشبه ذلك لم يأخذه، إلى غير ذلك من الفوائد المحتملة في إطالة السؤال أو الجواب ولربما كان في إجابتها «تحت الكساء» جهة أخرى غير صرف محبوبة الكلام مع المحبوب فليدقق.

ثم ان الافضل في الجواب - كما أشير إليه - أن يكون حسب مقتضى الحال من الإجمال أو التفصيل كما ان رسول الله ﷺ أجاب: نحن من ماء، في القصة المشهورة، لانه ﷺ لم يرد ان يبين الخصوصيات، وقد صدق ﷺ لأن الإنسان مخلوق من الماء.

وقد لا يمكن التفصيل لان ذهن الطرف المقابل لا يستوعبه أو يتحمّله كما قال سبحانه: ﴿يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(١) فإن الإنسان لا يستوعب حقيقة الروح، كما انه لا يستوعب حقيقة النفس والعقل وكثير من الصفات النفسية، كالغضب والحزن والصفات الأخر، بل ان الإنسان يجهل حتى حقيقة نفسه^(٢)، وقد يكون من حكم ذلك: أن يعترف الإنسان بعجزه فيعدل عن

(١) الإسراء: ٨٥ .

(٢) كتب أحد علماء الغرب كتاباً سماه: «الإنسان ذلك المجهول» .

«فَاقْبَلِ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ»

غروره وكبرياءه.

ولذا نحن نعيش سبعين أو ثمانين أو مائة، وربما مائة وخمسين سنة، وبعد ذلك كله لا نعرف كثيراً من حقائقنا الداخلية، إلا على نحو مجمل جداً، فما هو المخ؟ وما هو الكبد؟ وما هي الرئة؟ إلى غير ذلك.

نعم أنبياء الله والمعصومون «صلوات الله عليهم أجمعين» يعرفون الشيء الكثير الكثير الذي لا نعرف منه حتى القليل القليل، وهذا بحث طويل مذكور في كتب علم «النفس الإنسانية» وفي كتب سائر العلوم المرتبطة بحقائق الأشياء. وقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ الذي هو في أعلى مراتب العلم قائلاً: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(١).

وأخيراً فإنه يمكن الإسترشاد بهذه الرواية - حديث الكساء - ونظائرها لضرورة اهتمام الأبوين بما يسأله الطفل وعدم إهمال الإجابة على أسئلته - كما يفعله كثير من الآباء والأمهات - وقد ثبت علمياً ما لذلك من التأثير الكبير على شخصية الطفل وفكره ونفسيته وسلوكه الحالي والمستقبلي.

«فَاقْبَلِ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ»

التوجه نحو العظيم

مسألة : يستحب الإقبال والتوجه نحو العظيم والوفود إليه، كما صنع

الحسن والحسين وعلي وفاطمة (عليهم السلام).

.....

فإن العظيم يُزار ولا يزور^(١) إلا إذا كان مأموراً بالزيارة بنفسه كما في رسول الله ﷺ حيث كان يزور لتبليغ رسالات الله أو للحسبة، وكذلك كان علي «عليه الصلاة والسلام» يدور في الأسواق للحسبة فيأمر وينهى، وقد وردت بذلك روايات متعددة.

وقد ورد في وصف رسول الله ﷺ: «طيب دَوَّار بطَّبه قد أحكم مراهمه وأحمى مياسمه»^(٢) فإن كثيراً من الأطباء في العصور السابقة وفي عصرنا الحاضر في بعض البلاد كالهند والصين يدورون في الأسواق والازقة وعلى البيوت والمحلات وغيرها لاجل معالجة المرضى.

وكذلك كان الأنبياء والرسل يدورون في أماكن مختلفة، وكان عيسى عليه السلام ينتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية، وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل قبيلة قبيلة ويذهب إلى هنا وهناك.

ومن المعلوم أن الوفود على العظيم والإستماع له سواء كانت عظمتة معنوية أو علمية أو نحو ذلك يوجب إستفادة الإنسان من معنوياته وعلومه وما أشبه، ولذا ورد: من مشى إلى العالم خطوتين وجلس عنده لحظتين وتعلَّم منه مسالتين بنى الله له جنتين كل جنة أكبر من الدنيا مرتين، وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الله سبحانه وتعالى لا ينتهي لرحمته، كما أن الإنسان الذي يدخل الجنة لا ينتهي لوجوده هناك زماناً، ولهذا فأمثال هذه الأحاديث ليست مستبعدة إطلاقاً.

(١) أي من شأنه - إكراماً لمكانته - أن يزوره الناس، وليس من الصحيح أن يتعامل معه الآخرون كمعاملتهم للأفراد العاديين، ولكن ذلك ليس بمعنى أن يتكبر على الناس فإن التكبر مذموم، بل هذا الكلام للإرشاد إلى ضرورة إكرامه وتعظيمه وعدم التوقع منه كما يتوقع من الآخرين.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ . وفيه : أحمى مواسمه.

.....

وعدم تصديق بعض الناس لمثل هذه الأمور أو زعمهم انها غير مجدية لا يغير هذه الحقيقة، فإن مثل الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كمثل الدنيا بالنسبة إلى الطفل الذي في الرحم، فإذا قيل للطفل الذي في الرحم: ان الدنيا بهذه السعة وهذه الألوان والكيفيات والخصوصيات والمزايا لا يكاد يُصدق بل ليس بمقدوره ان (يتصور) ذلك فضلاً عن (التصديق)، لان الإنسان انما يصدق ما الفه واستانس به، ولذا ورد ان الإنسان يرى في الآخرة: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

ثم ان استحباب الإقبال نحو العظيم - بالإضافة إلى انه عقلي - مشمول لمثل قوله «عليه الصلاة والسلام»: «ولم يوقر صغيركم كبيركم»^(١)، كما ان العكس مشمول لقوله «عليه الصلاة والسلام»: «ولم يرحم كبيركم صغيركم»^(٢)، إلى غير ذلك من الأدلة في الجانبين.

ثم ان الإقبال نحو المعصوم (عليه السلام) والوفد إليه وزيارته هو أجلى مصاديق هذا الامر الراجع ولا فرق في ذلك بين حالة حياتهم (عليهم السلام) وحالة مماتهم (عليهم السلام) وقد وردت روايات متواترة في فضل زيارة قبورهم (عليهم السلام) خاصة زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) فراجع.

(١) مستدرک الوسائل : ٢٢٣/١٢ ب ٣٩ ح ٣ .

(٢) مستدرک الوسائل : ٢٢٣/١٢ ب ٣٩ ح ٣ .

وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»

بحث في معنى السلام...

مسألة : يستحب سلام الوارد على المورود عليه، وكذلك يستحب سلام الصغير على الكبير.

ولا يخفى ان السلام بمعنى : ان يكون الطرف سالماً عن الآفات والعاهات وغيرها، وقد كان السلام تحية الانبياء ﷺ كما يدل على ذلك قوله سبحانه : ﴿قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾^(١) كما ان البسملة كانت معهودة متداولة لدى الانبياء السابقين ايضاً كما ورد في قصة الهدد : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) وذلك لان الاحكام بالنسبة إلى الانبياء واحدة^(٣) إلا في بعض الخصوصيات ولذا قال ﷺ : «إِنِّي بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٤).

اما السلام بالنسبة إلى الاموات فالظاهر انه إما تحية محضة منسلخة عن معناها اللغوي، وإما بمعنى : السلامة في الآخرة، لان السلامة في الآخرة ايضاً مطلوبة للإنسان بل المطلوب الواقعي له ذلك، إذا قيس إلى الدنيا، إذ الدنيا مؤقتة وزائلة، بينما الآخرة باقية ودائمة، ولذا قال ﷺ : كما يحكيه القرآن الحكيم :

(١) هود : ٦٩ .

(٢) النمل : ٣٠ .

(٣) ولذلك جرى استصحاب الشرائع السابقة فيما لم يثبت فيه النسخ، بل كان ذلك للإطلاقات راجع «الأصول» للإمام المؤلف «دام ظله» .

(٤) نهج الفصاحة : ١٩١ ح ٩٤٤ .

﴿والسلام عليَّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيّاً﴾^(١) فسلامة الولادة تمتدّ إلى ساعة الموت ، كما ان سلامة الموت تمتدّ إلى الحشر وسلامة الحشر تمتدّ إلى الابد ، لوضوح ان الطفل إذا ولد ناقصاً كما إذا كان أعمى أو أعرج أو أصم أو أبكم أو ما أشبه ذلك بقي كذلك إلى حين موته على الاغلب الاغلب وكذلك الامر إذا كان الإنسان مبتلى حال موته فإنه يبقى كذلك - في الجملة - .

كما ورد : ان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران^(٢) .

نعم قد تنال الإنسان الشفاعة وهو في القبر أو في يوم القيامة .

لا يقال : لا يحتاج الامر إلى السلامة يوم يبعث حيّاً لان الإنسان الذي يسلم في القبر يسلم في الحشر .

لانه يقال : ليس كذلك لانه ورد في روايات متعدّدة : ان القبر إمّا روضة من رياض الجنة وإمّا حفرة من حفر النيران ، وإما يلهى عن بعضهم إلى الحشر ، فمن الممكن أن يكون الإنسان سالماً حين الموت - فترة القبر - ولا يكون سالماً في الآخرة ، كما لو جرى له امتحان إلهي هناك بسبب انه كان يعيش في الفترة بين الرسل ، وما أشبه ذلك وخرج من الإمتحان فاشلاً فإنه سيعاقب حينئذ .

وهذا بحث كلامي ذكرناه استطراداً .

(١) مريم : ٣٣ .

(٢) بحار الانوار : ٢١٤/٦ ب ٨ ح ٢ .

أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ

«أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ»

الإستذان

مسألة : يستحب وقد يجب الإستذان من العظيم للحضور بمحضره، كما استأذنوا ﷺ من النبي ﷺ .

فإنه مستحب إذا كان في مكان مباح ونحوه، وواجب إذا كان المكان خاصاً بالعظيم، على نحو أكد، فإنه يجب الإستذان حين الدخول في مكان الغير فكيف بما إذا كان عظيماً.

وربما يقال : من جمع الواجب والمستحب كالصلاة الواجبة في المسجد مما يوجب التأكد كما ذكروا في الواجبات المصادفة للمستحبات وبالعكس .

والمراد بالعظيم - ههنا - : هو العظيم معنوياً، أما العظيم المادي كالأكثر مالا أو سلاحاً أو عشيرة، فليس له هذا الحكم قال سبحانه : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾^(١) .

نعم إذا صدق عليه الكريم يشمله قوله «عليه الصلاة والسلام» : «أكرموا كريم كل قوم»^(٢) .

ولو استأذن فأذن له فلا إشكال، وإن استأذن فلم يأذن له، فإذا كان المحل مباحاً جاز الدخول وإن كان لا يبعد الكراهة حيثئذ لانه نوع هتك له لكن الهتك

(١) سبا : ٣٧ .

(٢) بحار الانوار : ٤٦ / ١٥ ب ١ ح ٣٣ . وفيه : «إذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وإن خالفكم» .

تَحْتَ الْكِسَاءِ

لا يصل إلى حدّ الحرمة . أما إذا كان في المحلّ الخاص به حرّم . ولو استأذن فلم يعلم انه اذن له أم لم يأذن؟ لم يجز الدخول ، للأصل .

«تَحْتَ الْكِسَاءِ»

حق السبق^(١)

مسألة : يستحب استئذان المتأخّر من المتقدّم في الإستفادة من ما يعدّ حقاً للسابق ، ومن صغرياته ما ورد ههنا حيث استأذنوا (ع) من الرسول (ص) في الدخول معه تحت الكساء .

وحق السبق قد تجب مراعاته وقد تستحب كل في موضعه .
فإذا تحقق الحق عرفاً ، وجب المراعاة ، لما في جملة من الروايات من انه :
«لا يبطل حق مسلم»^(٢) مثل حق التحجير وحق المسجد والمدرسة والسوق وما أشبه مما ذكر في كتاب إحياء الموات^(٣) .

والإ^(٤) كان من الافضل المراعاة ، لانه من الادب والاخلاق فيشملة دليلهما مثل حق الكلام وحق السؤال عن العالم وحق السوم وما أشبه ذلك .

(١) راجع لهذا الفصل «الفقه : القواعد الفقهية» .

(٢) بحار الانوار : ١٠٤ / ٣٩٧ ب ٣ ح ٤٤ . رواه عن الإختصاص ص ٤٥٥ .

(٣) موسوعة «الفقه» ج كتاب احياء الموات .

(٤) بان لم يكن حقاً عرفاً بحيث يتحقق معه موضوع الروايات ، وإن أطلق عليه الحق لغة كحق الاسبق في السؤال وشبهه .

ولو شك انه من الحق الواجب او المستحب كان الاصل عدم الوجوب، لانهما شريكان في الإيجان، فالزائد يحتاج إلى الدليل وإلا فالأصل البراءة. ولو لم يعلم أيهما السابق فالمحكم القرعة، لأنها لكل أمر مشكل. نعم في الأمور المالية يجب الرجوع إلى قاعدة العدل الاستفادة من مستفيض الروايات، على ما ذكره «الجواهر» في كتاب الخمس، وكذلك ذكرناه في موارد متعدّدة من «الفقه» وخصوصاً في كتاب «القواعد الفقهية». ولا يخفى انه في بعض الموارد لا تجري القرعة ولا قاعدة المالبات وانما تجري قاعدة ثانوية كما إذا لم يعلم الولي أيهما قتل والده حيث لا يجوز له قتلها ولا قتل أحدهما على سبيل البدل لان الحدود تدراً بالشبهات. وكما إذا لم يعلم الزوج أيتهما زوجته أو زوجها لم يجر له ولها الإقتراع ولا تجري قاعدة العدل بالتقسيم بينهما، إلى غير ذلك من الموارد التي ذكرت في الفقه.

لا يقال : التحاكم إلى القرعة تحكيم لغير العاقل على العاقل، وليس ذلك من عمل العاقل؟

لانه يقال : بل هو تحكيم للعقلاء، فإن العقلاء جعلوا القرعة حاكماً، عند التحير - في موارد - .

لا يقال : يعود المحذور إذ العقلاء حكموا غير العاقل؟

لانه يقال : حيث لم يجد العقلاء أفضل من هذا الطريق لحل المنازعات منحوه الإعتبار، فهو من ترجيح الراجح على المرجوح^(١).

(١) اضافة إلى ما ورد من ان الله تعالى يجعل الرشد أو الخير في الإقتراع، وإن بدى في بادي النظر غير ذلك، فكثيراً ما يكون الخير عكس ما يتصوره الإنسان خيراً «ولعل الذي أبطل

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي

وعلى أيّ حال فحيث كان الحق خاصاً بالرسول (ص) لم يستأذن ثالثهم (ع) منهما بل من الرسول (ص) وحده وهكذا بالنسبة إلى رابعهم وخامسهم «صلوات الله عليهم أجمعين».

«فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي»

شمول الولد للسلط

مسألة : ولد البنت يعتبر «ولداً» كما قال (ص) : «يا ولدي» .
وهذا واضح لأن من يخلق من ماء الإنسان ابتداءً أو استدامة يكون ولداً، ويكون المخلوق منه والداً سواء بالنسبة إلى الوالدين أو إلى الاجداد والجدّات .
نعم بعض الأحكام الشرعية خاصة بمن يولد من الرجل لا المرأة كباب الخمس والزكاة كما ذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية .
ولذا ذكر جمع من الفقهاء - وليس بمستبعد - بالنسبة إلى ولد الزنا أنه ولد عقلاً وعرفاً ولغة بل وشرعاً ايضاً، وانما المخصص بعض الأحكام كالإرث وإن كان صاحب المستند «قدس سره» وسّع في التخصيص كما لا يخفى لمن راجعه .
والشاعر الذي قال :

→
عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور» [دعاء الإفتاح] ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] وأما ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [الصفافات : ١٤١] فلقد كان ذلك خيراً ليونس (ع) امتحاناً وترفعاً للمكانة وللدرجات ولغير ذلك : كالأعتبار مثلاً .

وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي

«بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناؤ الرجال الأبعد»
استعمل نوعاً من المغالطة لأنه لا منافاة بين أن يكون ولد الرجل الأبعد وولده أيضاً، إذ الولد مخلوق من ماء الرجل والمرأة معاً فهو ولد لهما.
وكما يشمل الولد كذلك يشمل الذرية كما في قصة عيسى عليه السلام حيث أحقه الله بنوح عليه السلام من جهة أمه مريم عليها السلام .
أما شمول الخاصة والعامة والحامة ونحو ذلك أولاد البنت فلا غبار عليه إطلاقاً.

وكما أن ولد البنت ولد كذلك بنت الولد، ولذا فقوله سبحانه: ﴿وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾^(١) يشمل كليهما كما يشمل الوالدين أيضاً.
مسألة : يستحب بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول لكل من الحسن والحسين عليهما السلام : يا ولدي، إذ في ذلك أحقاق للحق ورد لمن زعم أن ولد البنت ليس ولداً وذكر لإحدى فضائلهم عليهما السلام .

«وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي»

إظهار العطف للسيط

مسألة : يستحب إظهار الجد : عطفه ومحبته وعنايته بأسباطه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يا ولدي ويا صاحب حوضي» .

(١) البلد : ٣ .

بحث عن حوض الكوثر

ولا يخفى انه لا منافاة بين أن يكون الحوض للرسول ﷺ في المحشر وبين أن يكون علي عليه السلام هو الساقى وبين أن يكون الحسن عليه السلام صاحبه، إذ قد تكون للشيء الواحد اضافات ونسب متعددة وقد تختلف الاحكام بالإعتبارات المختلفة، فالله سبحانه وتعالى منح الحوض للرسول ﷺ وجعل الساقى العام عليه علياً «عليه الصلاة والسلام» وجعل الحسن عليه السلام صاحبه بمعنى: اختصاصه به بعد الرسول ﷺ طولياً، كما ان العبد مملوك لسيدته في طول ملكية الله تعالى له .

كما ان الظاهر انهم جميعاً «عليهم الصلاة والسلام» يسقون الناس من ذلك الحوض.

لا يقال : لما خصَّ الحوض بالذكر في الاحاديث الشريفة - عادة - مع ان الإنسان بحاجة إلى الطعام ايضاً في يوم القيامة إذ انه خمسون ألف سنة؟

لانه يقال : ان حاجة الإنسان إلى الماء أشد - يومئذ - منه إلى الطعام وذلك نظراً إلى العطش الشديد الذي يستولي على الناس من الحرّ وغيره، ولذلك تركّزت العناية على ذكره.

ولقد ورد في بعض الاحاديث : ان أرض المحشر يتحوّل - بإذن الله - إلى شيء من المأكول كالخبز يأكل منه الناس، كما انه لا يستبعد أن يكون هناك مختلف انواع الفواكه والمأكول والمشارب تحت ظل العرش للمؤمنين . وكذلك من المحتمل ان يكون هناك الزواج ايضاً لوضوح ان الإنسان يحتاج حسب طبيعته إلى الزوج والزوجة طيلة خمسين ألف سنة، ويؤيده ما ورد من وجود الحور العين في

.....

القبر وفي الجنة فتأمل .

وربما يقال : ان القبر إذا كان كذلك فالمحشر يكون بطريق أولى ، وإن كانت هذه تقرّيات لا يمكن القول بها إلا بعد ورود الدليل بالنسبة إلى الزواج . وكذلك لم ترد الإشارة إلى كثير من شؤون الإنسان في المحشر ، وربما تكون قد ذكرت في الروايات ولم تصل إلينا^(١) .

توقير الطفل وذكر فضائله

مسألة : يستحب احترام الطفل وتوقيره وذكر فضائله ، لطريقته ومقدميته ، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢) .

فإن إعطاء الشخصية للطفل يوجد حالة معنوية في نفسه تنتهي بالنتيجة - في كثير من الأحيان - إلى تكوين شخصية أكثر تكاملية للطفل كما ثبت ذلك في علم النفس ، فإن ذكر فضائل الطفل يكرّسها في نفسه ، كما ان الإيحاء والإغراء له مقام في نفس المغرّ - بالفتح - سواء كان الإغراء بالباطل أم بالحق ، بالحرام أم بالحلال ، بالكبر أم بالدناءة ، وإن كان في طرف الفضائل أشد تأثيراً ، لان الإغراء بالفضائل فطري ايضاً فتساعد الفضيلة الفطرة ، وليس كذلك في جانب الرذائل ، إذ الرذائل ليست فطرية .

وما نجد في بعض الآيات من ذمّ الإنسان مثل قوله سبحانه : ﴿إِنَّهُ كَانَ

(١) حول هذه المباحث راجع «كفاية الموحدين» وكتاب «حق اليقين» .

(٢) الضحى : ١١ ، وإطلاقه يشمل النعمة للشخص ولغيره .

ظلوماً جهولاً»^(١) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾^(٢) وما أشبه ذلك، فالظاهر أنها بالأمر العارضة^(٣)، وإنما الأصل قوله سبحانه: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾^(٤) وقوله سبحانه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^(٥) وقوله سبحانه: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر﴾^(٦) وما أشبه ذلك.

... والكبير أيضاً

وهذا ليس خاصاً بالطفل وإنما الكبير كذلك أيضاً مع اختلافهما في أن الطفل أكثر تأثراً بالإيحاء والإغراء بينما الكبير ليس كذلك ولهذا قال الشاعر:

«ان الغصون إذا قومتها اعتدلت

وليس ينفعك التقويم للحطب»

مع أنا نرى أن كثيراً من الكبار أيضاً يرضخون للحق أو للباطل إذا حرضوا عليهما أو أغروا بهما، ولذا نجد كثيراً من أصحاب رسول الله (ص) دخلوا الإسلام طوعاً مع أنهم كانوا في مرحلة الكهولة أو بعدها وهكذا العكس في بعض الموارد الآخر.

(١) الاحزاب : ٧٢ .

(٢) المعارج : ١٩ .

(٣) ومقام الفعل وضمن دائرة الإرادة كما سبق فليراجع .

(٤) تبارك : ٣ .

(٥) الروم : ٣٠ .

(٦) الإسراء : ٧٠ .

فالإحترام والإهانة والتربية والتعليم والتشجيع وما أشبه ذلك - مما يرد إلى النفس من الخارج - كلها مؤثرة في النفس، من غير فرق بين أن يكون كل ذلك عن طريق السمع أو البصر أو اللمس أو ما أشبه ذلك بل وحتى الفكر، ولذا كان اللازم التفكير بالخير دون الشر.

ولذا ورد: «فكر ساعة خير من عبادة سنة»^(١) أو ستين سنة أو سبعين سنة.^(٢)

وقال الله سبحانه وتعالى قبل ذلك: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُنْقَرٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) فإن كان الإنسان بمفرده وتمكّن من التفكير السليم فليتفكر هو بنفسه وإلا فليكونوا اثنين أو أكثر ويتفكروا، وقوله سبحانه: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُنْقَرٍ﴾^(٤) الظاهر فيه: أن مثني من باب المثال إذ لا خصوصية للعدد، فمن الممكن أن يكونوا ثلاثة وأربعة وخمسة وأكثر.

ذكر فضائل المعصومين ﷺ

مسألة: يستحب بيان فضائل الإمام الحسن ﷺ كما يستحب ذكر فضائل أهل البيت ﷺ بصورة عامة، للروايات المتكاثرة، وقد جاء في الحديث: «أحيوا أمرنا، إن من أحيى أمرنا لا يموت قلبه يوم تموت فيه القلوب، رحم الله من أحيى

(١) مستدرک الوسائل : ٢/ ١٠٥ ب ١٧ ح ٢١ .

(٢) كنوز الحقائق للمناوي في هامش الجامع الصغير : ١٠٧/ ١ وفيه : «تفكر ساعة خير من

عبادة سبعين سنة» وروى الطريحي في مجمع البحرين في لفظ «فكر» «تفكر ساعة خير من

عبادة ستين سنة».

(٣) و(٤) سبا : ٤٦ .

قَدْ أَذْنْتُ لَكَ

امرنا» اضافة إلى ما لذكر فضائلهم (عليهم السلام) من التأثير الإيجابي التربوي على الناس .

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ»

الإستجابة للطفل ولغير المسلم

مسألة : يستحب الإجابة للطفل وقضاء حاجته .

فإنه يستحب - كما سبق - إجابة المؤمن، كبيراً كان أم صغيراً، رجلاً أم امرأة، بل قد المعنا في بعض المباحث السابقة إلى ان هذا جار في غير المسلم أيضاً، وحتى في المحارب - إلا ما خرج بالدليل - كما سمح علي (عليه السلام) لاهل صفين ان ياخذوا حاجتهم من ماء الفرات، وأمر الحسين (عليه السلام) أصحابه بسقي الذين جاؤا لقتاله وقتلوه أخيراً.

ولا فرق بين أن تكون الحاجة معنوية أو مادية، فقد يسأل عن مسألة شرعية أو عقلية أو عرفية أو عادية أو غيرها، وقد يطلب حاجة مثل أن يطلب ماءً أو خبزاً أو غير ذلك، فإن هذه الموارد تندرج في الأدلة العامة.

نعم إذا كانت الحاجة أو الإجابة محرمة لم يجز لأن الإقتضائي مقدم على اللاإقتضائي، كما ذكره الفقهاء .

أما إذا كانت مستحبة أو واجبة أو مباحة جاز بالمعنى الأعم حيث ان قضاء الحاجة الواجبة واجب والمستحبة مستحب^(١) والمباحة مستحب أيضاً باعتبار انه

(١) لجهتين : كونه مقدمة لمستحب وانطباق عنوان قضاء الحاجة عليه .

.....

قضاء الحاجة .

ولو طلب حاجة لا نعلم انها من ايهما فإن أمكن حمل الفعل على الصحة
جاز بل استحب وإلا لم يجز .

نعم إذا دار الامر بين الواجب والحرام ولم يمكن الفحص أو فحص ولم
يعرف الواقع ولم يكن هناك ما يشخص الموضوع ولو بإحدى الأصول كان من
موارد التخيير .

وفي المورد المشكوك انما يكون حراماً في ما يجب فيه الإحتياط مثل : الدماء
والفروج والاموال الكثيرة، وأما إذا جرى أصل الحلّة كان جائزاً^(١) .

رجحان التأكيد

مسألة : التأكيد يرجح في مقام الإجابة على السؤال ويتأكد في المسائل
الهامة، كما قال النبي ﷺ للحسين ﷺ : «قد أذنت لك»، بل يرجح مطلق
التأكيد إذا كان فيه الفائدة .

فإنه لم تكن حاجة إلى أن يقول ﷺ : «قد» و«لك»، إذ «أذنت» معناه الإذن
له، لكنه تأكيد ونوع احترام للطرف، مثل قوله سبحانه : ﴿رحمة منه﴾^(٢) إذ من
الواضح ان الرحمة منه قطعاً كما في الآية الكريمة، وكذلك في الدعاء حينما

(١) حول هذه المباحث راجع «الأصول : مبحث الأصول العملية» .

(٢) النساء : ١٧٥ .

فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ

الواضح ان الرحمة منه قطعاً كما في الآية الكريمة، وكذلك في الدعاء حينما نقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ»^(١)، إذ لا حاجة إلى «من عندك» وكذلك: «وافض عليَّ من فضلك وانشر عليَّ من رحمتك»^(٢).

وهكذا في قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٣) وهذا كثير، ومن المعلوم انه في المورد الحسن يكون احتراماً، كما انه في المورد السيء يسبب مزيداً من الإهانة، كما إذا خاطب مُدْمِناً للخمر: أنت أنت الخمار، أو ما أشبه ذلك، وهذا باب من أبواب البلاغة.

ومن المعلوم ان التأكيد لا ينحصر في هاتين الفائدتين فقط، بل له فوائد كثيرة لا مجال لذكرها.

«فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

اجتماع الأقرباء

مسألة: يستحب اجتماع الأقرباء، ويؤيده روايات اجتماعات المؤمنين، وكان من مصاديق ذلك دخولهم (عليهم السلام) تحت الكساء^(٤) فإن جمع الاجسام في غير

(١) بحار الانوار : ٨٦ / ٢٠ ب ٣٨ ح ١٨ .

(٢) بحار الانوار : ٨٦ / ٢٠ ب ٣٨ ح ١٨ .

(٣) المجادلة : ٢٢

(٤) من الواضح ان الفعل الواحد قد تنطبق عليه عناوين متعددة وقد يكون مجمعاً لجهات رجحان متشابهه او مختلفه (وجوباً واستحباً).

المكروه والحرام، من أهم ما يستلزم صحة الجسم وسلامة النفس .

أما النفس : فلأنه مما يوجب السرور والإرتياح ، ومن المعلوم ان النفس تؤثر في البدن صحة وسقماً .

وأما البدن : فلأنه ثبت في علم الطب : ان الله تعالى جعل البدن من المعقمات - في غير المرضى - ولذا كان سؤر المؤمن شفاءً ، وقد قرأت في بعض المطبوعات الرسمية : ان السؤر من أهم ما يزيل قسماً من الامراض ، والمراد به اعم من سؤر الفم أو سائر البدن كالإستحمام في الانهار والاحواض وغيرها .

ولعل من أسباب توفر الصحة في الازمنة السابقة هو تطبيق هذه التعاليم في الاطعمة والاشربة والحمامات وغيرها ، لكن بشرط مراعاة النظافة الكاملة . وعلى أي حال فتجمع الابوين والاولاد يوجب الحب المتزايد بين الاب وبنيه ، وبين الزوجين ، وبين الإخوة .

ولربما لم تكن زينب وأم كلثوم عليهما السلام قد ولدتا بعد ، وإلا لأمكن أن يكون لهما نصيب أيضاً في هذه الفضيلة فتأمل ، وإن احتمل عدم اشتراكهما نظراً للإختصاص .

ثم انه لم يذكر في هذا الحديث ولا في شيء من الروايات التي رأيتها انهم - عند ما اجتمعوا تحت الكساء عند رسول الله ﷺ - اجتمعوا في جانب واحد على تقدير أو في الجانبين ؟

كما انه لم يذكر ان رسول الله ﷺ بعد اجتماعهم عنده بقي نائماً - أي مستلقياً - وهم كذلك معه ؟ أم انهم جميعاً جلسوا معه أو بالإختلاف ، فكان الوالدان إلى جانب الرسول ﷺ والولدان في حجر الرسول ﷺ مثلاً ، نعم في آخر الحديث قال علي عليه السلام : « ما جلوسنا هذا » .

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلَدِي الْحُسَيْنِ قَدْ أَقْبَلَ

«فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلَدِي الْحُسَيْنِ قَدْ أَقْبَلَ»

استيفاء البيان

مسألة : يستحب استيفاء البيان وإكمال الإفادة، ومنه : إتمام ذكر الحديث أو القصة وعدم تركها ناقصة. كما فعلت الزهراء «سلام الله عليها» حيث ذكرت الحديث من أوله إلى آخره، فإن ذلك من الإتقان إضافة إلى ما له من الرجحان بلحاظ الفائدة، وقد سبق نظيره.

نعم قد يقتضي بعض الأمور الخارجية أو الداخلية عدم ذكر القصة بكاملها كما نجد ذلك في القصص القرآنية حيث أن الله سبحانه وتعالى وزع القصة في أماكن متعددة وذكر في كل مرة جانباً من جوانب القصة مثلاً: في قصة النبي موسى (عليه السلام) والسحرة ذكر مرة: ﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾^(١) وذكر مرة: ﴿حِيَّةٌ﴾^(٢) وأخرى ﴿ثُعْبَانٌ﴾^(٣) وما أشبه ذلك باعتبار أحوال الحية المختلفة، فالجان حية صغيرة سريعة الحركة كأنها الجن، بينما الحية ليست كذلك، والثعبان يقال بلحاظ (ابتلاعها). وهكذا في سائر قصص القرآن الحكيم كقصة إبراهيم (عليه السلام) ونوح (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) وغيرهم.

وقد يكون عدم البيان الكامل بسبب مانع خارجي، كما أن علياً عليه

(١) القصص : ٣١ .

(٢) طه : ٢٠ .

(٣) الاعراف : ١٠٧ .

.....

الصلاة والسلام» لم يكمل الخطبة الشقشقية حيث دفع إليه شخص كتاباً فجعل ينظر فيه، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو اطردت في خطبتك من حيث أفضيت. فقال: هيهات إنها شقشقة هدرت ثم قرئت^(١).

لا يقال: لقد استنفذ الإمام عليه السلام غرضه من الخطبة، فلم يكن هناك مجال لطلب ابن عباس منه كي يواصل الحديث، لانه عليه السلام تحدّث عن عهد الحكّام الثلاثة الذين كانوا قبله؟

لانه يقال: هذا الكلام غير صحيح، لإمكان أن يكون الإمام عليه السلام بصدد بيان الأحداث الأخرى أو الملاحم التي سوف تقع بعده أو تفصيل ما ذكره. أمّا لماذا سكّت الإمام عليه السلام فلأنه رأى فوت الفرصة بسبب قطع خطبته، إذ لا بد أن يكون للخطبة موالاة ومتابعة، فإذا فاتت الموالاة كان الإستمرار في الكلام خلاف البلاغة.

ولربما كانت جهة أخرى لذلك، والله العالم.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الخطبة الشقشقية).

وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمّاهُ . فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي

«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمّاهُ» .
«فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤَادِي»

تفضيل الولد الأصغر

مسألة : يستحب تقديم الأصغر على الأكبر وتفضيله في إبراز المحبة في الجملة، ولعله لذلك أضافت (عليها السلام) للحسين (عليه السلام) كلمة : «يا ولدي» .
وذلك لحاجة الأصغر إلى المزيد من العطف والحنان، ولعلّ في كلامها «عليها الصلاة والسلام» تنبيهاً على ذلك .

نعم يجب أن لا يؤدي ذلك إلى أن يشعر الأكبر بأنه موضع ازدراء وقلة اهتمام وأنّ الوالد أو الوالدة يعطيه أقل من حقه، لأن ذلك ربما أوجب عداً وحسداً .

وقد قال بعض : ان تفضيل يعقوب (عليه السلام) ولده يوسف (عليه السلام) على سائر إخوته كان السبب في إثارة عداوتهم وحسدهم، قال سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (١) .

(١) يوسف : ٧ - ٩ .

فَقَالَ لِي : يَا أُمَاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

لكن هذا الكلام غير تام، إن أريد به الإستشكال عليه ﷺ لأن يعقوب ﷺ كان يفضل يوسف ﷺ لفضله وكونه نبياً وما أشبه ذلك، وهذا وإن أثار العداوة إلا أنه لا بد منه من باب الأهمّ والمهمّ، كما كان رسول الله ﷺ ينوّه بفضل علي «عليه الصلاة والسلام» مما أثار عداوة وحسد جملة من الأصحاب كما هو معروف في التاريخ.

والحاصل ان هنالك حالتين :

الحالة الأولى : أن لا يفعل الإنسان شيئاً اعتباطاً، يشير الحسد والكراهية .
والحالة الثانية : أن يقوم الإنسان ببيان الحق الواجب عليه بيانه، وإن أثار الحسد، ولذا قال سبحانه : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)
وكان الانبياء محسودين وكذلك الائمة الطاهرون «عليهم الصلاة والسلام» .

«فَقَالَ لِي : يَا أُمَاهُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

الإعلام بالواقع

مسألة : يستحب الإخبار عن الواقع فيما كان مفيداً، وإخبار السائل عن الأكثر من حدود سؤاله إذا كان فيه فائدة، وفي ذلك قضاء للحاجة كما قالت «سلام الله عليها» للحسين ﷺ : «إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ» وقالت

.....

لعلي (عليه السلام) : «ها هو مع ولديك تحت الكساء».

وهذا وإن كان بالنسبة إلى المقارن إلا أنه يتعدى إلى السابق واللاحق بالملك وبالإطلاقات، لكن من الواضح ان ذلك فيما إذا لم يكن ضاراً أو محتمل الضرر، كإخبار الغاصب بملك المغصوب، وإخبار مرید الشر بمن يريد به الشر، وما أشبه ذلك، ففي المورد الضار حرام قطعاً، أما في مورد احتمال الضرر فالظاهر الحرمة أيضاً، لان احتمال كقطعه، نعم إذا ظهر الخلاف كان من التجري وقد التزمنا في «الأصول» بأنه قبيح فاعلاً لا فعلاً.

كما ان الإخبار عن الواجب والمستحب والمكروه يلحقه حكمها كإخبار المستفتي عن الواجب والمستحب بالفتوى كفاية أو عيناً في صورة الإنحصار، لانه من التعاون على البر والتقوى، إلى غير ذلك.

ومنه يعلم حال الإستفتاء عن المكروه وقد ذكر تفصيله في بحث وجوب التعليم ومقدمة الواجب وغيرهما.

ثم لو أخبر المستخبر المرید ايقاع الشر بمال أو عرض أو نفس، فالضمان تابع لإقوائية السبب أو المباشر، كما ذكر في الفقه، وقد احتملنا - في باب - انه لو تساويا كان الضمان عليهما كمن يدفع السيارة إلى جاهل بالقيادة، فيصطدم بإنسان فيقتله، حيث ان المحتمل انه عليهما لا على السائق فقط، فتأمل^(١).

ولا يخفى ان قولها «عليها الصلاة والسلام» : «وأخاك» من زيادة الكلام لمزيد الفائدة وإلا فقد كان السؤال عن الجد فقط.

ومن المحتمل ان الحسن «عليه الصلاة والسلام» أيضاً كانت له رائحة طيبة فكانت الرائحتان ممتزجتين وهذا غير بعيد، لان الائمة «عليهم الصلاة والسلام»

(١) راجع «الفقه : كتاب الضمان».

فَدَنَى الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ

كان دأبهم استعمال العطر كما يفهم من متواتر الروايات ، فإن الطيب - بالإضافة
إلى رائحته الزاكية - يقوّي الأعصاب ويشرح الصدر ، ولهذا ورد : عن الإمام
الرضا عليه السلام : «الطيب من أخلاق الأنبياء»^(١) ، وقال رسول الله ﷺ : «ما طابت
رائحة عبد إلا زاد عقله»^(٢).

«فَدَنَى الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ»
«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ»

تكرار السلام

مسألة : يستحب تكرار السلام خاصة على العظيم ، كما قال الحسين عليه السلام :
«السلام عليك يا جدّاه ، السلام عليك . .» وكما ورد في الزيارات : «السلام
عليك يا . . السلام عليك يا . . السلام عليك يا...».

فإن تكرار السلام يوجب تأكيد التحية وتشديد أواصر الصداقة ، ولذا
نشاهد تكرّره في الزيارات ونحوها مثل : السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام
عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، وما أشبه ذلك .

وانما لم يسلم الحسين عليه السلام على الحسن عليه السلام - بعد السلام على جدّه عليه السلام -
لأنه نوع تأدّب بالنسبة إلى الرسول ﷺ ، ولذا لم يأت بصيغة التثنية أو الجمع أيضاً

(١) جامع أحاديث الشيعة : ١٦/٦٤٧ ب ١ ح ٢ عن الكافي / ٦/٥١٠

(٢) جامع أحاديث الشيعة : ١٦/٦٤٩ ب ١ ح ١٣ عن الدعائم / ٢/١٦٥

كما هو واضح في باب الآداب فإنه إذا كان كبير في المجلس وجاء إنسان خصّص السلام بذلك الكبير، فإذا شَرَك معه الصغير أو جمعهما في صيغة واحدة لم يكن بتلك المرتبة من الإحترام للكبير، ولذا يكون الإقتداء بهم «عليهم الصلاة والسلام» حتى في مثل هذه الخصوصية.

ولعلّ وجه تقديمه «عليه الصلاة والسلام» «جداً» على «من اختاره الله» باعتبار أن كونه «جداً» سابقاً على كونه «ممن اختاره الله سبحانه وتعالى»، لأن اختيار الله وقع على الجدّ لا أن الجدّ وقع على من اختاره الله وليس مرادنا التقدّم الزمني بل الرتبي فإن كل واحد من كلمة بعد وكلمة مع وما أفاد معنى إحدى هذه الثلاثة قد يكون باعتبار الزمان، وقد يكون باعتبار المكان، وقد يكون باعتبار المنزلة، وقوله عليه السلام لعلّي «عليه الصلاة والسلام»: «انت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي»^(١) ليس المراد به بعد مماتي لا نبيّ، بل: بعد نبوتي لا نبيّ سواء في حياتي أم بعد مماتي.

(١) أمالي الطوسي : ٢٥٣ ح ٤٥ ط قم . الحديث ممّا أجمعت عليه الأئمة والحفاظ والاعلام من الفريقين على صحّته من جميع الوجوه وتوثيق سنده ورجاله كما في صحيح البخاري ٣٣/٢ وصحيح مسلم ١٨٧/٤ وغيرهما ونصّ الحديث: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي».

أَتَاذَنْ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ

«أَتَاذَنْ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

التفنن والتويع في الكلام

لعلّ الوجه في قوله «معكما» دون «معك» انه عليه السلام لو قال معك كان إهانة للحسن عليه السلام فقال: معكما، ففرق بين «السلام عليكما» وبين «معكما» كما يعرفه أهل البلاغة.

وأما الاستيذان فكان منه عليه السلام فقط، حيث ان حق السبق له، والحسن «عليه الصلاة والسلام» وإن دخل تحت الكساء لكنه كان وارداً على صاحب الحق، لا ان حق السبق شمله حتى يتوقف - من هذه الجهة - الإذن عليه أيضاً^(١).

وربما يحتمل أن يكون الاختلاف في ضمير المفرد والتثنية باعتبار التفنن والتويع في الكلام، حيث إن من فنون الكلام أن يكون مختلفاً حتى لا يمل السامع نتيجة لوحدة الكيفية، كما قالوا في باب الالتفات كقوله سبحانه: ﴿وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾^(٢) فإن التفنن لا فرق فيه بين الغيبة والحضور والتكلم وبين سائر أضراب التفنن.

وهكذا يقال في جملة من آيات القرآن حيث اختلاف العبارات - وذلك

(١) هذا كله بالنظر إلى الظواهر - كما هو واضح - لا بلحاظ مقام الولاية وشبهها ولذا ذكر:

«من هذه الجهة».

(٢) يس: ٢٢

فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ

على فرض الإلتزام بوحدة المؤدى في بعضها - فقد ذكر بعض الأدباء : ان الله سبحانه وتعالى كما خلق الكون متفناً فيه من الجهات المختلفة في الالوان والاطعمة والاذواق والاشكال والاحجام وغير ذلك، كذلك جعل الإنسان بحيث يتطلب التفنن والتنوع في كل شيء .

قالوا : وهذا هو وجه - أو من وجوه - التفنن في العبادة، مثلاً : الصلاة فيها : تكبيرة وحمد وسورة وركوع وسجود وقيام وقعود وتشهد وتسليم وما أشبه، وركعاتها : إثنان وثلاثة وأربعة وواحدة وأكثر كما في بعض الصلوات المذكورة في المستحبات، إلى غير ذلك .

وكذلك الحال في الحج والإعتكاف والوضوء والغسل وما أشبه ذلك مما ذكر في مبحث فلسفة الاحكام، وقد أشرنا إلى بعض ذلك في كتاب «الفقه : الآداب والسنن» وكتاب : «في ظل الإسلام» وغيره .

«فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ»

إفراد الضمير وجمعه

لا يخفى ان المجيء بصيغة المفرد حيث قال : «وعليك السلام» ولم يقل : «وعليكم السلام» - مع انه جائز بل مستحب، كما يستفاد من بعض الروايات - انما هو لإفادة الوحدة في هذا المقام، حتى ان الملائكة الذين يسلم عليهم في صيغة الجمع يأتون في مرحلة ثانوية، وقد ذكر علماء البلاغة ان كلمة «اني» و«انا» في بعض المقامات أدلّ على العظمة من كلمة : «نحن» حيث ان «انا» يدلّ

يا وَلَدِي ويا شافعَ أُمِّي

على التفرد، وانه لا أحد معه ﴿إِنِّي انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾^(١) بينما قوله «نحن» يدل على ان معه آخر^(٢) ولذا قالوا: «نحن» في بعض المقامات أكثر تواضعاً من «أنا».

ثم أنه يقال: «عليك» و«عليكم» مع ان «على» للضرر غالباً، لبيان أنه يغمره السلام، لان السلام المنتهى إليه كأنه يغمره من الرأس إلى القدم، ولذا ورد في القرآن الحكيم: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾^(٣) وإلا فالمراد انتهاء السلام إليه، ولذا قلنا في الفقه: انه يصح: السلام لك، وانه يجب الجواب أيضاً، وفي بعض الادعية بالنسبة إلى الله: وإليك السلام.

«يا وَلَدِي ويا شافعَ أُمِّي»

الإعتقاد بالشفاعة

مسألة: يجب الإعتقاد بالشفاعة، ولا يخفى أنها من ضروري العقل قبل أن تكون من ضروري الشرع، وهي من الفطريات، ومما تسالت عليها الملل، والإختلاف انما هو في المصاديق والخصوصيات وهي عبارة عن شفع شيء بشيء ليتمكن من الوصول إلى نتيجة مطلوبة كما ان الإنسان يساعد الحمال في حمله أو

(١) طه : ١٤ .

(٢) ولذا قال البعض ان قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] كان بلحاظ الملائكة ايضاً.

(٣) هود : ٧٣ .

يا ولدي ويا شافع أمّتي

السيارة لتتحرك الماكنة ، أو ما أشبه ذلك ، ولقد قامت عليها الأدلة الأربعة ويدل على كونها من ضروريات الشرع : الآيات والروايات المتواترة .

ومن أنكر الضروري فإن رجع إنكاره إلى تكذيب الرسول ﷺ كان كافراً ، وإن لم يرجع إلى تكذيب الرسول ﷺ كان غير مرتد ، على ما ذكره الفقيه الهمداني « قدس سره » وغيره في مبحثه ، وقد ذكرنا حكم الإرتداد في الفقه وذكرنا شروطه هناك فراجع .

وكما يجب الإعتقاد بالشفاعة ، يجب - من باب إرشاد الجاهل وهداية الغافل - على العالم بيانها للناس وإفاتهم إليها .

الثناء بالحق

مسألة : يستحب الثناء بالحق والجهر بفضائل الآخرين ، خصوصاً إذا كانت نافعة مستلزمة للحثّ نحو المكارم ، ولذا قال عليه السلام للحسن عليه السلام : « صاحب حوضي » وللحسين عليه السلام : « شافع أمّتي » وكما قال الحسين عليه السلام : « يا من اختاره الله » .

ولا يخفى ان كل المعصومين عليهم السلام شركاء في جميع الفضائل والمناقب ، كما يستفاد من مجموعة من الروايات ، وإن تجلّت بعضها في بعضهم ^(١) بمقتضى تنوع

(١) كالصبر في الإمام الحسن عليه السلام والشجاعة في الإمام الحسين والعبادة في الإمام السجّاد والعلم في الصادقين عليهم السلام وإن كان المتأمل يستطيع أن يستكشف من ومضات حياة كل واحد منهم كلّ تلك الصفات فيرى في الإمام علي عليه السلام القمة في الصبر والشجاعة والعبادة والعلم وهكذا وهلم جرا .

ادوارهم واختلاف ظروفهم ومسؤولياتهم حتى بدى بعض الصفات الصق بعضهم من بعض وأضحى بعضهم مظهراً لبعضها في الدنيا والآخرة. ولذا كان علي عليه السلام صاحب الحوض، وكلهم عليه السلام واقفون على الحوض، وكلهم شفعاء، إلى غير ذلك.

وهذه الحصصة إما في الكيفية أو في الكمية أو في الجهة أو في غيرها، وذلك كما ان هناك علاقة بين بعض الأشياء وبعضها الآخر في الحلقة تكويناً فالدواء الفلاني للصفراء والدواء الآخر للسوداء، والنار توجب الحرارة، والثلج يبرد وهكذا.

وأولياء الله سبحانه كذلك حيث ان كل امام عليه السلام سبب ووسيلة لقضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة كما يظهر من الروايات وإن كان الكل لكل الحوائج إقتضاءً وفعلياً في الجملة.

وهل ان الترابط والعلائق بين سلسلة المقتضيات والاسباب والشرائط و...، وبين مقابلاتها سواءً في الماديات أو المعنويات كان ذاتياً بسبب خصوصية في ذا وذاك، أم انه بالجعل نظراً لتعلق ارادته تعالى بذلك، فكان من الممكن جعل الثلج والنار بالعكس في التأثير، وهكذا وهلم جرا؟ احتمالان، بل احتمالات^(١).

ولا شك ان الله سبحانه قادر على كل ما يُتصور من الممكنات، إلا ان الكلام في الكيفية الخارجية^(٢) والتي هي خارجة عن محدودة علمنا.

(١) منها : التوليد أو الإعداد أو التوافي .

(٢) ومن مصاديقها ذاتية أو عرضية العلاقة بين العلة والمعلول، ودخول ما سبق في المتن في دائرة الممكن أو انه مندرج في دائرة المحال .

الشفاعة للناس

مسألة : تستحب الشفاعة للناس إذا لم يكن هناك محذور .
 وانما يفهم من «شافع أمّتي» استحباب الشفاعة للناس - بالإضافة إلى كونه كشف الكرب وقضاء الحاجة - لان أهل البيت عليهم السلام لا يتّصفون بصفة إلا كانت حسنة مما يدل على ذلك، لفهم العرف الملازمة ولادلة التاسي .
 ولا يخفى ان الشفاعة - كما أشرنا إليه - عبارة عن شفع شيء بشيء لنيل درجة أو قضاء حاجة، وذلك فيما كان المشفوع له أهلاً للشفاعة وكانت للشفيع امكانية ذلك، مثل مساعدة الحمال على حمل ثقله، فالحمال أهل للحمل والمساعد أهل للمساعدة، وهذا أمر عقلائي في الماديات والمعنويات .
 لا يقال : فما معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾؟^(١)
 لانه يقال : تاهيل النفس يعتبر نوعاً من السعي، فإن السعي قد يكون بالواسطة وقد يكون مباشرة، كما ان العلم الذي هو «نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه»^(٢) كما في الرواية يعد نتيجة تاهيل الإنسان نفسه لذلك، وكما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣) .

(١) النجم : ٣٩

(٢) بحار الانوار : ١٤٠/٧٠ ب ٥٢ ح ٥ (بيان). وفي ٢٢٥/١ ح ١٧ عن الصادق عليه السلام قال لعنوان البصري : «يا ابا عبد الله ليس العلم بالتعلم، انما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه» .

(٣) الطلاق : ٢ - ٣ .

لا يقال : قد نرى في الدين ما ليس من السعي كالإرث؟
 لأنه يقال : انه من سعي المورث مثل الضيافة حيث انها من سعي المضيف،
 وكما في «المرء يحفظ في ولده»^(١) والذي عليه بناء العقلاء وسيرتهم، وهكذا
 يمكن القول هنا، بأنه من سعي الشافع فإذا لم تكن له الشفاعة لم يكن للشافع ما
 سعى.

أما احتمال انه تخصيص فغير ظاهر لان سياق الكلام يأبى عن
 التخصيص^(٢).

ثم ان شفاعتهم ﷺ بعضها بسبب ان الإفاضة من الله إلى المشفوع له
 بواسطتهم وبعضها بسبب مكانتهم وجاههم الذي حصلوه بالطاعة والعبادة،
 والتفصيل في كتب الكلام.

(١) عوالم العلوم : ١١/٤٧٣ باب ٢١

(٢) حول هذا المبحث راجع «الفقه : الإقتصاد» للإمام المؤلف «دام ظله».

قَدْ أَذْنْتُ لَكَ فَدَخَلَ مَعَهُمَا تَحْتَ الْكِسَاءِ
فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ فَدَخَلَ مَعَهُمَا تَحْتَ الْكِسَاءِ»
«فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»

استحباب التكنية

مسألة : تستحب التكنية، كما يستحب احترام الناس بذكر كُناههم، كما قالت «سلام الله عليها» : «أبو الحسن» .
والمراد بقولها «سلام الله عليها» : «فأقبل عند ذلك أبو الحسن» : إمّا الزمان، أو الوقت، أو ما أشبه ذلك^(١) أي - على إحدى المعاني - حين ذلك الوقت الذي اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة تحت الكساء جاء علي «عليه الصلاة والسلام» .

و«عند» وشبهه قد يكون زمانياً، وقد يكون مكانياً، وقد يكون معنوياً مثل قوله سبحانه : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢) إذ أن الله سبحانه وتعالى لا زمان له ولا مكان، ولا أشكال من حيث اختلاف السياق الذي هو خلاف الظاهر فيما إذا كانت هناك قرينة كما في مثل قوله سبحانه : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٣) حيث إنّ : «عند» في الإنسان يكون على الأقسام الثلاثة، بينما عند الله

(١) قد يكون المراد من أحدهما : الفترة والمقطع الزمني - بشكل أعم - ومن الآخر الفورية والاتصال - بشكل أخص - و«ما أشبه» يكون إشارة للحالة، بالتجرد عن معنى الزمن .

(٢) الشورى : ٣٦ .

(٣) النحل : ٩٦ .

«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ»

سبحانه وتعالى ليس إلا معنوياً فهو مثل قوله سبحانه : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١) فإن الله سبحانه وتعالى لا نفس له ، وإنما جيء بكلمة نفس للسياق فقط .

والفرق بين «أقبل» و«جاء» و«أتى» : أن الأول دالّ على الإتيان مع نوع من الإقبال^(٢) ، بخلاف «جاء» ، كما أن «أتى» فيه اشراب معنى الإعطاء ولذا ورد : ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣) بينما جاء وأقبل ليس فيهما هذا الإشراب ، فإن اللغة العربية - كما تقدّمت الإشارة لذلك - في كل كلمة منها خصوصية لا توجد في الكلمة الأخرى ، ولذا أنكر جمع من الأدباء المرادفة فيها إلا بالمعنى الأعم الأوسع ، أي في الجملة^(٤) .

«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ»

استحباب السلام على الزوجة

مسألة : يستحب السلام على الزوجة واحترامها كما قال علي عليه السلام : «يا بنت رسول الله ﷺ» وقد يجب احترامها - كل في موره - .
ولا يخفى أن سيرة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) والمواجهة والمقابلة .

(٣) البقرة : ٤٣ .

(٤) راجع «الأصول» : مباحث الالفاظ .

والائمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين» كانت قائمة على احترام المرأة، احتراماً لاثقاً بكرامتها ومكانتها الإنسانية الإسلامية، حيث لخصها علي «عليه الصلاة والسلام» في قوله : «فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»^(١) إشارة إلى نوع عاطفتها.

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم : ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة﴾^(٢) وهذا تلخيص جيّد جميل لكلّ شؤون المرأة، وقد ذكرنا في بعض كتبنا المرتبطة بالمرأة: ان الغرب وبعض المسلمين في العصر الحاضر كلاهما أساؤوا إلى المرأة، حيث انّ الغرب أفرط فيها، وبعض المسلمين فرطوا فيها إلا من عصم الله من المسلمين.

ولا يؤخذ على المسلمين ما ورد في الآية الكريمة : ﴿واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ﴾^(٣) لانه :

أولاً : الضرب انما هو بقصد الردع لا الإيلام والإيذاء، وهو مقيد بالحد الأدنى، ولذا قالوا: ان الضرب بالسواك وما أشبه.

وثانياً : انه اقل سوءاً من الفضيحة التي تنتهي إلى المحاكم وإفشاء الامر بين الاقرباء والجيران ونحوهم، فهو من باب الاهمّ والمهمّ الذي هو عقلي قبل أن يكون شرعياً.

وثالثاً : انّ الضرب من باب النهي عن المنكر فيما لو اضطرّ إلى الضرب، ولذا جاز عكسه إذا فعل الزوج المنكر وتوقف النهي على الضرب كما ذكرناه في

(١) مستدرك الوسائل : ١٤/٢٥١ ب ٦٧ ح ١ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٣) النساء : ٣٤ .

فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

الفقه في هذا المبحث، وإن أشكل عليه صاحب الجواهر «قدس سره»، لكن الإشكال لا وجه له بعد إطلاقات الأدلة^(١).

«فَقُلْتُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»

احترام الزوج

مسألة : يستحب وقد يجب - كل في مورده - احترام الزوج، ومن مصاديق ذلك ذكر كنيته ولقبه.

فإنه كما يجب على الرجل احترام المرأة كذلك يجب على المرأة احترام الزوج، حيث أن بينهما علاقة الصداقة والمحبة والمودة إلى جوار علاقة الزوجية، بل قبلها، قبلية معنوية لا زمانية، كما هو واضح، فإن الحياة الزوجية في منظار الإسلام تعني^(٢): تعاون شخصين لبناء حياة مشتركة سعيدة روحياً وجسماً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وغير ذلك لهما أولاً، ثم للأولاد ثانياً، وللأسرة ثالثاً.

وقد شاهدنا في أيام الإسلام في العراق - قبل الحرب العالمية الثانية حيث لم تطبق بعد القوانين الغربية هناك - كيف كانت البيوت الزوجية عامرة بأفضل المعاني

(١) حول هذه المباحث راجع : «المرأة المسلمة واحكامها»، «نكاتى از شخصيت اسلامى زن» و «فاطمة الزهراء (عليها السلام) أفضل أسوة للنساء» للإمام المؤلف.

(٢) يراجع «الفقه : الآداب والسنن» للإمام المؤلف، وكتاب العشرة من «بحار الانوار» و«وسائل الشيعة» وغيرها.

.....

الإنسانية والعاطفية والعقلية والتربوية وغير ذلك .

وقد كان الطلاق نادراً جداً حتى أن أحد العلماء المتخصصين في اجراء العقود في كربلاء المقدسة قال لي : انه طيلة ايام السنة لم يطلق إلا طلاقاً واحداً بينما كان عدد سكان كربلاء زهاء : مائة ألف إنسان وكان المتخصصون في ايقاع صيغة عقد النكاح - وربما الطلاق نادراً - ثلاثة أشخاص فقط ، بينما نجد الآن وبعد شيوع المادية في بلاد الإسلام ، وقوع الطلاق في مختلف البلاد بكثرة مذهلة بالإضافة إلى المنازعات والمخاصمات المنزلية الكثيرة جداً .

ولهذا البحث مقام آخر^(١) وانما أردنا أن نلمع إليه إلماعاً وأن المسلمين ماذا خسروا حين تركوا الإسلام وذلك ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً﴾^(٢) فإن الإعراض عن ذكر الله سبحانه يشمل كل الاحكام حتى المستحب والمكروه^(٣) والمباح ، إذ كل حكم له فلسفته الدقيقة وإن لم يكن واجباً أو محرماً ، ولذا ورد : «ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه»^(٤) .

(١) تحدث الإمام المؤلف عن ذلك مفصلاً في كتاب «مذكراتي» وبإيجاز في كتاب «بقايا حضارة الإسلام كما رأيت» .

(٢) طه : ١٢٤ .

(٣) فعل المكروه ، وكذا ترك المستحب «فيما كان الترك مكروهاً» اعراض عن ذكر الله وقوانينه وما ذكر الله به .

(٤) مستدرک الوسائل : ١ / ١٤٤ ب ٢٣ ح ١ .

فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي

«فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَشَمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي»

التعرف على حياة المعصومين (عليه السلام)

مسألة : يستحب - وقد يجب - تتبع حالات المعصومين (عليه السلام) وآثارهم وخصوصيات سيرتهم وحياتهم^(١)، كما يدل على ذلك جملة من الشواهد.

ان التكرار من الحسين ثم الحسن ثم علي «عليهم الصلاة والسلام» «بأني أشمّ عندك رائحة طيبة» يدلّ - هو ونظائره - على أمرين :

الاول : تتبعهم (عليه السلام) لكل الاحوال والخصوصيات حتى مثل : خصوصية وجود رائحة طيبة في البيت.

الثاني : تتبعهم حال الرسول (صلى الله عليه وآله) بكل دقة، وأنه (صلى الله عليه وآله) أين يذهب؟ وأين ينزل؟ وماذا يفعل؟ وما اشبه وذلك ينفع في التأسّي به وفي تذكير الآخرين بذلك

(١) كتب الإمام المؤلف عن المعصومين (عليه السلام) الكتب التالية : لاول مرة في تاريخ العالم، باقة عطرة في احوال خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، هكذا حج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تلخيص تاريخ المدينة المنورة، قادة الإسلام، موجز تاريخ الإسلام، فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، الحكومة الإسلامية في عهد الإمام علي (عليه السلام)، محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن، فاطمة الزهراء (عليها السلام) افضل أسوة للنساء، ثورة الإمام الحسن (عليه السلام)، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، الحسين (عليه السلام) أسوة، الحسين (عليه السلام) مصباح الهدى، جهاد الحسين (عليه السلام) ومصرعه، حياة الإمام السجاد (عليه السلام)، حياة الإمام الباقر (عليه السلام)، حياة الإمام الصادق (عليه السلام)، حياة الإمام الكاظم (عليه السلام)، الإمام الرضا (عليه السلام) يقود الحياة، حياة الإمام الجواد (عليه السلام)، حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، حياة الإمام العسكري (عليه السلام)، حياة الإمام الحجة (عليه السلام) وغير ذلك.

.....

وغير ذلك .

وقد ذكر المؤرخون ان المسلمين كانوا يتتبعون حال الرسول ﷺ لحظة بلحظة ودقيقة بدقيقة حتى أنهم لما تطرقوا لسفر رسول الله ﷺ إلى الحج ذكروا عدد من اردفهم خلفه وهو على الناقة بل وذكروا اسم كل فرد فرد ممن اردفهم، كما انهم ذكروا أين نزل وأين صلى؟ وذكروا أنه في المكان الفلاني وجدوا حية وما أشبه ذلك من الخصوصيات الدقيقة .

والحق معهم في هذا التتبع، لانه ﷺ حجة في كل قول وفعل وتقرير، وحركة وسكون، وكلام وسكوت، وما أشبه ذلك .

وقد ذكرنا جملة من هذه الأمور في كتبنا التي تتحدث عن رسول الله ﷺ مثل كتاب: «ولاول مرة في تاريخ العالم» ومثل كتاب: «باقة عطرة» ومثل: ما ذكرناه من أحواله في كتاب: «حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين» .

وهذا ما وصل إلينا من تاريخه ﷺ، وأما ما لم يصل إلينا من أحواله ﷺ فهو كثير جداً، بل لعل ما وصل إلينا لا يبلغ حتى جزءاً من مائة جزء من أحواله الكريمة وذلك لان عمر بن الخطاب منع من الرواية عن رسول الله ﷺ واستمر هذا المنع إلى أواخر العباسيين، وانما رفع المنع مدة قصيرة في حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي زمان عمر بن عبدالعزيز كما لا يخفى على من راجع التواريخ .

وبذلك خفي علينا الكثير من أحواله ﷺ، أما عند السنة فلمنع الحديث وأما عند الشيعة فإحراق الجائرين كتبهم مرة بعد مرة، ثم التقية الشديدة للظروف الحرجة التي مروا بها في قضايا مفصلة مذكورة في كتب التواريخ .

ولعل ما ورد في أحوال الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه» بأنه يأتي بدين جديد يشير إلى ذلك أيضاً، أي: بالإضافة إلى أحيائه السنة وإماتته البدعة

وَأَبْنِ عَمِّي رَسُولَ اللَّهِ
فَقُلْتُ : نَعَمْ هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيْكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ نَحْوَ الْكِسَاءِ
وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟

فإنه يظهر «عليه الصلاة والسلام» ما خفي من أحوال الرسول وآبائه الكرام
«صلوات الله عليهم أجمعين» .

«وَأَبْنِ عَمِّي رَسُولَ اللَّهِ»

اضافة «ابن العم» لدفع توهم الغافل : ان علياً عليه السلام اخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
النسب بمعنى كونهما من اب وأم، أو أحدهما، فهو يفيد ان قوله عليه السلام : «أخي»
انما هو للإشارة إلى منتهى درجة الاخوة في الله تعالى ولوثاقة الرابطة الروحية
والمعنوية بينهما، وهذا من اكبر فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأما في القرابة
فهما عليهما السلام أبناء عمومة .

«فَقُلْتُ : نَعَمْ هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيْكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ نَحْوَ الْكِسَاءِ
وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ ؟»

التواجد بمحضر أولياء الله

مسألة : يستحب التواجد في محافل ومجالس أولياء الله ، لما له من الآثار
والثمار - كما سيأتي - .

وربما يستدل من مجموع سياق حديث الكساء ومن بعض القرائن الداخلية والخارجية انهم «صلوات الله عليهم» - وهم على علم بذلك من قبل - كانوا يتتبعون الرسول (ص) ليكونوا معه حتى تحت الكساء، نظراً للحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك، اضافة إلى ان كونهم بمحضره - بشكل عام - سبب للإستفادة المعنوية والعلمية وغيرهما منه (ع)، إذ من الواضح ان الرسول (ص) - حيث ما نزل أو ذهب - تنزل عليه الفيوضات الإلهية منه جلّ وعلا دوماً وباستمرار، ومن كان مع انسان تنزل عليه الفيوضات ستشمله الفيوضات بدرجة ما أيضاً، كما ان من كان مع انسان تنزل عليه اللعنة ستصيبه اللعنة ولو بترشحاتها في الجملة حسب ما قرّر في قوانين الكون ممّا أشرنا إليه سابقاً.

نعم ليس ذلك على نحو الموجبة الكلية بل يشترط في المحل القابلية والسنخية ولو في الجملة، مثلاً: من يقترب من المريض سيصاب بالعدوى ولو بشكل طفيف غير محسوس، ولذا ورد في الحديث: «فرّ من المجذوم فرارك من الاسد»^(١)، إلى غير ذلك.

وورد في عكسه: «إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة»^(٢) وقد ثبت في العلم الحديث: ان لكل شيء تموجات لامرئية حتى التفكير، ممّا يسبب تأثر الإنسان المقرب من صاحب الموج خيراً أو شراً، بتلك الامواج.

أمّا تجاوز قبر الإمام الرضا (ع) مع قبر هارون فذلك ممّا لا يؤثر لا من هذا الجانب ولا في ذلك الجانب، حيث لا قابلية لهارون اطلاقاً، كي يستفيد من فيوضات الإمام الرضا (ع) كما ان الإمام الرضا (ع) في أعلى درجات المناعة

(١) وسائل الشيعة : ٤٣١/٨ ب ٢٨ ح ٢ . ورواه الفقيه ١٨٤/٢

(٢) مستدرک الوسائل : ١٨/٩ ب ١٠٠ ح ١١ . ورواه في تحف العقول ص ٢٨٨ - ٢٩٦ .

قَالَ لَهُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَيَا وَصِيَّي وَخَلِيفَتَيَّ وَصَاحِبَ لَوَائِي

والعصمة حيث لا يتأثر بمجاورة هارون إطلاقاً، ولذا قال دعبل الخزاعي :

«قبران في طوس خير الناس كلهم

وقبر شرهم هذا من العبر»

«ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا

على الزكي بقرب الرجس من ضرر»

«هيئات كل امرء رهن بما كسبت

له يدها فخذ ما شئت أو فذر^(١)»

«قَالَ لَهُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَيَا وَصِيَّي وَخَلِيفَتَيَّ وَصَاحِبَ لَوَائِي

الإعتقاد بالولاية

مسألة : يجب الإعتقاد بولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانه عليه السلام أخ

الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه وخليفته والإمام من بعده كما صرح بذلك الرسول صلى الله عليه وآله .

ولذلك فوائد كثيرة، فإن الولاية لها آثار معنوية وأحكام شرعية وفوائد

اجتماعية وسياسية وقيادية لوضوح ان ولاية القادة الصالحين المستقيمين توجب

إفاضة الله سبحانه وتعالى لطفه ورحمته على من يتبعهم ويتولاهم، كما أنها

توجب الإستقامة في سلوك التابعين وتحضهم على مكارم الاخلاق .

والاحكام الشرعية المأخوذة منهم احكام الهية واقعية توجب خير الدنيا

(١) امالي الصدوق : ٥٢٦ ح ١٦ ط بيروت . ورواه البحار ٤٩ / ١٣٠ ح ٦ .

.....

والآخرة.

وهذه التأكيدات الكثيرة من الرسول ﷺ على ولاية أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» انما تقصد تحريض الأمة في كل مناسبة على توليه والإهتمام بهديه ﷺ حتى يسعدوا في دنياهم وفي آخرتهم فالفائدة تعود إليهم بالاساس ، لا إليهما «صلوات الله وسلامه عليهما» ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾^(١) وقد قال هو ﷺ ذات يوم : ما أحسنت إلى أحد وما أساء إليّ أحد.

فقالوا : يا أمير المؤمنين وكيف ذلك وقد أحسنت كثيراً إلى الناس وقد أسأوا كثيراً إليك؟

فقال «عليه الصلاة والسلام» : أما تقرأون قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾؟^(٢)

نعم لا إشكال في ان الاتباع كلما كثروا، انتفع المتبوع اكثر لقاعدة : «من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء»^(٣) ومن الواضح ان ذلك من سعي الإنسان القائد والذي يقتضي تفضّل الله سبحانه وتعالى ايضاً، فلا يقال : هذا ينافي قوله تعالى : ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾^(٤) وقوله سبحانه : ﴿كل امرء بما كسب رهين﴾^(٥) وما أشبه ذلك ممّا يحصر الفوائد العائدة إلى الإنسان في عمله.

(١) سبا : ٤٧ .

(٢) الإسراء : ٧ .

(٣) مستدرك الوسائل : ١٢ / ٢٣٠ ب ١٥ ح ٨ . عن هداية الصدوق ص ١٢ .

(٤) النجم : ٣٩ .

(٥) الطور : ٢١ .

التركيز على الاعتقادات

مسألة : يجب التأكيد على المسائل الاعتقادية وبيانها للناس وتذكيرهم بها، فإن التأكيد على المسائل الاعتقادية مهم جداً، إذ بالاعتقاد ينحرف الإنسان أو يستقيم.

وقد ذكر الرسول ﷺ في هذه الجملة: أنه ﷺ أخوه ووصيه وخليفته وصاحب لوائه.

أما الأخوة فقد تقدم الإلماع إليها وهي أخوة معنوية لا أخوة نسبية. والوصي حيث كان أعم من أن يكون خليفة أكده ﷺ بهذا القسم من الوصاية أي: الوصاية في حال كون الوصي خليفة أيضاً. وأما قوله: صاحب لوائي، فيحتمل أن يريد صاحب لوائه في الدنيا، لانه ﷺ كان حامل اللواء في أكثر حروب رسول الله ﷺ، ويمكن أن يريد صاحب لوائه في الآخرة مما يسمى في الروايات: بلواء الحمد^(١)، ومن المحتمل أن يراد الأعم من المادي والمعنوي والدنيا والآخرة، وليس هذا من استعمال اللفظ في أكثر من معنى حيث أحاله بعض، بل من باب الكلّي الذي له مصاديق كما لا يخفى^(٢)، فلا إشكال من هذه الجهة أيضاً.

(١) راجع مستدرک الوسائل: ٤٥٩/٧ ب ٢٢ ح ١٣. وفي البحار ٢٥١/٩٦ ح ٣٢.

(٢) استعمال اللفظ في الجامع ممكن وواقع بل كثير الوقوع، أما استعمال اللفظ في أكثر من معنى على أن يكون كل واحد منها تمام المراد فهو المحال لا غير، راجع «الأصول» للمؤلف.

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ تَحْتَ الْكِسَاءِ»
 «ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»

انتقاء الكلمات المحببة

مسألة : يستحب انتقاء الكلمات المحببة في الخطاب ومن صغريات ذلك خطاب البنت أباها بكلمة «أبتاه» مما يستلزم إدخال السرور على قلبه وفؤاده . وهذا ليس خاصاً بالبنت بل يشمل كل الأقارب ، وكذلك الأباعد ، فإنه من حسن الأخلاق أن يخاطب الإنسان غيره بخطاب يُحِبُّه ، ولهذا ورد أن رسول الله ﷺ كان يَكْنِي الناس حتى الأطفال ، فقد رأى طفلاً وبيده عصفور ثم رآه مرة أخرى وليس بیده العصفور فقال له الرسول ﷺ - كما يرويه الرواة - : «يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟»^(١)

هذا بالإضافة إلى أن الرسول ﷺ أمر الزهراء «سلام الله عليها» بأن تسير على سيرتها السابقة في خطابها له ، بعد ما نزلت آية : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٢) فاطاعت الزهراء «سلام الله عليها» الرسول ﷺ لكنها كانت تضم «أبتاه» إلى «رسول الله» أيضاً وتقول : «يا أبتاه يا رسول الله»

(١) مستدرک الوسائل : ٤٠٩/٨ ب ٦٦ ح ٥ . عن المناقب لابن شهر آشوب ١٤٧/١ وفي النهاية ٨٦/٥ : النغير تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار .

(٢) النور : ٦٣ .

أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ

كما في هذا الحديث .

وما ذكرناه من إنتقاء الالفاظ المحببة إلى قلوب الناس في الخطاب ليس خاصاً بالخطاب، بل من الادب أن يستعمل الإنسان الالفاظ المحببة إلى الناس في كل محادثاته لهم، وكذلك في الكتابة وغيرها، فإن من التعقل - الذي حُبب إليه الشرع أيضاً - التودد إلى الناس .

اعادة السلام

مسألة : يستحب إعادة السلام وتجديده بتغير الحالات وتنوعها، كما صنعت ﷺ ذلك .

«أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

الإستئذان مع العلم بالإذن

مسألة : يستحب الإستئذان حتى مع العلم بوجود الإذن وذلك للإحترام الأكثر كما استأذنوا ﷺ من رسول الله ﷺ مع أنهم يعلمون برضاه لا بعلم الغيب فقط، بل بشهادة القرائن .

وإن من محاسن الآداب أن يراعي الإنسان حريم الآخرين ثبوتاً وإثباتاً وذلك ينعكس على نفسه ايجابياً أيضاً .

«فمن هاب الرجال تهيّبوه و من وهن الرجال فلن يُهابا»

قَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي قَدْ أَذْنْتُ لَكَ
فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ

وحتى إذا كان الطرف الآخر غير مؤدّب فإن الإنسان إذا تعامل معه بأدب، فإنه لابد وأن يتأدّب ولو بقدر، خصوصاً في الأمور المرتبطة باللسان، فربّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة، وقد قال عليه السلام في حديث له: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ السَّنْتِهِمْ»؟^(١) لإفادة المبالغة في أن كثيراً من أهل النار إنما يدخلون النار بسبب السنتهم، وقد قال الشاعر:

«جراحات السهام لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان»
«احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك أنه ثعبان»
وقصة ذلك الخليفة والمعبرين اللذين عبر أحدهما بموت أقربائه قبله، فعاقبه، وعبر الثاني بأنه أطول عمراً من أقربائه فأكرمه مشهورة، مع أن المؤدى كان واحداً.

«قَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي قَدْ أَذْنْتُ لَكَ» .
«فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

البضعة وأقسام الخطاب

الذي وجدته في الروايات أن الرسول عليه السلام عبر بكلمة: «البضعة» عن شخصين: «الزهراء والرضا عليهما الصلاة والسلام» مع وضوح أن كلهم عليهم السلام

(١) وسائل الشيعة : ٥٣٣/٨ ب ١١٩ ح ٨ .

.....

كانوا بضعةً منه ﷺ إلا أن الخطاب بذلك قد يكون لمزيد العناية .
وكانَ هذه الكلمة تفيد أن المخاطب جزء من المتكلم لأن بضعة الإنسان جزء
منه وهي ليست على سبيل المبالغة، بل هي صادقة بالنسبة إلى الوالدين والاولاد،
ويأتي في هذا المبحث أيضاً ما ذكرناه في المبحث الآنف، حيث أن الرسول ﷺ
ذكر أفضل كلمة محبة إلى قلب الزهراء «سلام الله عليها» .

فهناك عدة أقسام من الخطاب :

خطاب يوجب الإهانة والإيذاء وذلك حرام كما قال سبحانه : ﴿ولا تنابزوا
بالألقاب﴾^(١) .

وخطاب يوجب التحبيب والتحبّب وذلك مستحب .

وقد يكون واجباً إذا كانت هنالك ملابسات أو لوازم وملزومات وملازمات
وما أشبه مما يقتضي ذلك .

وقد يكون عادياً فيكون مباحاً بلا كراهة ولا استحباب، والأفضل أن ينتقي
الإنسان الأفضل حتى من المستحب، لأن للمستحبات مراتب .

فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ اخَذَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام بِطَرْفِي الْكِسَاءِ

«فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ»
«اخَذَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام بِطَرْفِي الْكِسَاءِ»

اجتماع القلوب والأجسام^(١)

مسألة : يستحب التجلي في التجمع وإظهاره زيادة على أصل الاجتماع،
ولربما لذلك اخذ رسول الله عليه السلام بطرفي الكساء.

فإن الاخذ بطرفي الكساء، أوجب للتجمع، وأدلّ على كثرة المحبة، فإنه إذا
كان التجمع الصق بعضه ببعض، كانت القلوب أقرب، ولربما كان لذلك
استحباب أكل الجماعة من إناء وصحن واحد، ولعل لهذه الجهة أيضاً عبر القرآن
الحكيم عن الزوجين بقوله: ﴿هَنَ لِبَاسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسَ لِهِنَّ﴾^(٢) ولذا يستحب
ذلك هنا وفي غيره، بالملل.

ولا يخفى أن تجمع القلوب وتقاربها مبعث كل خير، لأنه يوجب التعاون
على البرّ والتقوى والتقدم في الحياة، وربما يجنب الإنسان كثيراً من المعاصي
كالغيبة والتهمة والنميمة وغير ذلك.

ولتقارب القلوب أسباب ظاهرية وأخرى خفية وباطنية.

(١) حول هذا المبحث بنقاطه المختلفة يراجع للمؤلف: «الفضيلة الإسلامية»، «الفقه:

الاجتماع» «الفقه: السياسة» «الفقه: الدولة الإسلامية» «ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين»
وغیرها.

(٢) البقرة: ١٨٧.

.....

فمن الاسباب الظاهرة: الإقتراب من الناس، لان القرب منهم يوجب^(١) محبتهم، وكثرة الالتقاء بهم توجب مزيداً من الإحساس بآلامهم وآمالهم وتستلزم التعرف على مشاكلهم، والتفاهم الأكثر معهم، ولذا نرى الحكومات الإستشارية دائماً تقترب من الناس بخلاف الحكومات الديكتاتورية حيث تنقطع من الناس وتفرض حواجز بينها وبينهم، وهكذا الفرق بين كل استشاري وكل مستبد، أخذاً من رب العائلة إلى ما فوقه من التجمّعات.

وأما الاسباب الخفية والباطنة فمنها: الخوف من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾^(٢) وقال ﷺ: «بنية صادقة»^(٣) وفي الآية الكريمة: ﴿بقلب سليم﴾^(٤).

والإسلام يأمر بالامرين معاً، ولذا أوجب برّ الوالدين وصلة الرحم وقد أمر النبي ﷺ بعطف الكبير على الصغير، واحترام الصغير الكبير. والتجمع المتلاصق تحت الكساء من مظاهر التجمع الظاهري.

وفي كثير من الاحاديث دلالة على أنهم «عليهم الصلاة والسلام» كانوا يجتمعون - في مناسبات مختلفة - حتى قبل خلق الخليفة في العرش كما ورد في الرواية^(٥)، وكذلك كانوا ﷺ يجتمعون في حال حياتهم وبعد مماتهم كما اجتمعوا في مصرع الحسين «عليه الصلاة والسلام» ليلة الحادي عشر من المحرم كما ورد في

(١) بنحو المقتضي.

(٢) الانفال: ٦٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٦٥ ح ٢ ط بيروت.

(٤) الشعراء: ٨٩.

(٥) راجع عوالم العلوم للبحراني ٢١/١١ ب ٢ ح ١٠ ط ٢. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي «عج» عن فضائل الشيعة. ورواه البحار ١١/١٤٤ ح ٩.

وَأَوْمًا بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ

المقاتل^(١).

ومن المعلوم انهم عليهم السلام ﴿أحياء عند ربهم يُرزقون﴾^(٢) فلا عجب من ذلك.

«وَأَوْمًا بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ»

الإشارة في الأمور الهامة

مسألة : ترجح الإشارة في الأمور المهمة، ومن مصاديق ذلك : الإشارة إلى السماء حين الدعاء، وكذا إلى العظماء، ورجحانها في الاعم يستفاد من ملاك هذا الحديث وله شواهد ومؤيدات أخرى.

فإن في الإشارة تأكيداً للهدف الذي يتوخاه الإنسان لانه تنسيق بين العمل والقول، فمن سالك عن الطريق تقول : من الجانب الايمن وتشير إليه أيضاً، إلى غير ذلك من الأمور خصوصاً إذا كانت لها أهمية.

وكما تستحسن الإشارة في الأمور الحسنة، تستقبح في الأمور السيئة. وقد قال الكفار : ﴿كذاب اشرك﴾^(٣) واجابهم سبحانه بقوله : ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الاشر﴾^(٤) وقال الحسين عليه السلام : «إني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً»^(٥).

(١) معالي السبطين ٢/ ٤٥ المجلس ١٢ ط قم .

(٢) آل عمران : ١٦٩ .

(٣) القمر : ٢٥ .

(٤) القمر : ٢٦ .

(٥) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم : ١٣٩ ط قم .

.....

ف«الاشر»: الفرح، المتكبر، الطاغي. وربما: من يشير بالإستهزاء، فتأمل.
و«البطر»: من بطرته النعمة وسببت له غروراً وعدم مبالاة بالحياة
وبتغييراتها.

و«المفسد»: من يفسد المصالح ويحرفها عن طريقها الطبيعي.
و«الظالم»: يشمل بإطلاقه من يظلم نفسه أو الناس أو الحيوان أو الجماد،
ولذا ورد: «فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(١).
ثم قد تكون الإشارة لمجرد الدلالة، كما قال سبحانه: ﴿فاشارت إليه قالوا
كيف نكلّم من كان في المهد صبياً﴾^(٢).

ولا يخفى أنّ للإيماء والإشارة أحكاماً متعددة تكليفية ووضعية مذكورة في
مختلف أبواب الفقه اخذاً من باب «الطهارة» وانتهاءً إلى باب «الديات»، كرفع
اليدين إلى الأذان في حال التكبير، ورفعهما قبال الوجه في القنوت، وفي حالة
الدعاء، وفي باب الحج حيث ان من أشار إلى الصيد كانت عليه كفارة، وإشارة
الآخرس في النكاح والطلاق وسائر المعاملات، والإشارة حين الوصية فيمن لا
يتمكّن من الكلام كما في قصة أمانة حيث كانت تشير بالوصية كما ذكره
المستدرک^(٣)، وكذلك إشارة المريض بعينه - مثلاً - تقوم مقام أعضائه في أداء
أعمال الصلاة و...

وكذلك بالنسبة إلى غير الآخرس والمريض، فإن الإشارة كثيراً ما تؤدّي
نفس مؤدّى الكتابة والعبارة، مما ذكر مفصلاً في مختلف الأبواب الفقهية.

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٧ .

(٢) مريم : ٢٩ .

(٣) راجع مستدرک الوسائل : ١٤/١٢٦ ب ٤١ ح ١ . عن دعائم الإسلام ٢/٣٦٢ ح ١٣٢٠ .

أنواع الإشارة وأحكامها

مسألة : يرجح كون الإشارة بتمام الكف وشبهها، وتحرم فيما إذا تضمنت استهزاءً وشبهه، وكان من عادة الرسول (ﷺ) أن يشير بتمام كفه، لأن فيه نوعاً من الإحترام، كما أنه (ﷺ) إذا أراد التكلم مع أحد كان يتوجه إليه بكل بدنه لا برأسه فقط، لأن التوجه بكل البدن فيه نوع من الإحترام.

والإشارة في هذه الأماكن مستحبة، وقد تكون واجبة لأسباب عارضة، كما ان الإشارة الموجبة للإيذاء أو الإهانة محرمة.

وقد كان من المحرم على الرسول (ﷺ) الإشارة الخفية بعينه فيما يقصد إخفاءه عن جلسائه، كما ورد هذا الاختصاص في قصة الحكم بن العاص حيث كان الرسول (ﷺ) قد أمر بقتله، لكن الأصحاب لم يقتلوه عند ما حضر مجلس الرسول (ﷺ) واعتذروا أنه لم يشر إليهم بعينه فقال الرسول (ﷺ) - حسب الرواية -: ألم تعلموا ان الإشارة بالعين محرمة عليّ.

وكذلك فإن من الحرام خائنة العين، ومعنى خائنة العين: خيانتها في المحرمات مثل: النظر إلى ما يحرم النظر إليه من النساء الاجنبيات وبالعكس في الرجال وشبه ذلك، والفرق بين النظر وبين خائنة العين: ان النظر ليس فيه إخفاء، بينما «خائنة العين» يتضمن معنى الإخفاء.

والإشارة بأقسامها السابقة^(١) لا فرق فيها بين الإشارة بالعين أو الرأس أو اليد أو اللسان أو الرجل أو غيرها، إذ ان كلها مصاديق لتلك الكليات المحكومة

(١) المحرمة والمستحبة والواجبة ...

بالحرمة أو الإستحباب أو الكراهة، ومن هذا الباب الهمز واللمز، ولذا قال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ﴾^(١).

رفع اليد حين الدعاء

مسألة : يستحب رفع اليد إلى السماء حين الدعاء .
وقد ورد التصريح بهذا في الحديث الشريف، معللاً بأن الارزاق والمقادير الإلهية تنزل من السماء .

تقديم الميامن

مسألة : يستحب تقديم الميامن في الاعمال، وكان رسول الله ﷺ يبدأ بميامنه، كما في الاحاديث^(٢) نعم ربما يستظهر من حديث تقديم الرجل اليسرى في حالة الخروج من المسجد^(٣) وفي حالة الدخول إلى بيت الخلاء، وكما يظهر من معتاد المتشرعة من تطهير الموضع باليد اليسرى : ان الاشياء غير الحسنة يكون الافضل فيها استخدام اليد اليسرى، كما انه كذلك بالنسبة إلى إعطاء الكتاب باليد اليسرى للمجرمين، في الآخرة^(٤).

(١) الهمزة : ١ .

(٢) راجع وسائل الشيعة : ٢١٦/١ ب ٢٤ ح ٣ ط طهران .

(٣) راجع جامع احاديث الشيعة : ٤٧٦/٤ ب ٢١ ح ٧ .

(٤) قال تعالى في سورة الحاقة : ٢٥ - ٢٦ : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهٗ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهٗ﴾ .

وَقَالَ : اللَّهُمَّ

ولعل لتقديم اليمنى في مختلف الأمور^(١) علة ظاهرة وعلة خفية ، والله أعلم بالاحكام والمصالح .

أما الظاهرة : فربما لأن اليد اليسرى حيث كانت أقرب إلى القلب لم تحتاج إلى الحركة والفعالية التي تحتاج إليها اليد اليمنى البعيدة عن القلب ، حيث تحتاج إلى التحرك الأكثر كي تتوازن مع اليسرى في القوة والنشاط والحيوية .

وأما الخفية : فللتفاؤل باليمين ، فإن التفاؤل له شأن كبير في تحقيق الحياة السعيدة للفرد والأمة ، بخلاف التشاؤم ، ولذا ورد «تفاءلوا بالخير تجدوه» إذ التفاؤل يشجع على الإستمرار والإستقامة والمضي إلى الامام ، بينما التشاؤم والتطير وما أشبهه يوجب العكس ، ولذا ورد : «إذا تطيرت فامض»^(٢) إلى غير ذلك :

«وَقَالَ : اللَّهُمَّ»

استحباب الدعاء في كل الأحوال

مسألة : يستحب الدعاء في كل حال ، فإن الدعاء سلاح المؤمن^(٣) ومخ العبادة^(٤) وقد قال سبحانه : ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥) وقال تعالى :

(١) ومن ذلك التختّم باليمين ، والمصافحة بها .

(٢) تحف العقول : ٥٠ ح ١٢٢ ط طهران .

(٣) وسائل الشيعة : ١٠٩٤/٤ ب ٨ ح ٣ .

(٤) وسائل الشيعة : ١٠٨٦/٤ ب ٢ ح ٩ .

(٥) غافر : ٦٠ .

.....

﴿قل ما يعبؤا بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾^(١).

والدعاء استمداد من خالق الكون ومن بيده كل شيء، وهو - بالإضافة إلى انه أمر واقعي - يعطي الامل والرجاء الذي يعد من أهم الحلول للكثير من المشكلات.

أمّا انه أمر واقعي فواضح، إذ ان بعض الأشياء البسيطة فقط هي - بإرادة الله تعالى - بيد الإنسان، وله بها العلاج، أما غالب الأسباب والعلل والشرائط القريبة والبعيدة، بل أكثر من ذلك، فليس بيد الإنسان وهو عبر الدعاء يستمد العون منه تعالى في علاجها وحلها، ومن يستكبر فهو بين جاهل ومعاند، لان الإنسان حتى الطبيعي والدهري يعلم - إذا التفت - ان غيره يدير الكون، وانه لا حول له ولا قوة.

وأما ان الدعاء يمنح الرجاء، فلأن الامل بالله سبحانه ورجاء حل المشكلة وقضاء الحاجة يبعث على البهجة والسُرور وراحة الاعصاب وطمأنينة النفس، وهي تؤثر في الجسد، وتوجب الصحة والعافية وكذلك تستلزم الإندفاع نحو الامام، بعكس اليأس الذي يتخلى عن جهاده وأعماله ومشاريعه نظراً لتشاؤمه، ولذا قال سبحانه: ﴿انه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(٢).

لا يقال : إن كان القضاء قد جرى بالخير فطلبه طلب لما هو بحكم الحاصل، وإن كان قد جرى بالشر فالدعاء لا يؤثر؟
لانه يقال :

نقضاً : بانه كما لا يصح ان يقال إن جرى القضاء بالسفر فلا فائدة في

(١) الفرقان : ٧٧ .

(٢) يوسف : ٨٧ .

إِنَّ هُوَ لَا

تهيئة الوسائل والمقدمات ، وإن لم يقض به فلا أثر للتهيؤ والإعداد والإستعداد .
 وحلاً : بأن الدعاء مقتض حل المشاكل وقضاء الحوائج ، فإن انضمت إليه
 سائر الشرائط وارتفعت الموانع تحقق المعلول وحصل المقصود .
 وبعبارة أخرى : ان الدعاء جزء من العلل التكوينية - وهو جزء خفي
 وهناك أجزاء جليلة ظاهرة - وقضاء الله وقدره جرى بتحقيق المعلول عند تحقق
 علته وبعدم تحققه عند انتفاء العلة بما هي علة - ولو بانتفاء أحد أجزائها - فكما
 قضى بتحقيق الإحتراق عند وضع المرء يده في النار دون مانع ، كذلك قضى
 بإعطاء كثير من الحاجات عند الدعاء أو الإلحاح بالدعاء لفترة تطول أو تقصر
 حسب تقديره جلّ وعلا .

«إِنَّ هُوَ لَا»

الدعاء للغير

مسألة : يستحب الدعاء للغير كالدعاء للنفس ولذا قال عليه السلام : «عليّ» ،
 دعاءً إيجابياً وسلبياً .

ويتأكد استحباب الدعاء للأقرباء خاصة لأنه من مصاديق صلة الرحم
 أيضاً ، فإن الدعاء مستحب لكل مؤمن ، ولذا قال عليه السلام - كما سيأتي - : «فاجعل
 صلواتك وبركاتك ورحمتك عليّ وعليهم» .

بل ان الدعاء مستحب حتى للكافر لهدايته ، ولذا كان عليه السلام يقول : «اللهم

اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

إلى غير ذلك مما ذكر في كتب الدعاء، وقد ذكرنا جملة منها في كتاب «الدعاء والزيارة».

ثم ان الإنسان إذا دعى لنفسه ولغيره فالظاهر أفضلية أن يقدم الدعاء لغيره على الدعاء لنفسه لما ورد في دعاء المسلم لأخيه^(٢) بل ما ورد من دعاء الملائكة وطلبهم المضاعفة له عندئذ. «ان الملائكة تقول لمن يدعو لغيره: ولك مثله»^(٣). نعم النبي ﷺ ربما كان يقدم الدعاء لنفسه - كما في هذا الحديث وغيره - ولعله كان لأن دعاءه لنفسه أقرب للإجابة فيقدمه تمهيداً لكي لا ترد الصفقة الواحدة المتضمنة له ولغيره.

التوجه إلى الله عند اجتماع الأسرة

مسألة : يستحب التوجه إلى الله عز وجل إذا اجتمع أفراد العائلة في مكان واحد كما صنع النبي ﷺ بعد ما اكتملوا ﷺ تحت الكساء ومن الضروري تحريض الناس على ذلك.

فإن تجمّع الأقرباء والأرحام في مكان واحد قد يكون مثار القال والقليل والكلام بالباطل أو اللغو. فاللزام أن يصرفه الإنسان إلى شيء من الواجب أو المستحب كبيان المسائل والأحكام والهداية والإرشاد والدعاء وقراءة القرآن

(١) بحار الانوار : ٢٠/٢١ ب ١١ .

(٢) ثواب الاعمال : ١٨٥ ط بيروت .

(٣) ثواب الاعمال : ١٨٥ ط بيروت .

والتعليم والتعلم ونحو ذلك، ولا أقل من السكوت حتى لا يوجب ذلك ارتكاب محرم كالغيبة ونحوها.

ومن المعلوم ان دوام التوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل الحالات يوجب قرب الإنسان إلى الله وقضاء حوائجه وسعة رزقه وارتفاع منزلته، فقد قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١).

والنفس إذا تلونت بذكر الله سبحانه وتعالى كانت مهبط الملائكة، كما ان النفس إذا تلونت بلون الشياطين كانت مهبطاً للشياطين، فإن النفس مثالها مثال الإناء الذي يمكن ان يُملاً خمرًا أو عسلًا.

وفي القرآن الحكيم إشارة إلى الامرين معاً، حيث قال سبحانه: ﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مِنْ تَنْزَلِ الشَّيَاطِينِ﴾ تنزل على كل آفاك أثيم* يلقون السمع وأكثرهم كاذبون^(٢) وقال تعالى في قبال ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٣).

(١) البقرة : ١٥٢ .

(٢) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٣) فصلت : ٣٠ .

أهلُ بَيْتِي

«أهلُ بَيْتِي»

معنى «أهل البيت» وإطلاقاته

مسألة : يستحب وقد يجب - كل في موره - ابلاغ الناس بأن الاربعة الاطهار: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وخاصته وحامته، دون غيرهم.

وبين «الخاصة» التي تخص الإنسان، و«الحامة» التي بينها وبين الإنسان الحرارة والألفة، عموم من وجه.

ثم لا يخفى أن «أهل البيت» له إطلاقان^(١):

أحدهما : يشمل الرسول صلى الله عليه وآله.

والإطلاق الآخر : لا يشمل صلى الله عليه وآله.

وفي المقام : لا يشمل الرسول صلى الله عليه وآله لأنه هو القائل : «أهل بيتي»، أما في آية التطهير^(٢) فيشمل الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً، وهذا متعارف عند العرب.

ومثله : آل، فقد يقول : آل الرسول ويراد به غير الرسول، وقد يراد به حتى الرسول أيضاً، ويؤيده قوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) مع وضوح أن إبراهيم وعمران عليهم السلام كانا

(١) وهنالك إطلاق ثالث ستأتي الإشارة إليه.

(٢) الاحزاب : ٣٣ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(٣) آل عمران : ٣٣.

داخلين أيضاً.

وفي آية أخرى : ﴿ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب﴾^(١) حيث يشمل فرعون أيضاً.

ولقد صرح الرسول ﷺ في موارد متعدّدة بأن هؤلاء الاربعة عليهم السلام هم أهل بيته كي لا يتوّهم شموله لنسائه أو سائر من كان في تلك البيوت كالخدم. كما ان أهل البيت يشمل سائر المعصومين إلى الحجّة المهدي «صلوات الله عليهم أجمعين» بدلالة متواتر الروايات، والتي منها ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة التي تقرأ عند مرقد كل إمام: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة». وحال ذلك حال قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢) حيث ان الأدلة دلّت على ان الائمة الطاهرين عليهم السلام أيضاً أولياء للمؤمنين، فلا ينافي ذلك الحصر^(٣)، والكلام في هذا المبحث طويل موكول إلى كتب الكلام.^(٤)

ولا يخفى ان مثل زينب وأم كلثوم أو إبراهيم بن رسول الله، وعلي الأكبر والعبّاس «عليهم الصلاة والسلام» وأمثالهم داخلون في «أهل البيت» بالمعنى العام لا بالمعنى الخاص الذي ينحصر في المعصومين عليهم السلام فقط.

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) إذ الحصر اضافي .

(٤) يراجع : كفاية الموحّدين، حقّ اليقين، إحقاق الحق، كشف الحق ونهج الصدق، عوالم العلوم والمعارف والاحوال، البحار مبحث الإمامة، العبقات، شرح التجريد وغيرها.

وخاصّتي وحاتّتي

«وخاصّتي»

تعميم الأدعية

مسألة : يستحب تعميم الصلوات وغيرها من الادعية على اهل بيته ﷺ أجمعين، لانهم خاصته ﷺ كما قال ﷺ : «وخاصّتي» والمتعارف ان الهدايا تُبعث للرجل وخاصّته .

«وحاتّتي»

من هم الحامة؟

حامة النبي ﷺ الواقعيون وبالمعنى الدقيق للكلمة هم : علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ حيث خصّهم بالذكر في هذا المقام الهام وهو مقام مناجاته ﷺ ربّه، ولو كان آخر معهم للزم ذكره ، مع ملاحظة أهمية المقام وكون المناجي هو النبي ﷺ والمناجي هو الله سبحانه وتعالى .

ومن المعلوم أنّ : «حمي» غير «حنّ» وهذه المادّة من : «حمم» لا من «حمي» وقد ذكرنا وجه ذلك وان الحامة هم الذين بينهم علاقة خاصة^(١)، ومنه

(١) في لسان العرب : «الحامة» : خاصة الرجل من اهله وولده، و«الحميم» : القريب الذي تودّه ويودّك .

لَحْمُهُمْ لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي

«الحميم»، حيث يطلق على القريب الذي له علاقة وحرارة خاصة مع صديقه، لا على كل صديق.

«لَحْمُهُمْ لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي»

التذكير بوشائج القربى

مسألة : يستحب التذكير بوشائج القربى مما يوجب تزايد المحبة بين الاقرباء، كما قال (ع): «لحمهم لحمي ودمهم دمي».

وانما كان لحمهم (ع) لحمه (ع) ودمهم (ع) دمه (ع) لانهم خلقوا نوراً واحداً ومن اصل واحد ثم فُرقوا بهذه الصورة، كما يدل على ذلك جملة من الروايات كقوله (ع): «خلق الله الناس من اشجار شتى وخلقني وانت [يا علي] من شجرة واحدة»^(١).

واللحم والدم من باب المثال وإلا فالعظم والعصب والعرق وسائر الاجزاء ايضاً كذلك، للملاك وللقطع، حسب الروايات.

هذا بحسب المعنى وبلحاظ اصل الخلقة، وأما بحسب المادة والتسلسل الجسمي الظاهري فإن لحمهم (ع) ودمهم ايضاً نابت من لحم الرسول (ص) ودمه، لان الولد من الماء المتكوّن من الدم الجاري في العروق والممتزج باللحم وهو منشؤه ايضاً، فكلهم (ع) منه (ع).

(١) بحار الانوار : ١٥/١٩ ب ١ ح ٢٠

يُؤْلِمُنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ

كما يدل على ذلك روايات أخر، مثل قول الصادق عليه السلام لابي حنيفة حيث قبل عصا رسول الله ﷺ، مشيراً إلى يده عليه السلام قائلاً: «هذا لحم رسول الله ﷺ».

«يُؤْلِمُنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ»

دفع الأذى عن آل الرسول ﷺ

مسألة : يجب دفع ما يؤلم ودفع ما يوجب الحزن عن أهل بيته عليه السلام لقوله : «يؤلمني ما يؤلمهم ويحزني ما يحزنهم».

وإطلاقه يشمل حال حياته ومماته كحال حياتهم ومماتهم، إذ لا فرق بين الحالتين فيهم «عليهم صلوات الله وسلامه»^(١).

ومما يوجب حزنهم وأذاهم، دون شك، انتهاك حرمة الله والتجري على معصيته وخرق قوانينه ودساتيره .

والإيلام والإحزان بالنسبة إلى الروح واضح، لأن الجماعة الواحدة والذين توجد بينهم أواصر قرابة أو صداقة يؤلمهم ما يؤلم أحدهم، ويحزن أحدهم ما يحزن الآخرين، نظراً للرابطة العاطفية والمشاركة الوجدانية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في أمثال هذه الموارد.

ولكن هل الإيلام شامل لأجسادهم أيضاً، بأن يكون ألم أحدهم عليه السلام

(١) إذ لا شك مثلاً في أن قتل الإمام الحسين عليه السلام أوجب أشد الحزن والألم على الرسول الأعظم عليه السلام وذلك لما دلت عليه الروايات بل والآيات ﴿بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾.

موجباً للألم في جسم الرسول (ص)؟

ذلك محتمل، فإن الارتباط القوي بينهم حسب الخلقة يقتضي ذلك^(١)، كما ان الارتباط بين البدن الواحد يقتضي تألم سائر الاعضاء بألم عضو واحد، لكنه خلاف الإنصراف، إذ المنصرف من التألم، التألم الروحي والنفسي فتأمل.

مشاطرة العائلة همومهم وأحزانهم

مسألة : يستحب أن يشارك كبير العائلة أفراد أسرته في آلامهم وأحزانهم لقوله (ص) : «يؤلمني . . .» وكذلك بالنسبة إلى الافراح للملاك . ولم يُضِف (ص) «ويفرحني ما يفرحهم» ههنا، لانه (ص) في مقام دفع الآلام عنهم^(٢)، وفي بعض الاحاديث حيث لم يكن الكلام في هذا المقام فقد تم ذكر الامرين معاً، حيث قال الإمام الصادق (ع) : «شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا وعُجِنوا بماء ولايتنا ، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»^(٣).

(١) وقد ثبت علمياً بل شوهدت في الخارج موارد كان شدة الارتباط العاطفي بين الطرفين سبباً لتألم أحدهما بتألم الآخر جسدياً.

(٢) ربما يعلل أيضاً بكون ذلك تمهيداً لطلبه منه سبحانه «الصلوات والرحمة والبركات عليهم» فهو ادعى لذلك عرفاً، وربما يكون السبب الإشارة الرمزية إلى ان حياتهم مستغرقة عادة بالآلام والاحزان فـ«المؤمن مبتلى» [وسائل الشيعة : ١٤/٢٥٥ ب ١٨ ح ٨] و«ان الله إذا أحب عبداً ابتلاه» [تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٤ ط قم] و«حقّت الجنة بالمكاره وحقّت النار بالشهوات» [بحار الانوار : ٧٠/٧٨ ب ٤٦ ح ١٢] وكذلك حياة الذين نذروا انفسهم في سبيل الله سبحانه حيث يضحون بالغالي والرخيص في سبيله تعالى .

(٣) صدر الرواية في بحار الانوار : ٢٠٣/٥٣ الحكاية ٥٥ ط طهران .

ما هو ماء الولاية؟

ولا يخفى ان الخلقة من فاضل طينتهم ﷺ حقيقي، كما صرّحت بذلك الروايات^(١)، وهل الامر كذلك بالنسبة إلى ماء الولاية، أو ان ذلك من المجاز تشبيهاً للولاية بالماء الذي جعل الله منه «كل شيء حي»؟ احتمالان .

فإذا كان من الثاني فهو من قبيل قول الشاعر: «لا تُسْقِنِي ماء الملام»
ومن قبيل قوله سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٢).
ويؤيد ذلك ما دل على: ان الارواح جنود مجنّدة^(٣)، وما دل على: ان القلب يهدي إلى القلب .
وقد اكتشف العلم الحديث ان للقلب^(٤) والفكر تموجات تؤثر سلبياً أو ايجابياً على الآخرين - في ظروف معيّنة -^(٥).

(١) راجع عوالم العلوم : ج ١١ ص ١٨ ب ٢ ح ٦ ط ٢ . تحقيق مدرسة الإمام المهدي «عج» .
(٢) الإسراء : ٢٤ .

(٣) نهج الفصاحة : ٢١٣ ح ١٠٥٢ ط طهران .

(٤) قد يكون المراد به مركز العاطفة، لا هذا العضو الصنوبري .

(٥) فهي كامواج الإذاعة مثلاً في كونها غير مرئية وبحاجة إلى جهاز استقبال وبذلك يفسر ايضاً توارد الخواطر .

أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ

ولهذا أسست مدارس في يومنا هذا للإحياء النفسي وغسل الادمغة بسبب الامواج الفكرية والإحياء وشبه ذلك كما لا يخفى على من راجع بعض الكتب الصادرة في هذا المجال .

«أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ»

مواجهة أعداء آل الرسول (ص)

مسألة : تجب محاربة من حارب أهل البيت (ع)، كما يستفاد من هذا المقطع، حيث ان من حارب علياً أو فاطمة أو الحسن أو الحسين «عليهم الصلاة والسلام» فقد حارب رسول الله، لقوله (ص): «أنا حرب لمن حاربهم» ومن الواضح حكم محاربة الرسول (ص)، وقد قال (ص): «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»^(١).

وكما تجب محاربة من حارب أهل البيت (ع) بأجسادهم، تجب محاربة من حاربهم في أفكارهم ومناهجهم.

(١) تفسير القمي ٥٢٣ : في تفسير الآية ٥٧ من سورة الاحزاب ط حجربة ١٣١٢ .

وَسَلِّمْ لِمَنْ سَالَمَهُمْ

«وَسَلِّمْ لِمَنْ سَالَمَهُمْ»

مناصرة أولياءهم ﷺ

مسألة : يجب ان يكون الإنسان مسلماً لمن سالم أهل البيت ﷺ كما كان الرسول ﷺ كذلك.

تحقيق في معنى العدا والمسالمة

والمراد المسالمة لهم - أي من سالمهم ﷺ - من حيث هو مسالم لهم وبهذا اللحاظ ، فلا يقتضي ذلك عدم وقوع التنازع بحيث آخر ومن جهة ثانية «كالتنازع في دين أو ميراث أو شبه ذلك» .

كما ان اطلاق الجملة السابقة يقتضي وجوب ان يحارب الإنسان من حارب أهل البيت ﷺ من غير فرق بين من حاربهم عسكرياً أو اعلامياً أو سائر أقسام الحروب ، وكذلك في السلم ، لإطلاق الجملتين ولا انصراف ، ولو فرض فالملك والقرائن المقالية والمقامية تقتضي التعميم .

ومن المعلوم ان من حارب بعضهم ﷺ كان كالحارب لكلهم ، ولكن المسالم لجميعهم يكون مسلماً لهم ، فليست الجملتان على غرار واحد في المحاربة والمسالمة .

والإلتزام بان حرب بعضهم حرب لجميعهم لما دل على انهم نور واحد فمن

وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ

انكر احدهم فقد انكر جميعهم، وكذلك حال الانبياء (عليهم السلام) فمن انكر نبياً من الانبياء كان كالمنكر لجميعهم، وهكذا حال صفات الله سبحانه وتعالى حيث أن من انكر صفة واحدة كان كإنكار الجميع.

وبذلك يظهر الجواب عن سؤال السائل : ما هو الفرق بين الحرب والسلام حتى عدت الحرب لبعضهم أو في جهة من جهات أحدهم حرباً لهم، لكن السلم لا يكفي فيه إلا السلم لجميعهم في جميع الخصوصيات؟ ونضيف توضيحاً لذلك مثلاً:

فإن الحرب كالحالة المرضية، والحالة المرضية تتحقق ولو بتسرب جرثومة خبيثة واحدة إلى الجسم، بينما السلم كالحالة الصحية، والصحة لا تتحقق إلا بتوفر كافة العوامل وطردها كل الأوبئة والجراثيم، وكذلك «الحصن» فإنه يسلم من فيه بسد كل ثغوره وخلله وفرجه، بينما يهلك من فيه فيما إذا استطاع العدو فتح ولو ثغرة واحدة فيه.

«وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ»

معاداة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة : تحرم معاداة أهل البيت (عليهم السلام).

ولا يخفى أن العداء غير الحرب، لأن العداء حالة نفسية قلبية، وإن تعدت إلى الجوارح، أما الحرب فلا تطلق إلا على حركة الجوارح، بطريقة معينة، ولذا

قال ﷺ في مقابل ذلك: «ومحب لمن أحبهم»، حيث إن الحب أمر قلبي وإن تعدى إلى الجوارح أيضاً.

وحيث كانت العلاقة بين العداوة والمحبة علاقة الضدين اللذين لهما ثالث وكان من الممكن أن لا يكون إنسان بالنسبة إلى إنسان معادياً ومع ذلك لا يكون محباً، لذلك أضاف ﷺ: «ومحب لمن أحبهم».

تعاقد الأرحام

مسألة : يلزم أن يكون الأقرباء - من باب أنهم من أجلى المصاديق وأهمها - يداً واحدة على أعدائهم فيما كانت العداوة بحق، كما قال ﷺ: «أنا حرب لمن حاربهم... وعدو لمن عاداهم».

وذلك من ملزومات نصرة المسلم وهو من لوازم الإيمان سواء كانت العداوة لأمر ديني أو لحق شخصي كمن غصب مال أحدهم، فيكونوا يداً واحدة عليه حتى يرد المال، وهكذا وهلم جرا.

ومن الواضح أنه لا يصح نصرة القريب أو نحوه بالباطل، وقول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالماً ومظلوماً»^(١) ويراد بالاول: كفه عن الظلم لأنه نصرة له في الدنيا^(٢) والآخرة، كما فسر بذلك في بعض الروايات.

وخصوصية الأقرباء أنهم أولى بالمعروف، وإلا فالمسلمون ينصر بعضهم

(١) نهج الفصاحة : ١١١ ح ٥٦١ ط طهران.

(٢) لما للظلم من الاثر الوضعي والبواقب الوخيمة على الظالم وذريته في هذه الدنيا.

وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ

بعضاً وإن كانوا بُعْداء .

اضافة إلى ان العائلة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فإذا غرست فيها معاني التعاضد والتعاون بالحق كان سبباً لتربية المجتمع على ذلك أيضاً .

«وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ»

محبة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة : تجب محبة أهل البيت (عليهم السلام) ^(١) تحصيلاً لحب النبي (صلى الله عليه وآله) لقوله (صلى الله عليه وآله) : «ومحب لمن أحبهم» .

كما يلزم حبهم (عليهم السلام) أيضاً لذواتهم ، فإحدى المحبتين طريقية والأخرى موضوعية ذاتية ، ويوضح ذلك ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى عقیل : «إني أحبه حبين : حباً له وحباً لحب أبي طالب له» ^(٢) .

ثم لا يخفى انه لا يصح الإكتفاء بمحبتهم (عليهم السلام) عن الإمثال لاوامرهم والتي هي أوامر الله سبحانه وتعالى ، فإن الحب الحقيقي هو الذي يتوخى رضى المحبوب ويلتزم بمنهجه ويطيع سيده في كل أعماله ، ولذلك ورد :

«تعصي الإله وأنت تظهر حبه ان المحب لمن أحب مطيع»

ولا ينفع حبهم (عليهم السلام) بدون الإطاعة والعمل إلا نفعاً في الجملة ، كما ذكر في

(١) الأدلة على ذلك أكثر من ان تحصى ، فليراجع : احقاق الحق والغدير والعوالم وكفاية الموحدين وغير ذلك .

(٢) بحار الانوار : ٢٢ / ٢٨٨ ب ٥ ح ٥٨ .

.....

الروايات، ففي الحديث: «ان وليّ محمد ﷺ من أطاع الله وإن بعدت لحمته وإن عدوّ محمد ﷺ من عصى الله وإن قربت قرابته»^(١) و«أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه»^(٢).

وفي ذلك بحث مفصّل في علم الكلام، فإن الإيمان مركزه الجوارح واللسان والقلب، ويجب أن يتجلّى عليها كلها - حسب المقرّر في الشريعة - وهكذا أمثال الحب.

المحبة ودورها في التكوين والتشريع

مسألة : يستحب، وقد يجب، تكوين وانماء المحبة السليمة المشروعة، فإن المحبة هي المحرك الأكبر نحو الفضائل، فمحبة الله سبحانه هي التي تبعث على إطاعة أوامره ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٣)، وكذلك محبة الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ وكذا الصالحين، ومحبة الدخول في الجنة، ومحبة الذكر الحسن ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤) وهكذا.

ولذلك ورد في الحدث الشريف: «الدين الحب» و«هل الدين إلا الحب»؟^(٥) وغير ذلك.

اضافة إلى ان الحب تدور عليه رحى الحياة، فالأم والاب يعتنيان بالاولاد

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ٢٤ ط قم .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٤٦/١١ ب ٤٣ ح ٦ .

(٣) البقرة : ١٦٥ .

(٤) الشعراء : ٨٤ .

(٥) مستدرك الوسائل : ٢١٩/١٢ ب ١٤ ح ٥ .

وبتربيتهم نتيجة للمحبة، وكذلك اكتساب التاجر معلول لمحبة لنفسه وأسرته، وكذلك الزارع يزرع، والطالب يكتسب العلم، إلى غير ذلك كله للحب، حتى إذا فقد الحب من العالم انهدم العالم.

فاللزام أن يكون الإنسان الحب وينميّه، حتى يكون في خط الكون - الذي خلق بالحب وللحب - وحتى يكون في خط الدين.

لكن ما معنى ان الكون خلق للحب وبالحب؟ وان به قوامه؟

يتضح ذلك بمثال: فكما ان النور والجاذبية ونحوهما قوام الكون، فإذا فقدنا انهدم الكون، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١) كذلك - بل وفي رتبة سابقة - المحبة، فإنها هي الباعث لإيجاد هذا الكون، وأعني: محبة الله سبحانه لإظهار ذلك الكثر الخفي «كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(٢) ومحبة جل وعلا لهؤلاء الخمسة «صلوات الله عليهم أجمعين» كما سيأتي قريباً في قوله تعالى: «إني ما خلقت سماءً مبنية و... إلا في محبة هؤلاء الخمسة...» ويدل عليه كثير من الروايات الاخر.

وحب الله تعالى معناه ما ذكره من «خذ الغايات واترك المبادي» كسائر ما ينسب إليه من الصفات من أمثال الغضب والسمع والبصر وشبه ذلك، فالكون كمائدة يهيئها المضيف للضيف، من جهة حب المضيف للضيف.

ولماذا هذا الحب من الله تعالى؟

لأنهم (عليهم السلام) أكمل خلق الله سبحانه، ولأن المخلوق محبوب للخالق،

(١) فاطر: ٤١ .

(٢) (بحار الانوار: ٨٧ / ١٩٩ ب ١٢ ح ٦ (بيان) .

.....

ولأنهم أكثر خلق الله له طاعة وحباً^(١).

وقد اتضح بذلك ان الكون يدور على رضى المحبة، كما اتضح في صدر هذا البحث، ان الدين أيضاً كذلك^(٢).

ونضيف ان كون «الدين الحب»: باعتبار ان محبة الله وأوليائه^(٣) هي النواة المركزية للدين حيث ان العلة الغائية للدين هي ذلك وحيث شرعت الاحكام كلها حول هذه النواة، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥) وهي العلة الاساسية للتمسك بالدين، ومن أراد المزيد فعليه بالمفصلات.

(١) سيأتي بعض الكلام حول ذلك في مبحث (الغاية من الخلقة).

(٢) حيث ذكر (ان المحبة هي المحرك الاكبر نحو الفضائل...).

(٣) الإضافة لها معنيان ههنا، وكلاهما مفيد ومراد ولو بنحو الجامع، فـ(محبة الله) اي محبة الإنسان - مثلاً - لله تعالى و(محبة الله) اي محبة الله للإنسان، إذ الإضافة تكون تارة للفاعل وأخرى للمفعول، فمحبة الله للإنسان سبب لتشريعه الاحكام التي توجب سعادته في الدنيا والآخرة، ومحبة الإنسان لله سبب لالتزامه بدساتيره جلّ وعلا، وهناك معنى ثالث: محبة الإنسان ليكون محبوباً لله، فليتأمل.

(٤) البقرة: ١٦٥.

(٥) الشورى: ٢٣.

إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ

«إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

توثيق الترابط بين الأقرباء

مسألة : يستحب توثيق عرى الترابط بين الأقرباء، ومن طرق ذلك تعريفهم وتذكيرهم دوماً بأن بعضهم من بعض، خاصة إذا كانت لبعضهم منزلة رفيعة، فإن ذلك فيما إذا كانوا جميعاً على الدين والإيمان يوجب تماسكهم وتعاونهم على الخير والتزامهم بصلة الرحم وبالتالي يستلزم قوة هذا التجمع الصغير بل والمجتمع الأكبر نظراً لتشكله منه.

فإن التجمع قوة وكلما كان تماسكه أكثر كانت قوته أكثر والمعرفة مقدمة للتجمع والتماسك والتعاون بشكل أقوى.

أما خطاب النبي ﷺ لله سبحانه: أنهم ﷺ منه، فإن ذلك من التخصُّع والإستعطاف والإلتماس، مثل أن يقول الفقير للغني: هؤلاء أولادي فتكرم عليّ وعليهم بالمال.

هذا بالإضافة إلى أن الأقرباء إذا عرفوا أنهم ينحدرون من كبير في العلم والفضيلة حفزهم ذلك على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فإن الإنسان مندفع إلى طلب المعالي والترفع بذاته خصوصاً إذا عرف أن المنسوب إليه رفيع.

وهذا من أسباب ابتعاد أولاد الأئمة (عليهم السلام) وذويهم عن الدنایا وترفعهم عنها، بخلاف أولاد أمية والعباس ومن إليهما، إذ نجد في أولاد الأئمة (عليهم السلام) واخوتهم وذويهم، أن معرفتهم بنسبهم أوجبت أن يرتفعوا عن الدنایا، ويتصفوا

.....

بكثير من المزايا.

وقد ذكرنا في بعض الكتب ان نسبة بعض الأمور الشائنة إلى اولاد الائمة عليهم السلام لم يثبت شيء منها ثبوتاً شرعياً، بحيث يبرأ الناسب شرعاً، وما ذكر في بعض الكتب لا سند له، نعم الثابت قصة ولدي آدم ونوح عليهم السلام، وذلك استثناء، إذ ما ذكرناه ليس على نحو العلية بل الإقتضاء الغالب ولذا ورد: «الولد سرّ أبيه».

الإحتمالات في معنى «انهم مني وأنا منهم»

يمكن أن يكون المراد من قوله عليه السلام: «انهم مني وأنا منهم» أحد أمور^(١):
منها: ان خلقتهم عليهم السلام كانت بسببه عليه السلام وخلقته عليه السلام كانت بسببهم^(٢)، كما قد يدل على هذا حديث «لولاك...»^(٣) وتقريره: ان لولا النبي عليه السلام لم يخلق الله تعالى الافلاك ونظائرها فلم يتيسر لاحد ان يحيى هذه الحياة ولولا علي وفاطمة «سلام الله عليهما» لم يخلق الله تعالى النبي عليه السلام.

وبعبارة أخرى: ان الكون كمجموع، بدون خلقته عليه السلام وخلقتهم عليهم السلام.

(١) قد يكون المقصود: ان كل واحد منها تمام المراد، وقد يكون المقصود كون كل واحد منها بعض المراد واحد المصاديق وهذا أرجح بالنظر إلى سياق الحديث كله وإلى إطلاقه، وإلى القرائن المقامية والمقالية الأخرى، اضافة إلى ان نظر المصنف هو ذلك كما يظهر من استنباطه اللاحق.

(٢) قد يكون المقصود: بنحو الدور المعني، وقد يمثل لذلك بالمتضايقين كالمتوازيين والاخوين (متوافقين كانا أم متخالفين).

(٣) عوالم العلوم: ٢٦/١١ ب ٣ ح ١.

.....

ناقص، والله سبحانه لا يخلق إلا الكامل - كل في حده - بل لغو ونقض للغرض فليدقق، فلولاه (عليه السلام) لكان الكون ناقصاً، فلم يكن الله له ولهم (عليهم السلام) خالقاً، وبالعكس.

ومنها : المعنى الذي ربما يستظهر من قوله (عليه السلام) : «حسين مني وأنا من حسين»^(١)، فإن الحسين (عليه السلام) منه (عليه السلام) ولادة، وهو من الحسين بقاءً، بمعنى : أن دينه بقي بسببه، ولذا قالوا: الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وكذلك قد يراد بـ«انهم مني وأنا منهم» ذلك.

ومن المحتمل أن يراد بـ: «حسين مني وأنا من حسين»، المعنى الاول المذكور في قوله (عليه السلام) : «انهم مني وأنا منهم» من التسبب في أصل الخلقة.

ومنها : ان الاعتبار الديني والمكانة الدنيوية في القلوب والافكار وغيرها لاهل البيت (عليهم السلام) من النبي (عليه السلام) وكذا ما للنبي (عليه السلام) في الدنيا من المنزلة والذكر الحسن فهو من تضحيات اهل البيت (عليهم السلام) ونتيجة تفانيهم في سبيله وسبيل دينه.

ومنها : ما سبق ، ولكن بلحاظ الآخرة.

ومنها : باللحاظين معاً وغيرهما أيضاً، ويؤيد هذا المعنى : الجمل السابقة على هذه الجملة «ان هؤلاء».

ومنها : ان هذه عبارة عرفية تدل على شدة الترابط والتماسك بينه (عليه السلام) وبينهم (عليهم السلام)، وترمز إلى ان ما يصيبه يصيبهم وما ينفعه ينفعهم وبالعكس، ونظيره ما يقوله الملك او الحاكم لشعبه : أنا منكم وإليكم.

فقوله (عليه السلام) : «انهم مني وأنا منهم» يأتي مؤكداً للجمل السابقة، وشدة الارتباط والقرب بينه (عليه السلام) وبين اهل بيته (عليهم السلام) اوضح من الشمس وهي تتجلى في

(١) بحار الانوار : ٢٧١/٤٣ ب ١٢ ح ٣٥ .

القرب المادّي النسبي والقرب الروحي والمعنوي والفكري . . . والقرب في المنشأ لأن كلهم ﷺ من نور واحد، ولذا قال ﷺ: «خلق الله الناس من أشجار شتى وخلقني وأنت [يا علي] من شجرة واحدة»^(١).

ومنها : ان الخلقة لو لا خلقة النبي ﷺ لم تدل على كمال الخالق فلولاه ﷺ لم يخلق الله تعالى الخلق، إذ انه حينئذ سيدل على عدم كمال قدرته، كالبناء الماهر لا يبني الدار الناقصة لدالاتها على عدم كماله^(٢).

الولاية التشريعية والتكوينية^(٣)

يستنبط^(٤) من قوله ﷺ: «انهم مني وأنا منهم»: ثبوت الولاية التشريعية والتكوينية لاهل البيت ﷺ، إضافة إلى وجود الادلة الكثيرة الدالة على ذلك. فالولاية التشريعية بمعنى: أن بأيديهم ﷺ التشريع. والتشريع فيهم يعني نفس ما يعنيه الحديث الشريف الوارد فيه ﷺ: «إن الله أدب نبيه على أدبه. . . ففوّض إليه دينه»^(٥)، على تفصيل ذكره السيد عبد الله الشبر «قدس سره» وغيره في كتبهم^(٦) وقد المعنا إليه في بعض الكتب الفقهية.

(١) بحار الانوار : ١٥/١٩ ب ١ ح ٣٠ .

(٢) الفرق بين هذا وما سبق ان هذا بلحاظ مرحلة الإثبات، وذاك بلحاظ مرحلة الثبوت.

(٣) حول هذا المبحث راجع «الفقه: البيع الجزء الرابع» و«شرح التجريد» للمؤلف.

(٤) نظراً لإطلاقها، بل ودالاتها على (الوحدة)، وإذا تعذرت الحقيقة (الوحدة الذاتية)

فستكون بلحاظ الصفات والآثار جميعاً باعتباره أقرب المجازات.

(٥) بحار الانوار : ١٠٤/٣٤٢ ب ٥ ح ٤ .

(٦) يراجع : نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي «قده»، وكفاية الموحدين، واحقاق الحق

للتستري «قده» وغيرها.

وأما الولاية التكوينية فبمعنى : ان لهم (عليهم السلام) ان يتصرفوا في الكون بإذنه سبحانه بل هم (عليهم السلام) يتصرفون فيه بإذنه تعالى ، كما يتصرف عزرائيل بإذنه سبحانه في الإماتة ، وكذلك بالنسبة إلى بعض الملائكة حيث قال سبحانه : ﴿فالمدبرات أمراً﴾^(١).

وفي الحديث القدسي : «عبدني أطعني تكن مثلي او مثلي ، اقول للشيء : كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون» وهذا يمكن تحقيقه بالنسبة إلى الطبقة العادية من الناس ، فكيف بهم (عليهم السلام) وهم من المعدن الاسمي والجوهر الاعلى ؟ كما قال (عليه السلام) : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»^(٢) ، وفي قصة عيسى (عليه السلام) دلالة على ذلك حيث كان يبرا الاكمه والابرص ويحيي الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى وهم (عليهم السلام) افضل من عيسى (عليه السلام) لما ورد من ان عيسى (عليه السلام) يصلي خلف الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه»^(٣) ، بالإضافة إلى الروايات المتعددة والتي تعد من ضروريات مذهبنا ، وقد اشرنا إلى هذا المبحث في مقدمة الكتاب .

(١) النازعات : ٥ .

(٢) الكافي : ٨ / ١٧٧ ب ٨ ح ١٩٧ .

(٣) راجع الخصال : ١ / ٣٢٠ ح ١ باب الستة ط قم .

فَاجْعَلْ

«فَاجْعَلْ»

التمهيد للدعاء

مسألة : يستحب أن يُقدَّم على الدعاء ما يوجب الإستجابة كذكر أسماء المعصومين عليهم السلام والتوسّل بهم، كما قدّم الرسول ﷺ ما قدم ثم قال: «فاجعل صلواتك . . .» .

فإنّ التوسّل بأهل البيت عليهم السلام وجعلهم شفعاء بين يدي الدعاء يوجب استجابة الدعاء، كما دل على ذلك جملة من الأدلة، وفي بعض الأحاديث أن تقديم الصلاة عليهم عليهم السلام على الدعاء والحاقها به أيضاً (أي الصلاة قبل الدعاء وبعده) يوجب الإستجابة، وفي رواية: «الصلوات ثلاث مرات» كما ذكرنا ذلك في كتاب «الفقه: الآداب والسنن» .

فإن ذكر المحبوب مع طلب الحاجة يوجب إقبال الغير على السائل والله سبحانه وتعالى يقبل على عبده إذا افتتح دعاءه بالصلاة على محمد وآل محمد، وإقباله تعالى ليس بالمعنى العرفي الحسّي وشبهه، بل من باب: «خذ الغايات واترك المبادي»، كما ذكروا بالنسبة إلى صفاته سبحانه التي هي من قبيل الغضب والرضى والحب والسمع والبصر أو ما أشبه ذلك، وقد روي أن النبي ﷺ كان يفتتح دعاءه بالصلاة عليه وآله، إذ لا منافاة بين رفعة المقام وبين جريان سنن الله التشريعية على الرسول ﷺ كما تجري السنن التكوينية عليه .

صَلَوَاتِكَ

«صَلَوَاتِكَ»

الصلاة على النبي وآله (عليهم السلام)

مسألة : يستحب الصلاة على النبي وأهل بيته (عليهم السلام) كما قال (عليه السلام) : «فاجعل صلواتك عليّ وعليهم».

والمراد بالصلوات : العطف والحنان، ولذا يسمى أحد المتسابقين بالمصلي، فإن الإنسان يعطف إلى نحو الله سبحانه وتعالى في صلواته^(١) والله سبحانه وملائكته يعطفون على الإنسان في صلواتهما عليه، ومن الواضح ان عطف الله سبحانه وتعالى إنزال فضله ولطفه.

قال الشاعر :

«صَلَّتْ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ سَيُوفُهُمْ»^(٢)

فغدا لساجدة الظُّبَى محراباً

ولعل قوله (عليه السلام) : «فاجعل صلواتك» حيث جاء بالجمع ولم يقل : «صلاتك» كان من جهة اختلاف أنحاء العطف، كالعطف المعنوي والعطف المادي والعطف في الدنيا والعطف في الآخرة إلى غير ذلك.

(١) فالصلاة لله بمعنى العطف والميل نحوه تبارك وتعالى.

(٢) أي : نزلت على جسمه (عليه السلام) وعطفته نحوه.

وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ وَرِضْوَانِكَ

«وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ وَرِضْوَانِكَ»

التنوع في الدعاء

مسألة : يستحب تنوع الدعاء وتعدد ما يطلبه من الحوائج وعدم الإقتصار على دعاء واحد، ولذا لم يكتف النبي ﷺ بواحدة منها، لاختلاف معاني هذه الكلمات.

فالصلاة : هي العطف .

والبركة : الثبات والإستمرار .

والرحمة : هي الإفاضة .

والغفران : الستر، لأن للممكن بما هو ممكن نواقص وقصوراً، ولذا ورد عن النبي ﷺ انه قال : «وانه ليران على قلبي»^(١) مما هو لازم الممكن وإلا فهم ﷺ في أرفع درجات العصمة والكمال، ومن هذه الجهة كان النبي ﷺ يستغفر كل يوم سبعين مرة من غير ذنب .

والرضوان : عبارة عن رضاه سبحانه وتعالى، وقد ذكرنا : ان الرضا عبارة عن ما ذكروه بقولهم : خذ الغايات واترك المبادي، لان الله سبحانه وتعالى ليس محلاً للحوادث .

ولعل الإتيان بالجمع في بعض الجمل والإفراد في بعض الجمل - مع إمكان

(١) بحار الانوار : ٤٤/١٧ ب ١٥ .

تصور كل واحد من الجمع والافراد في كل الجمل - للتفنن في العبارة فإنه من اقسام البلاغة كما نجد ذلك بوفرة في القرآن الحكيم وفي كلماتهم «صلوات الله عليهم» وفي كلمات البلغاء.

وخطاب الله سبحانه وتعالى بصيغة المفرد لا بصيغة الجمع لئلا يتوهم اشتراك غيره معه في ذلك في هذا المقام^(١) كما في الإنسان حيث انه يشاركه غيره، وانما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) بصيغة الجمع إشارة إلى إشراكه سبحانه وتعالى الملائكة في إنزال الكتاب، ويمكن أن يكون وجهه غير ذلك بما ذكر في علم الكلام والبلاغة.

(١) ربما يكون المراد بـ(في هذا المقام) الإشارة إلى دفع توهم (ان الملائكة أيضاً يصلون على النبي عليه السلام) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الاحزاب : ٥٦].. فاجاب بقوله : (في هذا المقام) إلى ان خصوصية مقامهم عليهم السلام وهم تحت الكساء، كان مقام الإفاضة المباشرة منه تعالى وقد طلب الرسول عليه السلام في مقامه ذلك اسمى مراتبها وأعلى درجاتها فاقضى ذلك طلب ما هو منه جلّ وعلا مباشرة، اضافة إلى ان بعض الدعوات الاخر قد يقال باختصاص طلبها منه تعالى فتأمل.

(٢) الحجر : ٩ .

عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ

«عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ»

الدعاء لأهل البيت عليهم السلام

مسألة : يستحب الدعاء لأهل البيت عليهم السلام بهذه الكلمات التي دعى بها عليه السلام :
 «فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم» .
 ولا يخفى انهم عليهم السلام يمتازون بصلوات ورحمة وبركة وغفران ورضوان خاص من الله سبحانه لا يشاركهم فيها أحد من الاولين والآخرين .
 والرسول صلى الله عليه وآله خصّهم عليهم السلام بهذا الدعاء مع انه يستحب الدعاء للجميع لذلك ، ولان المقام يقتضيه إذ هناك فرق بين المقامات وهذا المقام الذي اجتمع فيه هؤلاء الاطهار عليهم السلام يقتضي الاختصاص ^(١) .
 وتقديم «عليّ» باعتبار انه صلى الله عليه وآله أفضلهم ، ومن المعلوم ان تقديم الافضل أولى ^(٢) .

وقد قلنا في مبحث آنف : ان الإتيان بلفظ «عليّ» دون «اللام» - مع ان «عليّ» للضرر غالباً ، و«اللام» للنفع - من جهة إفادة انغماسهم عليهم السلام من الرأس إلى أخمص القدم في هذه البركات .

ويمكن أن يكون الوجه لان الرحمة واشباهها تنزل من فوق ، وقد سئل

(١) لانه لذلك أوجد ، ولاجله تكون .

(٢) وقد سبق من الإمام المؤلف بيان جهة أخرى لذلك ايضاً .

«وَأَذْهِبْ عَنْهُمْ»

علي «عليه الصلاة والسلام» لماذا يرفع الإنسان يده إلى السماء في الدعاء؟ فأجاب (عليه السلام) بأحد المصاديق قائلًا: لقوله سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(١) والسماء محل نزول الرحمة والعذاب.

ومن الواضح ان الله تعالى ليس له مكان أو جهة إلا ان التوجه إلى الأعلى لذلك، وربما يضاف: ان التوجه للأعلى ادعى للخشوع والخضوع وأكثر دلالة على الإجلال والإكبار والإحترام^(٢) كما يجد الإنسان ذلك من نفسه وفي تصرفاته وتصرفات غيره.

«وَأَذْهِبْ عَنْهُمْ»

علة تخصيصهم بالدعاء هنا

قد يكون السبب في قوله (عليه السلام): «عنهم» دون «عني وعنهم» مع انه (عليه السلام) بالنسبة إلى «صلوات الله وبركاته ورحمته و...» قال: «عليّ وعليهم» الإشارة إلى أسبقية اتصافه (عليه السلام) بالعصمة ولو رتبة^(٣).

وربما يكون السبب ارادة تلاوة شبه الآية الشريفة والتي لا يبعد أن يراد بها

(١) الذاريات : ٢٢ .

(٢) وربما لذلك جعل الله السماء محل نزول الرحمة والتقديرات، ولكي ينسجم مع طبيعة الإنسان وفطرته .

(٣) ومن فوائد ذلك: كون هذا الطلب والدعاء صادراً عن المعصوم الذي لا ينطق ولا يصمت ولا يتحرك إلا بأمره سبحانه وإذنه، فيكون أقوى في الدلالة على عصمتهم (عليهم السلام) طلباً واستجابةً .

الرجس

الاعم.

ومن المحتمل أن يكون وجه عدم ذكر نفسه ﷺ وذكرهم ﷺ : انهم محل توهم وتشكيك بعض الأمة دونه ﷺ ، حيث ان كثيراً ممن لا يشك في عصمته ﷺ يشك في عصمتهم ﷺ إذ لا يعرف الجميع ان أهل البيت ﷺ معصومون إلا من كلماته «صلوات الله وسلامه عليه» ، فكان ذلك مدعاة للتركيز عليهم .

«الرجس»

بحث في معنى الرجس والعصمة

مسألة : يجب الإجتنا ب عن الرجس حدوثاً ورفع بقاءً ، وقد يكون مستحباً ، كل في مورده ، بالنسبة لكل فرد فرد ، واستفادة ذلك من هذه الجملة ﴿واذهب عنهم الرجس﴾ لفهم الملاك منه ^(١) بل الاولوية من وجه ، ولقرينة دليل الأسوة وغير ذلك .

و«الرجس» عبارة عن : القذارة والوساخة سواء القذارة المعنوية أم المادية ، الشرعية منها والعرفية مما يستقذره العرف ولا يعد في الشرع من النجاسات ، وكذلك الوساخة في النفس نوعان :

وساخة محرمة يجب إزالتها كوساخة الشرك .

ووساخة مكروهة من الأفضل إزالتها كالجن وما أشبه ذلك .

(١) لتفقيح المناط القطعي .

فاللام للجنس (في قوله (عليها السلام) : الرجس) فيكون دعاؤه (عليها السلام) طلباً لإذهاب كل أنواع الرجس عنهم (عليها السلام) الظاهر منه والباطن، الروحي والجسمي، المادي والمعنوي المحرم منه والمكروه^(١).

وهذا يدل على ما فوق العصمة لأن العصمة عبارة عن الإعتصام عن الذنب والسهو والخطأ والنسيان والجهل وما أشبه ذلك، والإطلاق يدل على ما فوق ذلك ويشمل حتى ترك الأولى، وقد ذكرنا في بعض الكتب الكلامية أنهم «عليهم الصلاة والسلام» منزّهون عن ترك الأولى أيضاً.

بل قلنا ببراءة الأنبياء (عليهم السلام) من ترك الأولى وإن نسب إليهم على قول مشهور، لكننا هناك نفينا ترك الأولى بالنسبة إلى الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً وبيننا أن ما ظهر منهم من بعض الأعمال والآثار فإنما هو من باب المقتضيات الخفية، مثلاً: في قوله سبحانه: ﴿عصى آدم ربه فغوى﴾^(٢) المراد به المعنى المجازي^(٣) لا الحقيقي، فإنه لم يكن عصياناً - على ما حققناه - لا بالمعنى اللغوي ولا بمعنى ترك الأولى وإنما كان مقدراً من الله سبحانه وتعالى أن يفعل ذلك حتى ينزل إلى الأرض لأن آدم (عليه السلام) خلق للأرض^(٤) كما في قوله سبحانه: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(٥) وإنما أسكن أولاً في الجنة فلما خرج منها فيتذكر محلّه فيها ويبكي وينقطع إلى

(١) سواء كان رجساً في الفاعل (الرجس الفاعلي) أم في الفعل (الرجس الفعلي) كما عبر في نظيره بالمعصية الفعلية والفاعلية.

(٢) طه : ١٢١ .

(٣) ربما يكون المراد: نظير الأوامر الإمتحانية، أو المراد: أن ما جرى كان شيئاً صورياً تمثلياً، وقد يكون مراده من (المقتضيات الخفية) ذلك.

(٤) وفي حديث الإمام الرضا (عليه السلام) «... فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة...» مجمع البحرين مادة عصا.

(٥) البقرة : ٣٠ .

وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً

اللَّهُ سبحانه وتعالى أكثر فاكثراً ويكون ميله وميل ذريته إلى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في جنته أكثر فاكثراً^(١)، وهكذا بالنسبة إلى كل نبي نبي. وعلى أي حال فهذا بحث كلامي لا يرتبط بالمقام وإنما ذكرناه استطراداً والماعاً فقط.

«وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً»

الطهارة والتطهير

مسألة : يستحب أو يجب الطهارة والتطهير مطلقاً، ودليل التعميم قد سبق، وحيث أن للطهارة مراتب، فيكون بين الرجس وما عدا المرتبة الدنيا من الطهارة واسطة بأن لا يكون رجس ولا تكون طهارة برتبتها ودرجاتها الرفيعة، فلا يكون - على هذا - «وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً» من باب التأكيد، وإنما يفيد معنى جديداً وهو ارتفاعهم عليهم السلام إلى غاية مراتب الطهارة، فإنه لو اكتفى النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «أذهب عنهم الرجس» لتوهم الإكتفاء بإذهاب الرجس فقط بدون الإرتفاع إلى

(١) وهناك جواب آخر في حديث الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل جواباً على شبهة رجل قال عليه السلام: «... أما قوله عز وجل في آدم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] ف... كانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليم مقادير أمر الله عز وجل، فلما اهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا...﴾ [آل عمران: ٣٣] مجمع البحرين مادة عصا.

أسمى مراتب الطهارة .

وبذلك يظهر ان قوله «عليه الصلاة والسلام» : «تطهيراً» يفيد أيضاً هذا المعنى ، فهناك إذهاب الرجس وهناك التطهير في أعالي درجاته وهناك «تطهيراً» الذي هو قصوى درجات الطهارة^(١) .

هذا وإن كان من الممكن ان يكون «تطهيراً» للتأكيد .

ثم إن أهل البيت «عليهم الصلاة والسلام» خلقوا أطهاراً فليس المراد بطلب الإذهاب : الرفع ، بل الدفع^(٢) إذ لم يكن فيهم (عليهم السلام) رجس حتى يُطلب إزالته . وكذلك المراد بـ«التطهير» خلقه طاهراً ، وقد يكون المراد بذلك الإستمرار ، كما قال علي «عليه الصلاة والسلام» بالنسبة إلى قوله سبحانه : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾^(٣) بمعنى : طلب استمرار الهداية ، فإن ممكن الوجود بما هو هو في كل لحظة لحظة معرض للطرفين ، وإنما يميل إلى الطرف الأرفع بلطف الله سبحانه وتعالى كما يميل إلى الطرف الانزل بخذلانه ، فالإنسان في كل لحظة بحاجة إلى هداية وتسديد جديد من الله تعالى ، فالمطلب ابتدائي في بعض واستمراري في بعض ، سواء أخذ جانب الطهارة أم جانب النجاسة ، الأول في المعصومين (عليهم السلام) وفي المؤمنين ، والثاني في الكفار والمنافقين والفسّاق .

وقد ذكروا ان مثل الكون بالنسبة إلى الله سبحانه كمثّل الصور الذهنية بالنسبة لنا ففي كل لحظة تحتاج إلى عناية وإفاضة وإلا انهدمت واضمحلت ، إذ

(١) يستفاد ارادة الدرجات العليا من الطهارة : من الإطلاق ، ومن السياق ، ومن القرائن المقامية والخارجية الأخرى .

(٢) الرفع : ازالة ما هو موجود . والدفع : الحيلولة دون وجوده ، فلو تعرض زيد وعولج كان هذا رفعاً ، أما لو كان في معرض التمرض والوباء فلقّح بالمضادات من قبل كان هذا دفعاً .

(٣) الفاتحة : ٦ .

فَقَالَ اللَّهُ

البقاء بالغير لا بالذات كالحادث .

اتَّصَفَهُمْ بِبَيْنَاتٍ بِجَمِيعِ الْفَضَائِلِ

مسألة : يجب الإعتقاد بأن أهل البيت عليهم السلام متَّصفون بجميع الفضائل والكمالات وأعلى مراتب الطهارة .

«فَقَالَ اللَّهُ»

كلام الله سبحانه^(١)

مسألة : يجب الإعتقاد بأن الله تعالى متكلم بالمعنى الصحيح لذلك ، وقد ثبت في علم الكلام : ان الله سبحانه وتعالى لا يتكلم كتكلمنا بفم وشبهه لاستحالة ذلك في حقه لانه تعالى ليس بجسم ، ولا هواء هناك إلى غير ذلك من شرائط الكلام المعهود المفقودة في ساحته المقدسة .

بل يراد بالقول : إما خلق الصوت كما التزموا بذلك في قوله سبحانه : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) وإما ايجاد علامة دالة على ذلك في اللوح بسبب

(١) حول هذا المبحث راجع شرح التجريد وشرح المنظومة للإمام المؤلف «دام ظله» .

(٢) النساء : ١٦٤ .

القلم، وقد روى الصدوق «قدس سره» ان (اللوح والقلم ملكان)^(١)، او ما أشبه ذلك.

وقد المعنا سابقاً إلى ان القول في اللغة العربية يطلق على اللفظ وعلى الفعل^(٢)، ولذا يقولون: «قال بيده كذا» فيما لو أشار بيده، و«قال برأسه كذا» فيما أشار برأسه، و«قال برجله» إذا مشى، وكذلك بالنسبة إلى الكتابة ولذا يقولون: قال المفيد «قده» وقال الصدوق «قده»، مع انهما إنما كتبا ذلك المنقول عنهما في كتبهما ولا لفظ ولا إشارة بإحدى الجوارح ههنا.

والفاء في «فقال الله» تكشف عن مدى قرب الرسول ﷺ من الله سبحانه وتعالى حيث استجاب له دعاءه دون ابطاء، إذ الفاء للترتيب باتصال.

لا يقال: أحياناً لا يؤتى حتى بالفاء كما في قوله سبحانه: ﴿أدعوني استجب لكم﴾^(٣) فلم يقل هناك: فاستجب لكم، فلماذا جاء بالفاء هنا؟^(٤)

لانه يقال: لعل الوجه في الإتيان بالفاء ههنا الإشارة إلى تعقب طلبه ودعائه ﷺ بإحضار الله سبحانه وتعالى الملائكة - ولو إحضاراً قلبياً وإفاتياً - وبعدها كان تكلمه تعالى بهذا الكلام، فتكون الفاء للإشارة إلى هذا الإحضار، مع وضوح ان الملائكة بكثرة هائلة بحيث لا يعلم أعدادهم ومواقعهم

(١) اعتقادات الشيخ الصدوق : ٤٤ ب ١٢ ط قم.

(٢) ولو فرض كون هذا الإطلاق مجازياً للتبادر، ولعدم الإلتزام بالوضع التعيني اللاحق، فإنه لا بد منه ههنا بعد تعذر الحقيقة كما لا يخفى.

(٣) غافر : ٦٠ .

(٤) مع دلالتها على نوع من الترتيب أو التعقيب والمكث وإن كان قليلاً جداً، إذ هي في قبال ثم، للترتيب باتصال، لا في قبال عدم الفصل بشيء أبداً (بين المقدم والتالي).

عَزَّ وَجَلَّ

وخصوصياتهم النفسية وغيرها إلا الله سبحانه وتعالى ، فإنه وإن كان من الممكن بالنسبة إليه سبحانه وتعالى أن يلفتهم إلى ذلك في جزء من لحظة إلا أنه ربما يكون قد أشار بالفاء إلى هذا الإحضار المتوسط بين الدعاء وبين الإستجابة^(١).

«عَزَّ وَجَلَّ»

معنى العزة والجلالة

مسألة : يستحب أن يردف اسم الجلالة بما يدل على التجليل والتعظيم مثل كلمة «عزَّوجلَّ» كما قالت «سلام الله عليها» : «فقال الله عزَّوجلَّ» . وكذلك كلمة : «تبارك اسمه» و«تعالى جده» و«عزَّ من قائل» ، وما أشبه ذلك .

وهل كلمة «عزَّوجلَّ» أقوى دلالة من تلك الكلمات ، أو أنها متساوية وانما ذكرت «عليها الصلاة والسلام» هذه الكلمة من باب أحد المصاديق؟ احتمالان . ثم ان العزة عبارة عن قلة الوجود^(٢) وكثرة الفائدة والرفعة والقوة والغلبة^(٣)

(١) المشعر بنوع من الفصل والتعقب .

(٢) عزَّ : قلَّ فلا يكاد يوجد ، والعزيز النادر .

(٣) «العزيز» : القوي الغالب على كل شيء والممتنع فلا يغلبه شيء والذي ليس كمثله شيء . و«العزة» : الشدة ، الغلبة ، الرفعة ، الإمتناع ، القوة ، قلة الشيء حتى لا يكاد يوجد قال في لسان العرب : وهذا جامع لكل شيء .

ولذا لا يقال للماء : عزيز فيما إذا كان متوفراً أو قليل الفائدة^(١)، وكذلك لا يقال للهواء أو للشمس ذلك، وحيث ان الله سبحانه وتعالى متفرد ليس كمثله شيء ورفيع وقوي وغالب فهو العزيز الاوحد، ولذا قال سبحانه : ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾^(٢) لوضوح ان كل عزة في الكون فمن فضل الله تعالى حتى العزة الظاهرية لمن لا يستحق العزة الحقيقية كالمملوك الجبابة.

ومعنى «جلّ» : انه عظم عن إدراك الإنسان له بالعين أو بالظن أو بالوهم وشبه ذلك، إذ من الواضح ان ذلك من المحال، إذ لا يمكن استيعاب الإنسان المحدود لغير المحدود وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يعقل أن يستوعب المتناهي اللامتناهي.

وهذا أبعد من استيعاب الصغير للكبير كاستيعاب الأنية لماء البحر، إذ كلا الطرفين محدود، وما نحن فيه أحدهما غير محدود، وكلا القسمين وإن كان محالاً إلا ان للمحال أيضاً مراتب فبعضها أشدّ (أو أوضح) استحالة من بعض^(٣)، كما ان للممكن أيضاً مراتب^(٤) وإن كان هذا الكلام من ضيق اللفظ وإلا فالمحال محال والممكن ممكن على أي حال، فليتأمل.

(١) قد يكون هذا بلحاظ المفاهيم العرفي أو بلحاظ الدلالة الإلزامية.

(٢) فاطر : ١٠ .

(٣) يمكن التمثيل له بتسلسل الآحاد والعشرات فكلاهما لا متناهي إلا ان أحدهما أكثر من الآخر، وكلاهما محال، وكذا تسلسل المتناقضين - أي سلسلة حلقاتها عبارة عن نقيضين مجتمعين - وتسلسل غيرهما إذ الأول محال في محال.

(٤) ربما يكون المراد الإمكان الوقوعي، وربما يكون مبنياً على اصالة الوجود فيكون الإمكان فقرياً ذا مراتب، اما على اصالة الماهية وتفسير الممكن بالتساوي النسبة للطرفين فلا محيص عن الإلتزام بكون المراد الوقوعي، فتأمل.

يا ملائكتي ويا سكانَ سَمَواتي

«يا ملائكتي»

بيان الحقائق

مسألة : يستحب أو يجب - كل في مورده - بيان الحقائق التكوينية والتشريعية للآخرين كما بين الله سبحانه لملائكته الحقيقة الآتية .
ولا يبعد أن يكون المراد بالملائكة كل الملائكة لا الرسل منهم فحسب، وإن كان لفظ «الملك» مشتقاً من «اللوكة» التي هي الرسالة، لكن ذلك بحسب الأصل ثم غلب استعماله على كل ملائكة الله سبحانه وتعالى ممن ليسوا من جنس الإنس أو الجنّ، فاللفظ من باب «العَلَم بالغلبة»، فتأمل .
«وقد يكون علماً بالغلبة مضاف أو مصحوب ال كالعقبة»

« ويا سُكَّانَ سَمَواتي »

سكان السماء

وهذا قد يكون من باب عطف الخاص على العام باعتبار ان سكان السماوات منهم لهم خصوصية خاصة .

ولا يصح أن يكون «سكان سَمَواتي» بمنزلة عطف بيان لـ«الملائكة» - من باب عطف المساوق على المساوي - لعدم انحصار الملائكة بسكان السماوات، إلا

أن يقال : ان كل الكون - مقابل الآخرة - سماوات لان الارض أيضاً كوكب في السماء .

ومن الممكن أن يكون من باب عطف المباين إذا كان المراد بسكان السماوات سائر من سكن السماوات من المخلوقات غير الملائكة ، لان الله سبحانه وتعالى مخلوقات كثيرة جداً لا نعرفها حتى بالإسم فيكيف بالكنه أو الصفة والخصوصية ، فإذا كانت علومنا بالنسبة إلى الإنسان والنبات والحيوان محدودة جداً حتى انها لا تبلغ جزءاً من ألف ألف مليون من الواقع فكيف بما هو غائب عن حواسنا؟ وقد ذكر العلماء ان ما اكتشفوه من أنواع الموجودات في الكرة الارضية قد بلغ الثلاثين مليون قسماً ، وهذا هو مبلغهم من العلم وأغلبه بنحو الإجمال الشديد ، أما ما لم يطلعوا عليه فلعله أضعاف أضعاف ذلك ، خصوصاً ما في البحار مما لا يخفى كثرة ، وقد ورد في الدعاء : «يا من في البحار عجائبه»^(١) ، وكذلك في عالم الجراثيم وشبهها .

وربما كانت هناك عوالم أخرى على أرضنا - في أبعاد أخرى او لا - لانعلم عنها أي شيء إطلاقاً ، او لا يمكن لنا معرفتها أبداً إلا بحواس أخرى أو شرائط مجهولة .

فإذا كان هذا حال الارض فما حال السماوات ومجاهيلها والتي قال عنها تعالى : ﴿وإنّا لموسعون﴾؟^(٢)

(١) دعاء الجوشن الكبير .

(٢) الذاريات : ٤٧

إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً

«إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً»

التذكير بعظمة الله

مسألة : من اللازم التفكير والتذكير بعظمة الله تعالى في ذاته وأفعاله ، في كل موطن مناسب .

ولعل التعبير عنها بوصف «مبنية» بلحاظ بناءها بنحو خاص حيث يعتمد نظام الكواكب والاقمار والمجرات وثباتها وديمومتها على (الجاذبة) بين الاجرام و(الدافعة) الناتجة من الحركة وغيرها على ما هو مفصل في محله ، ولذلك خصها الله تعالى بوصف «مبنية» ، وربما يكون إشارة إلى قوله سبحانه : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ .^(١)

و«بأيد» أي : بقوة ، لان اليد مظهر القوة ، ووسيلة ظهورها ، ولهذا تُشَبَّه كل قوة باليد .

ومعنى ﴿إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ : انا نوسع في السماء كما دل على ذلك العلم ، فقد ثبت في العلم الحديث^(٢) ان السماء في حالة توسع مستمرة ، وذلك كما ان الإنسان مثلاً في توسع مستمر في مختلف أبعاده في العلم والقوة والصناعة وغير ذلك .

(١) الذاريات : ٤٧ .

(٢) راجع كتاب بصائر جغرافيا وغيره .

.....

وقد ذكر العلماء : ان عدداً من الانجم والمجرات التي تستوعب ملايين الملايين من الانجم، والبعيدة عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية تتباعد بعضها عن بعض بسرعة كبيرة جداً. (١)

التأنيث في «مبنية»

ثم ان «السما» يذكّر ويؤنث، كما ذكره أدباء علم العربية، ومن الممكن أن يكون باعتبار أن «السما» بمنزلة الجمع معنًى، وذلك مثل : «حسنة» في قوله سبحانه : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (٢)، ومن المعلوم انه ليس المراد حسنة واحدة وإنما المراد جنس الحسنة، فقد ذكرنا في «الأصول» ان المفرد حتى بدون اللام قد يأتي للجنس مثل قولهم : ثمرة خير من جرادة، فليس المراد ان ثمرة خاصة او جرادة خاصة بل هذا الجنس وهذا الجنس، ومثل : مؤمن خير من كافر، إلى غير ذلك من الامثلة الواردة في الكتاب والسنة واللغة العربية.

والمراد بالسما : السماوات، والتعبير بالسماوات في قوله سبحانه : «يا سَكَّانَ سَمَاوَاتِي» وبالسما في قوله : «أَنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً» إما للتفنن وإما لبعض الخصوصيات، كما اشرنا إليه في البحث الأنف.

(١) قد تبلغ احياناً المائة وخمسين الف كيلومتر في الثانية الواحدة بل اكثر. [راجع التكامل في الإسلام ١٧٩/٧ بحث أين تكون الجنة والنار؟] والمصدر : ٢٧/٦ ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

(٢) البقرة : ٢٠١.

ولا أرضاً مَدْحِيَّةً

«ولا أرضاً مَدْحِيَّةً»

دحو الأرض وحركتها

مسألة : من اللازم تعلّم العلوم الطبيعية بالمقدار الذي ينفع لفهم آيات القرآن الكريم والاحاديث الشريفة التي تشير إلى تلك الحقائق الكونية في مختلف الأبعاد.

ويدل هذا الحديث على ما دلت عليه الآيات والروايات الأخرى من «دحو الأرض»، فإن الأرض دُحيت من تحت الكعبة^(١)، ومعنى «الدحو»: البسط والقذف^(٢)، وفي الدعاء: «اللهم سامك المسموكات وداحي المدحوات»^(٣)، وهذه الجملة تدل على أن الأرض في حالة دحو وحركة^(٤)، وقد ذكروا: أن للأرض حركة وضعية وحركة انتقالية، إلى غير ذلك.

وهل المراد بالأرض أرضنا فقط أو كل أرض في قبال كل سماء، فقد سئل علي «عليه الصلاة والسلام» عن النجوم، فقال: إنها مدن كمدنكم؟

(١) ثواب الأعمال : ١٠٦ ح ١ ط بيروت.

(٢) ﴿الأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات: ٣٠] أي بسطها، والدحو: الرمي بقهر. مجمع البحرين مادة دحا.

(٣) مستدرك الوسائل : ٣٤٢/٥ ب ٣٢ ح ١.

(٤) الاستدلال قد يكون بلحاظ سياق ما سبق وسياتي (لكون كلها للإستمرار) أو بلحاظ دلالة هذا الوصف على الإستمرار، فتأمل.

وَلَا قَمَرًا مُنِيرًا وَلَا شَمْسًا مُضِيئَةً

يُحْتَمَلُ الْأَمْرَانِ، فَالْإِنْصِرَافُ يَشْهَدُ لِلْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ، وَإِرَادَةُ الْعَمُومِ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ كَوْنِهَا نَكْرَةً فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، وَكَذَلِكَ سِيَاقُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي، وَالْقَرِينَةُ مَعَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْأَرْضِ كُلِّ الْأَرْضِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي كَلِمَةِ: السَّمَاءُ لَا أَرْضُنَا فَقَطْ.

«وَلَا قَمَرًا مُنِيرًا»

«وَلَا شَمْسًا مُضِيئَةً»

التفصيل عند الخطاب

مسألة : من الراجح التفصيل عند الخطاب إذا كان مناسباً وعدم الإكتفاء بالإشارة الإجمالية، كما قال الله سبحانه: «إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً» إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا فَلَكَأَ يَسْرِي» وَلَمْ يَقُلْ: «إِنِّي مَا خَلَقْتُ شَيْئًا» أَوْ شَبَهَ ذَلِكَ.

وهل المراد بالقمر قمرنا الكائن في مدار الأرض أو كل قمر في الكون، فقد ثبت في العلم الحديث أن الجملة من الأنجم أيضاً أقماراً؟

الإحتمالان المذكوران آنفاً يردان هنا أيضاً، ولعل الفرق بين المنير وبين المضيئة: أن النور هو الإنعكاس والضوء هو الأمر الطبيعي، وإن كان يطلق كل واحد منهما على الآخر إذا أُفرد بالذكر، والإحتمالان واردان أيضاً في كلمة «شمساً مضيئة» فهل هي شمسن أم كل الشمس؟ لأن الله سبحانه وتعالى خلق شمساً كثيرة جداً، كما ثبت ذلك في العلم الحديث.

وَلَا فَلَكَأَ يَدُورُ

«وَلَا فَلَكَأَ يَدُورُ»

معنى الفلك

الفلك ليس بجسم^(١) وإنما هو عبارة عن مدارات قرّرها الله سبحانه وتعالى حسب موازين خاصة تدور فيها وبها الاقمار وشبهها من الاجرام السماوية، وأما ما ورد من ان السماء الأولى كذا والسماء الثانية كذا وهكذا فالمراد تشبيهات دقيقة وقد فصلّ جملة منها السيد الشهرستاني «قدس سره» في كتابه: «الهيئة والإسلام».

ومن معاني الفلك: المستدير^(٢) ولو أُريد به ذا، كان المراد به ما عدا الشمس والقمر، أو الأعم، ولربما اشعر بحركة كل الافلاك ويكون وصفه بـ«يدور» مؤيداً لهذا المعنى، فتأمل.

(١) كان بعض قدماء المنجمين يرى ان المدارات هي اجرام ركّبت فيها النجوم

(٢) مجمع البحرين : مادة فلك .

وَلَا بَحْرًا يَجْرِي

«وَلَا بَحْرًا يَجْرِي»

جريان البحر

يدل هذا الحديث على وجود جريان وحركة خاصة للبحار، ولعله جريانها بين الصعود إلى السماء ثم الهبوط، إن لم يكن خلاف المنصرف.

وربما يكون المراد بالجريان : جريانها حسب المد والجزر، لكنه قد يكون خلاف ظاهر (الجريان) الذي يقتضي : حركة غير موضعية^(١) وربما يكون المراد وجود جريانات خاصة كجريان الانهار^(٢) فليتأمل.

ثم ان ذكر الصفات - كمبنية ومدحية ومنيراً ومضيئة ويدور ويجري - انما هو لاجل التاكيد على القدرة، لان ذوات هذه الاشياء برهان على قدرة عظمى، وصفاتها دليل على قدرة عظيمة أخرى.

(١) في المصباح : الماء الجاري : هو المتدافع في انحدار واستواء.

(٢) ثبت علمياً وجود تيارات قوية وكثيرة تحت سطح الماء كما ثبت وجود أنهار عديدة - بعضها عذبة - تتحرك تحت البحار ، وربما يكون «فليتأمل» اشارة لملاحظات على الاحتمالات الثلاثة.

وَلَا فُلْكَأَ يَسْرِي

«وَلَا فُلْكَأَ يَسْرِي»

المؤثر في الوجود هو الله^(١)

مسألة : يجب الاعتقاد بأنه ليس المؤثر حقيقة في الوجود سواء تعالى ، ولا فاعل واقعي عداه ، ولذلك قال تعالى : «أَنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً . . . وَلَا فُلْكَأَ يَسْرِي» حيث الاصل والوصف^(٢) مخلوقان له تعالى ، فإن الفلك لا يسري في البحر بسبب السفان والربان وشبههما وانما الله سبحانه وتعالى هو المسير والميسر ، والفلك وما أشبهه من الاسباب الظاهرية التي قدرها جلّ وعلا .

وقد تقدم الإلماع إلى ان كل شيء ظاهر في هذه الحياة الدنيا ، له واقع بيد الله سبحانه وتعالى ، ومثل إرادته مثل تيار الكهرباء - ولا مناقشة في الامثال - حيث ان التيار الكهربائي لو انقطع ولو آنأما انعدم الضياء وتعطل كل ما يتحرك بالكهرباء ، وقد مثل جماعة من الحكماء إرادة الله سبحانه وتعالى في الخلق بالصور الذهنية الجزئية والمعاني الجزئية التي تكون في الذهن^(٣) ، حيث ان انصراف الذهن ولو لحظة عن تلك الصور يوجب انعدامها فوراً . كما أشرنا إليه سابقاً.

(١) يراجع «شرح التجريد» وشرح «المنظومة» للمؤلف .

(٢) المراد بالاصل : (الفلك) وبالوصف : (يسري) .

(٣) الصور الذهنية وليدة القوة المتخيلة (بمعنى انها تدرك الصور الحسية) والمعاني الجزئية وليدة القوة المتوهمّة على اصطلاحهم .

إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لَاءٍ

«إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لَاءٍ»

الغاية من الخلقة^(١)

السبب في الإفاضة والخلقة هو محبة النبي وأهل بيته «صلوات الله عليهم أجمعين» كما يشهد له هذا الحديث: «إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ^(٢) هُوَ لَاءٍ الْخَمْسَةَ» ونظائره. وذلك كما ان رب البيت يقوم بدعوة العديد من الناس عند دعوته عظيمًا من العظماء إكراماً له فـ«لَا جُلَّ عَيْنِ الْف عَيْنِ تَكْرَم» بمعنى ان الله سبحانه وتعالى لما أحبهم^(٣) خلق الخلق لأجلهم عليهم السلام وقد قال سبحانه: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً فَاحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرِفَ»^(٤) ومن الواضح ان محبة الله لكي يعرف ليس لأجل نقصه لانه ليس بناقص حتى يكمله شيء وانما لأجل العطاء والإعطاء.

ويدل على كونهم عليهم السلام العلة الغائية للخلقة وانه لولا هم لما خلق الله تعالى

(١) راجع بحث (المحبة ودورها في التكوين والتشريع).

(٢) «فِي» تأتي للظرفية والسببية ايضاً كما في الحديث: «دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هَرَّةٍ رِبَطَتِهَا...» [مستدرك الوسائل : ٢٠٣/٨ ب ٤٤ ح ٤].

(٣) حيث ان الصفات النفسية التي تسند إلى الله سبحانه يراد بها نتائجها وغاياتها فالمراد بمحبته لهم ترتيب آثارها ومنها: العناية والإفاضة على المحبوب بشتى أنواع الإفاضة بإعطائه قصوى درجات الكمال وتوخي رضاه ولذا ورد: «ان الله يرضى لرضا فاطمة»

[راجع أمالي المفيد: ص ٩٥ ط قم]. وقبول شفاعته و...

(٤) بحار الانوار : ١٩٩/٨٧ ب ١٢ ح ٦ (بيان).

.....

العالم روايات عديدة من كتبنا ومن كتب العامة أيضاً.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال : « لما خلق الله تعالى آدم ابوالبشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينا العرش فإذا في النور خمسة اشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من اسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الارض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن... يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم انجيهم وبهم اهلكهم... » (١).

وعن ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم وقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه: حمدني عبدي، وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن اخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: الهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: « لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكي وطاب... » (٢).

وعن جابر بن عبد الله الانصاري: عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى انه قال:

«يا احمد لولاك لما خلقت الافلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا

(١) فرائد السمطين ١/ ٢٦ نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٢٩ وعن العوالم ص ١٦ - ١٧.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ١/ ١٤١ وينابيع المودة ص ١١ من دون الذيل نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٦٢٥-٦٢٦.

فاطمة لما خلقتكما»^(١).

وهنا يمكن أن يقال :^(٢) العلة الغائية - وهي الداعي لفاعلية الفاعل - لخلقتنا : هي محبة الأئمة عليهم السلام ومعرفتهم، والعلة الغائية لمحبتهم ومعرفتهم هي معرفة الله سبحانه، إذ هم عليهم السلام الأدلاء على الله، وهي الكمال الأكبر، فمعرفتهم عليهم السلام طريق الكمال والتكامل، وبذلك يجمع بين الروايتين.^(٣)

محبة أهل البيت عليهم السلام

مسألة : من الضروري بيان الغاية من الخلقة للناس، كما تجب محبة أهل البيت عليهم السلام للآيات والروايات المتواترة، ومنها مقاطع عديدة من هذا الحديث، وفي هذا المقطع أيضاً دلالة على ذلك، إذ من الواضح أنه لو كان السبب في

(١) كشف اللآلي لصالح بن عبد الوهاب بن العرنس على ما ذكره السيد ميرجهاني في الجنة العاصمة، وأورده العلامة المرندي في ملتقى البحرين ص ١٤ «نقلًا عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٩» والحديث مذكور في مستدرک سفينة البحار ٣/ ٢٣٤ عن مجمع النورين «نقلًا عن العوالم ص ٢٦».

ومما يشير إلى ذلك قوله عليه السلام : «أنا شجرة وفاطمة أصلها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها» [ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٣٤ على ما في احقاق الحق ج ٩ ص ١٥٢] «نقلًا عن بهجة قلب المصطفى ص ٢٠٥».

(٢) الفرق بين هذا وسابقه : ان الاول باعتبار اضافة المحبة إلى الله والثاني باعتبار اضافتها للخلق (إلا في محبة) أي محبة الله لهؤلاء أو محبة الخلق لهم أي السبب في الخلقة ارادة محبة الخلق لهم ومعرفتهم بهم عليهم السلام فليدقق.

(٣) أي بين (إلا في محبة هؤلاء الخمسة) التي تقتضي ان سبب الخلقة محبتهم عليهم السلام و(فخلقت الخلق لكي أعرف) [بحار الانوار : ١٩٩/ ٨٧ ب ١٢ ح ٦ بيان] التي تدل على ان السبب معرفة الله .

الخلقة هو محبة هؤلاء «عليهم الصلاة والسلام» كان حبهم لازماً لدلالة الإقتضاء العرفي على ذلك، وقد ذكرنا في بعض المباحث الفرق بين الإقتضاء العرفي والإقتضاء الأصولي الذي هو ما يتوقف صدق الكلام أو صحته عليه.

ولا يخفى ان حبهم «عليهم الصلاة والسلام» على نوعين:

حب ناقص وهو: مجرد المحبة القلبية بدون عمل.

وحب كامل وهو: المحبة القلبية مع عمل الجوارح.

فمن احبهم ﷺ بلا عمل جوارحي كان فاسقاً، ومن لم يحبهم كان منحرفاً زائغاً، وقد قال سبحانه: ﴿إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) ومن المعلوم ان مودتنا للقربى تنفع أنفسنا وليست تنفعهم «عليهم الصلاة والسلام» إذ هم في غنى عن ذلك.

محبة ذويهم ﷺ

ثم لا يخفى ان محبة ذويهم كأولادهم وإخوانهم ومن أشبه فرع محبتهم ومشتقة من محبتهم «عليهم الصلاة والسلام» فلها فضل أيضاً، ولذا روي عن النبي ﷺ انه قال: «أكرموا ذريتي الصالحين لله والطالحين لي»، وليس المراد بالطالحين الكفرة منهم - إذا فرض ان فيهم كفرة - فإن الله سبحانه وتعالى بريء منهم وهم برآء منه، كما تبرأ إبراهيم «عليه الصلاة والسلام» من عمه آزر، وكما تبرأ الرسول ﷺ من أبي لهب، بل المراد بالطالحين من لهم بعض المعاصي والموبقات.

(١) الشورى : ٢٣ .

وهذه المحبة لهم ترجع إلى محبة رسول الله ﷺ كما قالوا: «لاجل عين الف عين تكرم».

كما ان لاهل البيت (ع) إطلاقاً آخر اشمل واوسع من الإطلاق الاخص المختص بالمعصومين (ع)، فمثلاً: زينب بنت علي «عليهما الصلاة والسلام» والعباس بن علي «عليهما الصلاة والسلام» وفاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر «عليهما الصلاة والسلام» ومن أشبههم من أهل البيت لكن غير المعصومين، ولذا تلا الحسين «عليه الصلاة والسلام» حين برز علي الأكبر (ع) إلى القتال قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

وقد ذكر بعض الفقهاء: ان هناك عصمتين:

عصمة كبرى وهي الخاصة بالمعصومين «عليهم الصلاة والسلام». وعصمة صغرى بمعنى انهم لا يذنبون ولا يفكرون في الذنب ابداً وهي بالنسبة إلى أمثال العباس وعلي الأكبر وزينب ومن أشبههم من اولادهم وإخوانهم «صلوات الله عليهم أجمعين».

(١) آل عمران : ٣٣ - ٣٤ .

الخَمْسَةُ

«الخَمْسَةُ»

امتداد أصحاب الكساء ﷺ

مسألة : يستحب ذكر العدد فيما إذا تضمن الفائدة، تأكيداً أو لدفع وهم أو شبه ذلك .

ومن المعلوم ان سائر الائمة الطاهرين «عليهم الصلاة والسلام» امتداد لهؤلاء الخمسة بل كلهم نور واحد، كما ذكرنا في بعض المباحث السابقة بالنسبة إلى آية : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

فلا يقال : ان الكون خلق لاجل المعصومين ﷺ جميعاً لا لاجل هؤلاء الخمسة فقط، فإن الشيء قد ينسب إلى الرأس وقد ينسب إلى المجموع، وإذا كانت النسبة إلى الرأس فالمراد بذلك المجموع أيضاً مثل قوله سبحانه : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢) باعتبار ان النفس الواحدة وهي آدم ﷺ اول الخليقة وهي الاصل، وإلا فمن الواضح ان الخلق من آدم وحواء ﷺ معاً.

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) الاعراف : ١٨٩ .

الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ فَقَالَ الْآمِينَ جَبْرَائِيلُ

«الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

اتباع الموضوع بذكر وصفه

مسألة : من الراجح إتباع الموضوع بذكر وصفه إذا كانت فيه الفائدة مثل الإعلام أو احترام الطرف أو التلذذ أو التحريض على الإستجابة كما تقول فلان «زيد بن عمرو» العالم أكرمه أو ما أشبه ذلك مما ذكره في علم البلاغة ، وقد قال المتنبي بعد سرده لأسامي عديدة لممدوحه :

«أسامي لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها»

«فَقَالَ الْآمِينَ جَبْرَائِيلُ»

الإعتقاد بأمانة جبرائيل

مسألة : يجب الإعتقاد بكون جبرائيل أميناً ، وذلك من ضروريات الدين ﴿مطاع ثم أمين﴾^(١) وعليه الروايات ومنها قولها «عليها الصلاة والسلام» ههنا : «فقال الأمين جبرائيل» وبمقتضى مناسبة الحكم والموضوع فإن المراد الأمانة في الوحي وشبهه.

لكن لا يبعد عدم انحصار أمانته في هذا المجال بأن يكون أميناً في مجالات

(١) التكوير : ٢١ .

.....

أخرى من عالم التكوين، فإن الملائكة لا يتحددون بزمان خاص أو مكان خاص أو جهة خاصة^(١).

وانما هم رسل الله سبحانه وتعالى في مختلف شؤونهم جلّ وعلا، حيث ان الملائكة هم الوسطاء في تنفيذ كثير من الاعمال، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾^(٢).

وبما ان معرفتنا بالملائكة محدودة، لذلك لا نعلم المهام التي يقومون بها والمسؤوليات التي يتحملونها، سوى ما جاء في الاحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام.

نعم لاشك في انهم يقدسون الله ويسبّحونه ويهللون وما إلى ذلك مما اشارت إليه الروايات الشريفة.

استحباب النعت بالفضائل

مسألة : يستحب التوصيف والنعت بالفضائل، ولذلك ولغيره^(٣) كان وصفها عليها السلام جبرائيل بـ«الامين».

والإستحباب عام لكل شيء أو شخص جدير بالتقدير والإحترام سواء كان إنساً أم جنّاً أم ملكاً أم حوراً أم ولداناً مخلصين، فإن الإحترام قد يُظهر ادب المحترم - بالكسر - وقد يظهر فضيلة المحترم - بالفتح - وقد تكون فيه فائدة بالنسبة إلى

(١) بشكل مطلق على القول بتجردهم أو بشكل نسبي على غير ذلك.

(٢) النازعات : ٥ .

(٣) مثل : كون المقام مقام ضرورة التوصيف بالامانة .

يا رَبُّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ

ثالث.

وبما ان المقام مقام الامانة لذلك قدّم على جبرائيل ولم يقدّم جبرائيل عليه، كما قالوا بالنسبة إلى الاوصاف والموصوفات، ان المقام إذا كان مقام الوصف قدّم وإذا كان مقام الموصوف قدّم، حيث ان مقصودها وعنايتها «صلوات الله عليها» على ان صاحب هذا المقال امين في كلامه موثق في حديثه.

«يا رَبُّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ»

الإذن في السؤال والدعاء

مسألة : لا يحسن السؤال من دون الإذن وقد يحرم.
والله سبحانه كما أذن لنا بالسؤال والدعاء أذن كذلك للملائكة في الجملة.
ويظهر وجود الإجازة لسائر الملائكة اجمالاً، ولإبليس، من قصة خلق آدم عليه السلام وسؤال الملائكة وإبليس.

كما يظهر من سؤال جبرئيل ههنا «ومن تحت الكساء» الإذن له في ذلك.
ولو لا إذن الله سبحانه وتعالى لم يحق له وللملائكة السؤال، ولذا ورد في دعاء الافتتاح : «أذنت لي في دعائك ومسألتك».

وقد ذكر بعض شراح دعاء الكميل عند قوله «عليه الصلاة والسلام» :
«فكيف أصبر على فراقك» انه يأتي النداء إلى مالك جهنم ان يمنع أهل النار من ذكر الله سبحانه وتعالى إذ انهم يتضرعون إليه ليخرجهم من النار.

فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ : هُمْ

لا يقال : ان ذلك ينافي رحمة الله سبحانه.

لانه يقال : يجرى العاصي نظراً لاستحقاقه العقوبة، والعقوبة اثر تكويني طبيعي للمعصية، فهي كبذرة الحنظل او الورد التي لا بد ان تثمر حنظلاً او ورداً لا غير وكذلك حال الدنيا والآخرة والمعصية والعقوبة، وقد ذكرنا ذلك في جملة من كتبنا الكلامية^(١) وفي كتاب «الاصول» بالمناسبة، إضافة إلى ما اشار إليه تعالى بقوله : ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَّا نَهَوَّا عَنْهُ وَانْهَمُوا لَكَاذِبُونَ﴾^(٢).

وهل كان سؤال جبرئيل : «وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ» من باب تجاهل العارف من قبيل : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(٣) او كان على وجه الحقيقة؟ احتمالان .

العلم والإستعلام

مسألة : يستحب الإستعلام عن المجهول، وذلك كما سال جبرائيل عمن تحت الكساء، وكما سال غيره من الملائكة والرسل عن غيره، فإن العلم كمال والسؤال طريق التكامل، ولذا قال سبحانه لاكمل مخلوقاته : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(٤) وقال علي عليه السلام : «ولا يستحين أحدكم إذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه»^(٥)

(١) راجع شرح المنظومة وشرح التجريد وتقريب القرآن إلى الأذهان .

(٢) الانعام : ٢٨ .

(٣) طه : ١٧ .

(٤) طه : ١١٤ .

(٥) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ٥١ ح ٢٣ ط قم .

.....

فإن العلم بحر عميق لا يعلم مداه إلا الله وحده وقد حبي أوليائه الذين اختصهم به بقدر منه، أما ما في أيدي الناس فليس مثله إلا كمثل رطوبة رأس إبرة بالنسبة إلى «البحر يمده من بعده سبعة أبحر»^(١) بل النسبة أبعد وأبعد عن هذا بكثير. وقال علي عليه السلام : «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَفْتَحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ أَلْفِ بَابٍ»^(٢) كما في بعض الأحاديث، وربما يكون «الباب» إشارة إلى كل علم بأكمله، فالرياضيات باب والطب باب ثان وهكذا إلى مليون باب، أو تكون «الالف باب» الأولى إشارة إلى الف علم جامع لمجموعة علوم هو كالجنس لها.

وفي حديث آخر : «انهم عليهم السلام يزدادون علماً كل ليلة جمعة»^(٣). وبعد كل ذلك فإن مجموع ما يعلمه البشر جزء ضئيل من ضلع واحد من اضلاع العلم الأربعة التي أشار إليها قوله سبحانه : «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ»^(٤). فلكل من الدنيا والآخرة ظاهر وباطن، أما الآخرة فلا يعلم البشر منها شيئاً إطلاقاً، لا ظاهراً ولا باطناً، ولذا روي أن الإنسان في الآخرة يرى «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٥).

(١) لقمان : ٢٧ .

(٢) الخصال : ٢٤٣/٢ ح ٢٢ ط قم : [ان رسول الله ﷺ عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَا كَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ حَتَّى عَلِمْتُ عِلْمَ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا وَفَصَلَ الْخَطَابِ].

(٣) راجع بحار الأنوار : ١٧/١٣٥ ب ١٧ ح ١٥ .

(٤) الروم : ٧ .

(٥) وسائل الشيعة : ٧ / ٣٥٤ ب ٢٦ ح ١٠ .

.....

وأما الدنيا : فلا يعلم من باطنها شيئاً ايضاً - اطلاقاً - وإنما يعلم قدرأ محدوداً جداً عن ظاهرها وفي بعض أبعادها فقط وهي المحسوس بالحواس الخمسة وشبهها، ولربما كانت هناك مئات الأبعاد الأخرى في هذه الدنيا مجهولة لنا تماماً حتى بالإسم.

تقديم أكبر القوم

مسألة : يستحب أن يتقدم في السؤال ونحوه أكبر القوم كما سأل جبرائيل دون سائر الملائكة.

وذلك لانه نوع احترام بالنسبة إلى الكبير.

ولا يخفى أن التعلم والتعليم ينقسم إلى الأحكام الخمسة، فمنه واجب، ومنه مستحب، ومنه محرم، ومنه مباح، ومنه مكروه، حسب الملابس واللوازم والملازمات والملزومات^(١) كما ذكروا شبه ذلك في باب التكسب.

ولا يعلم هل كان سؤال جبرئيل من قسم الواجب أو من قسم المستحب؟ والقرينة المقامية تدل على أصل الرجحان، ومن الواضح أن الملائكة لا يرتكبون الحرام، بل الظاهر أنهم لا يرتكبون المكروه ايضاً، ذلك أن في المكروه حزاة على ما ذكره جمع، منهم الأخوند «قدس سره» وإن كان لنا رأي آخر^(٢)، والملائكة لعصمتهم بعيدون عن مثل ذلك.

(١) راجع : «الفقه : العقل» للإمام المؤلف «دام ظله».

(٢) راجع «الأصول» حيث ذكر أن المكروه قد يكون بمعنى الأقل ثواباً لا ما فيه الحزاة كما لو زاحمه أمر آخر.

«فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ : هُمْ»

أما ما ورد في الآية الكريمة من اختصاصهم فالظاهر انه لاختلافهم في الآراء
لا انه من الإختصاص المكروه فكيف يكون من الإختصاص المحرّم؟

«فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ : هُمْ»

الجواب على مقتضى الحال

مسألة : تُستحب الإجابة على الاسئلة فيما إذا كانت في الجواب فائدة،
كما أجاب الله سبحانه سؤال جبرائيل عليه السلام، وقد يجب الجواب حسب الموازين .
إذ فيه - بالإضافة إلى ذلك - نشر للعلم وقضاء للحاجة فيشملة دليلهما،
أما إذا كان هناك وجه أهم يقتضي عدم الإجابة أو تأخيرها أو إجمالها أو إبهامها
فلا استحباب، ولذا قال سبحانه في جواب الملائكة : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ومن الواضح ان الجواب قد يكون مفصلاً، وقد يكون مجملاً حسب
اقتضاء المقام، ومنه مدى فهم السائل وتحمله، وقوله سبحانه : ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٢) وقوله عليه السلام : «أنا أمرنا معاشر الانبياء أن نكلّم الناس بقدر
عقولهم»^(٣) يشير ان إلى ذلك ايضاً، ولذا ورد انه : «ما كلم رسول الله عليه السلام العباد

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) ابراهيم : ٤ .

(٣) امالي الطوسي : ٤٨١ ح ١٩ «المجلس السابع عشر» ط قم .

أهلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ

بكنه عقله قط»^(١) لوضوح ان عقول البشر لا تبلغ مستوى عقل رسول الله ﷺ.

وفي البحار : سال شخص من الإمام ﷺ : لماذا لا يرى الله؟ فقال الإمام ﷺ : - ما معناه - لانه إذا رؤي زالت هيئته.

فإن الجواب كان على حسب فهم السائل، وإلا فمن المعلوم ان الله تعالى تستحيل رؤيته، كما برهن في علم الكلام، وقوله سبحانه: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٢) نظير لباب السالبة بانتفاء الموضوع (اي لا يمكن رؤيته) لا انها ممكنة غير واقعة. ثم لا يلزم ان يكون السائل هو المستفيد من الجواب بل يجاب ولو كان غيره هو المستفيد منه سواء علم السامع أم لا؟ وفي الحديث: «ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٣).

«أهلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ»

أهل البيت أم الدار؟

لا يخفى ان نسبة «الاهل» إلى «البيت» دون الدار لاعميته وتطابقه مع الاهل، لان كثيراً من الناس لا يملكون الدور، وانما يملكون البيوت، فإن «البيت» يطلق على بيت الحجر والمدر والقصب والخشب والطين وما أشبه ذلك، بينما كل

(١) سفينة البحار : ٢١٤/٢ ط نجف .

(٢) الاعراف : ١٤٣ .

(٣) مستدرک الوسائل : ٤٥/١١ ب ١٨ ح ٤ .

«وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ»

ذلك لاتسمى داراً.

وهناك فرق آخر بين البيت والدار، وهو انه يسمى بيتاً لبيوتة الإنسان فيه، بينما تسمى الدار داراً لأن الحائط يدور حوله، أو لكثرة تحرك الناس فيه^(١)، ويقال: دور النشر ولا يقال: بيت النشر لانه لايتعارف المبيت في دار النشر، فنسبة الاهل وهم خاصة الرجل إلى البيت - المتضمن لمعنى المبيت - أنسب والترابط بينهما أوثق.

«وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ»

فاطمة (ع) حجة الله

مسألة : يستفاد من اطلاق «موضع الرسالة» على جميعهم (ع) ان فاطمة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» حجة الله، فيكون قولها وفعلها وتقريرها حجة. وذلك لانه يظهر من قوله تعالى: «وموضع الرسالة» ان جميع اصحاب الكساء - عند صدور هذا القول من الله تعالى - هم موضع للرسالة، إلا ان

(١) هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها، لسان العرب .

(٢) ورد في احاديث عديدة ذلك، ومنها : ما ورد عن زيد بن علي بن الحسين، عن ابيه، عن ابيه، عن علي (ع) قال : دخل رسول الله (ص) على علي وفاطمة واخذ بعضادتي الباب وقال : «السلام عليكم يا اهل بيت الرحمة وموضع الرسالة ومنزل الملائكة . . .» [مقتل الخوارزمي ص ٦٧ ط قم].

النبي ﷺ رسول بالمعنى الإصطلاحي^(١) والباقون بالمعنى الاعم ولو مجازاً الشامل لرسول الرسول أو لمن ينكت في قلبه، أو له عمود النور أو ما أشبهه، كما ان الملائكة رسل كما في الآية الكريمة .

ويمكن ان يكون الوجه في اطلاق «موضع الرسالة» عليهم جميعاً باعتبار انهم ﷺ نور واحد بعضهم من بعض، فإذا كان أحدهم موضع الرسالة وهو الرسول ﷺ كان المجموع يستحق هذا الوصف بالإعتبار.

وكونها «صلوات الله عليها» حجة الله إضافة إلى كونه ضروري المذهب يدل عليه روايات عديدة،^(٢) ومنها: رواية عن الإمام العسكري ﷺ التي تنص على ان الزهراء حجة على الائمة «عليهم الصلاة والسلام»^(٣) اي يحتج الله بها عليهم، فيدل بالملك الاولوي على انها حجة على سائر الخلق.

(١) المعنى الإصطلاحي هو: المرسل الذي يأتيه جبرائيل ﷺ قبلاً ويكلمه. مجمع البحرين مادة رسل.

والرسول - بالمعنى الاعم - حام الرسالة بأية طريقة بلغت الرسالة بالقول أو الكتابة أو الإشارة، عبر جبرئيل أو الإلهام أو النكت في القلب أو عمود النور أو عبر الرسول ﷺ نفسه.

(٢) راجع عوالم العلوم والمعارف والاحوال كتاب فاطمة الزهراء ؑ تحقيق مؤسسة الإمام المهدي «عج» وغيره.

(٣) تفسير أطيب البيان : ٢٢٥/١٣ .

هُمُ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا

«هُمُ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا...»

لماذا جعلها الله محوراً

مسألة : يستحب بيان مكانة فاطمة الزهراء (ع) عند الله تبارك وتعالى،
وانه تعالى جعلها «سلام الله عليها» هي المحور في تعريفهم (ع).
وعند ارادة الحديث عن افراد عائلة واحدة يحسن اقتضاء تسمية واحد منهم
- لاعتبارات معينة - كمركز، ثم ادارة أسماء الباقيين عليه، كما قال سبحانه:
«فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها».

ولعل السر في جعلها «صلوات الله عليها» محوراً ان الملائكة كانوا قد
عرفوا فاطمة (ع) حين كانوا في الظلمة ثم ببركة نور فاطمة (ع) خرجوا إلى النور.
وفي الحديث : عن جابر، عن ابي عبدالله (ع) قال : قلت له : لم سميت
فاطمة الزهراء زهراء؟

فقال (ع) : لان الله عزوجل خلقها من نور عظمته، فلما اشرقت اضاءت
السموات والارض بنورها وغشيت ابصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين
وقالوا : إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري. (١)
ولربما كان السر نفس مفاد حديث : «لولاك لما خلقت الافلاك...» (٢) او
لاجل ان فاطمة «سلام الله عليها» تصلح ان تكون محوراً مباشراً بلا وسطة بينما

(١) عوالم العلوم : ١١/٦١ ب ٣ ح ٢ ط ٢ .

(٢) عوالم العلوم : ١١/٢٦ ب ٣ ح ١ ط ٢ .

.....

سائر المعصومين «عليهم الصلاة والسلام» انما يتصل بعضهم ببعض بواسطة، ففاطمة وابوها، وفاطمة وبعلمها، وفاطمة وبنوها، بينما إذا أريد ابدال اسمها باسم الرسول ﷺ فاللزام أن يقول: محمد ﷺ وابن عمه، ويقول: محمد واحفاده وكذلك بالنسبة إلى علي والحسين ﷺ فربما لهذه الجهة اقتضيت البلاغة جعل «فاطمة» عليها الصلاة والسلام المحور.

الحركة الدورانية للمخلوقات والمحور الرئيسي لها

وربما يكون السبب هو ما ورد في الحديث الشريف عن الصادق ﷺ: «هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»^(١).

ولا يخفى ان الله سبحانه قرر للمخلوقات حركة دورانية بمعنى العودة إلى المبدأ، كما جعل لأجزاء وجزئيات عالمي المادة والماورائيات محاور واقطاب رحي، فالشمس والقمر والكواكب والارض يدور بعضها حول بعض وتدور على القرون وماء البحار وغيرها تبخره الشمس فيصعد إلى السماء ثم ينزل منها إليها على شكل امطار وهكذا دواليك^(٢).

والاشجار والحيوانات كذلك تنشأ من الارض ثم تعود إليها كما كانت.

(١) بحار الانوار : ١٠٥/٤٣ ح ١٩ . وفي أمالي الطوسي باسناده عن اسحاق بن عمار وأبي بصير عن أبي عبد الله الصادق ﷺ ايضاً.

(٢) اللف والنشر مشوش فـ(الشمس والقمر...) مثال لـ(كما جعل...) محاور واقطاب رحي) و(ماء البحار...) مثال لـ(حركة دورانية) وكذلك المثال اللاحق (والاشجار...) وما بعده ايضاً، واما المعنويات فأمثلة الإمام المصنف هي للقسم الثاني فقط اي (كما جعل... محاور) فليلاحظ.

.....

قال سبحانه : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ الآية^(١).
وقال تعالى : ﴿ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾^(٢) إلى غير ذلك من الأمور،
حتى ان العلماء قالوا: كما ان المادة تتحول إلى (طاقة) وإحدى سبل ذلك
الانفجار الذري، بل ذلك حادث بشكل طبيعي في أجهزة بدن الإنسان والحيوان
و... دوماً دوماً كذلك الطاقة يمكن أن ترجع إلى الـ (مادة) وانما الامر بحاجة إلى
أجهزة متطورة تتمكن من استرجاعها كما كانت.

هذا في الماديات.

أما المعنويات : فلها مدار وقطب ومركز أيضاً، ولذا يقال : يدور المجتمع
السليم على محور الدين بمعنى ان الاخذ والعطاء والمعاملات والانكحة وغيرها
تكون على محور الدين، وحتى الماديين يرون ان برامجهم ومناهجهم ومجتمعهم
تدور على محور أوامر ماركس مثلاً، فمنه تستمد وإليه ترجع، فإن المجتمع لا
تكفي فيه المادة فقط، بل يحتاج إلى قوانين تقوم بتنظيم حياته في مختلف
الابعاد، فلا بد أن يكون له قانون يكون هو عماد الحياة ومحورها، يدير شؤونها
ويحول دون الفوضى والهرج والمرج.

إذن فالحياة المادية تدور هي بدورها على محور البعد المعنوي سليماً كان أم
سقيماً.

وحيث انهم (ع) محور الكون والكائنات حيث كانوا هم السبب في
افاضته سبحانه وتعالى : المادة والمعنى^(٣)، وكانوا هم الطرق والوسائط في هذه

(١) نوح : ١٧ .

(٢) طه : ٥٥ .

(٣) سبق هذا المبحث وسياتي تفصيلاً ايضاً.

.....

الإفاضة، لذلك فهم عليه السلام قطب رحى الوجود وعليهم تدور القرون والازمان بقول مطلق، وفاطمة «عليها الصلاة والسلام» هي محور هذا المحور. وانما خصص بـ «الاولى» في قوله عليه السلام: «وعلى معرفتها دارت القرون الاولى» كما في رواية البحار عن الإمام الصادق عليه السلام^(١)، لان الاولى إذا كانت على كيفية فالأخرى تكون على تلك الكيفية - عرفاً - بخلاف ما إذا كانت الأخرى كذلك، حيث لاتستلزم ان تكون الاولى مثلها ايضاً، وإذا اطلق بان قال: «دارت القرون» كان المنصرف منه قروننا فقط من قبيل قوله سبحانه في مريم عليها السلام: ﴿على نساء العالمين﴾^(٢) حيث المنصرف منه «عوامل زمانها». مثل أن يقال: «الدولة الفلانية أقوى الدول» حيث ان المنصرف منه: «الدول المعاصرة لها».

معادن الثروات المعنوية

وكما ان الله سبحانه جعل للماديات مخازن تستمد منها مثل الشمس التي هي مخزن ومنبع النور والحرارة والدفء، والبحار وهي مخزن الماء والاسماك و...والهواء وهو مصدر ومخزن الاوكسيجين الذي به يتنفس الإنسان والنبات والحيوان، اضافة إلى ما يحمله من امواج - بشتى أنواعها - وغيرها، والارض وهي مخزن التراب وما ينشأ منه من النباتات والاشجار وغيرها. وكذلك جعل للمعنويات مخازن ومعادن، يتم الإستمداد منها بالمباشرة أو

(١) عوالم العلوم والمعارف : ٣٦/١١ ب ٦ ح ٦ ط ٢ .

(٢) آل عمران : ٤٢ .

.....

بواسطة القدوة والأسوة، فالانبياء (عليهم السلام) خزنة علم الله سبحانه ورسالاته، وكذلك الاوصياء والسيدة الزهراء (عليها السلام)، والناس يستمدون منهم مختلف العلوم والمعارف، إذ كل المعارف والعلوم البشرية تعود إليهم بشكل أو بآخر. وكذلك للشجاعة والكرم والعاطفة وغيرها من الفضائل منابع ومعادن، فإن تلك الصفات في الكبار من الناس تحتذى بالأسوة والإتباع.

العلة في بكاء يعقوب والزهراء (عليهما السلام)

ولعل بكاء يعقوب (عليه السلام) تلك المدة الطويلة كان من ذلك، حيث يستمد الناس منه العاطفة بالأسوة والإقتداء.

وكذلك بكاء الصديقة الطاهرة والسجاد (عليهم السلام)، إلى غير ذلك.

فلا يقال : كيف بكى يعقوب (عليه السلام) وهو يعلم ان ولده حي وسيرجع إليه ملكاً، وكيف بكى السجاد (عليه السلام) والزهراء (عليها السلام) «عليها الصلاة والسلام» وهما يعلمان بان الرسول (صلى الله عليه وآله) والحسين (عليه السلام) وأهل بيته والمستشهادين بين يديه (عليهم السلام) ذهبوا إلى جنان الله الوسيعة، وكان علمهم بذلك عين اليقين بل حق اليقين.

هذا بالإضافة إلى ان بكاءهما (عليهما السلام) كان سياسياً ايضاً حيث ارادا فضح المخالفين، فإن كلاً من الهجوم والدفاع يكون عاطفياً بالبكاء ونحوه، وسياسياً بالحوار والمعاهدات ونحوهما، كوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وعكسه واقتصادياً وغير ذلك مما سنذكره في مقدمة الخطبة انشاء الله تعالى.

لا يقال : إذا كانوا (عليهم السلام) يعلمون بان ذويهم في روح وريحان وجنة ورضوان وفي كمال الراحة، فلماذا كانوا يبكون، وهل يتأتى البكاء لمن يرى ذويه

وَبَنُّوْهَا

في راحة ونعيم؟

لانه يقال : قد ذكرنا في بعض مباحث الكلام ان علمهم واحساسهم الغيبي لا يؤثر في شؤونهم الدنيوية، وإلا لم يكونوا أسوة، وكذا بالنسبة إلى القدرة الغيبية ولذا لم يستخدموها لدحر العدو أو للتوقي من القتل وشبه ذلك على تفصيل ذكرناه هناك.

«وَبَنُّوْهَا»

الجمع ، والجماعة

«بنوها» وإن كان صيغة جمع إلا ان المراد به أولاً: اثنان هما الحسن والحسين عليهما السلام وهذا ما يسمى بالجمع المنطقي والعرفي، بل قال بعض الأدباء: ان الجمع مصدر جَمَعَ وهو يصدق على الإثنين فما فوق، فهو جمع لغوي وأدبي ايضاً.

اما قول النبي ﷺ فيما روي عنه: «المؤمن وحده جماعة»^(١)، فالمراد انه في بآسه وشدته واستقامته وصلابته كالجماعة حيث ان «يد الله مع الجماعة»^(٢) وان قوة الجماعة أقوى من قوة الفرد، فالمؤمن حاله حال الجماعة في قوة نفسه وصلابة ذاته. وهو كما قال ﷺ: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه»^(٣).

(١) وسائل الشيعة : ٣٧٩/٥ ب ٤ ح ٢.

(٢) نهج الفصاحة : ٦٤٦ ح ٣٢١١ ط طهران، وفيه: «يد الله على الجماعة».

(٣) مستدرک الوسائل : ١٩٤/١٢ ب ٤ ح ٣.

فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا رَبِّ أَتَأْذَنُ لِي

«فَقَالَ جِبْرَائِيلُ : يَا رَبِّ أَتَأْذَنُ لِي»

الإستئذان من ذي الحق

مسألة : يستحب استئذان الداني من العالي فيما يرتبط به نظراً لتلك الكلية، وكما استأذن جبرائيل من الله سبحانه، وكما استأذنوا عليهم السلام منه عليه السلام وكما استأذن جبرائيل منه عليه السلام أيضاً مع انه كان لهم الدخول بلا استئذان، لانه من قبيل بيت من تضمنته الآية الشريفة، بل بالملك الاولوي هنا، ولعل استئذان جبرئيل كان من ذلك أيضاً.

نعم في بعض الموارد يحرم الدخول بدون الإذن لكون الحق للسابق، ولا يجوز الدخول في ما هو من حقه إلا بإذنه أو العلم برضاه وعدم المحذور، كما في مورد العورات الثلاث.

ومن قبيل المستحب استئذان الزائر من الإمام المزور عليه السلام في المراقدة المطهرة. والظاهر استحباب أن يأذن من ليس في اذنه محذور كما أذن النبي عليه السلام لهم عليهم السلام.

ويؤيده انه قضاء حاجة، وهو مستحب مطلقاً في غير المحرمات.

وهل يستحب اذن السابق، في الموارد المكروهة؟

الظاهر انه من باب التزاحم بين ترجيح قضاء الحاجة وترجيح الكراهة، فإن عُلِمَ أهمية أحدهما قدّم، وإلاّ تخيّر، وكذلك الإذن عند الإستئذان لاي عمل

انْ أَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ

مكروه، فلو فرض أن اتيان المرأة من الخلف مكروه فاستأذنها الزوج في ذلك فهل يستحب لها القبول أو لا؟ أو يكره؟ إلى غير ذلك من الامثلة.

ثم ان الإذن ليس مما إذا ثبت دام لزوماً، بل للسابق ان ينقض إذنه بعد زمان.

«انْ أَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ»

نوعية الهبوط

ربما يستفاد من الحديث ان جبرئيل أقرب الملائكة أو اذكاهم أو افهمهم أو ابصرهم أو اقواهم أو أسرعهم أو ما أشبه، لانه بادر لاستئذان الرب تعالى وطلب الدخول معهم ﷺ دون سائر الملائكة، مع ان الكل سمعوا نداء الرب تعالى.

فإن ذلك يفهم بدلالة الإقتضاء على المعنى المذكور سابقاً.

ثم لا يعلم هل كان الهبوط مادياً أم معنوياً؟ حقيقياً أم مجازياً؟ وإن كان لا يبعد كونه حقيقياً، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾^(١) إلا ان يقال: ان الحديد أيضاً منزل من السماء على ما يقوله بعض علماء الفلك من ان الارض انفصلت من الشمس قبل ملايين السنين، فالحديد أنزل إنزالاً حقيقياً مكانياً لا معنوياً بسبب امر الله سبحانه وتعالى بتكوّنه.

(١) الحديد : ٢٥ .

لَا كُونْ مَعَهُمْ سَادِسًا

«لَا كُونْ مَعَهُمْ سَادِسًا»

الإلتحاق بركب المتقدمين

مسألة : يستحب الإلتحاق بركب المتقدمين وأولياء الله الصالحين والحضور في مجالسهم ومجامعهم لينال الملتحق درجات من التقدم والكمال، كما استأذن جبرائيل ليكون معهم، بل والمعصومون الأربعة عليهم السلام.
أما أصل استحباب نيل التقدم والتكامل والتعرض له فلا إشكال فيه، قال سبحانه : ﴿سَارِعُوا﴾^(١) وقال تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾^(٢) وقال جلّ اسمه : ﴿فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٣) إلى غير ذلك.

وأما أن المقام من صغرياته، فلأن التواجد في محضر العظيم تترتب عليه فوائد دنيوية وأخروية. وذلك لأن الرحمة والبركة والخير والإفاضة النازلة باستمرار عليه تشمل الذي معه - بشكل أو بآخر، بدرجة أو بأخرى - قال سبحانه : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)

(١) آل عمران : ١٣٣ .

(٢) يس : ٦٦ .

(٣) المطففين : ٢٦ .

(٤) إبراهيم : ٣٦ .

(٥) الأعراف : ١٥٠ .

.....

إلى غير ذلك ولا أقل من الملاك.

اضافة إلى ان كون الإنسان مع عظيم الهي يوجب الإستضاءة بنور هدايته وأخلاقه وآدابه والإستفادة من غير علومه، وفي كليهما فائدة كبرى أخروية بل ودينية أيضاً، هذا مع قطع النظر عن بلوغه درجات سامية لا يمكن للأشخاص الوصول إليها عادة إلا بالإلتحاق بركب عظيم من العظماء.

والاشياء كما تُعرف بأمثالها، كذلك تُعرف باضدادها، فكما ان كون الإنسان مع الظالم والفاسق والمنافق نقص - في حد ذاته وبلحاظ لوازمه أيضاً - كذلك طرفه كمال.

ولا يقال : ليس كل مستحب طرفه مكروه، ولا العكس.

لانه يقال : ليس الإستدلال بذلك، بل بما سبق وبالفهم العرفي، كما المعنا إليه في مقدمة هذا الكتاب - في مثل المقام - وإن لم يكن له إطلاق.

أهمية هذا الاجتماع الرباني

مسألة : يستحب بيان مدى أهمية هذا الاجتماع المبارك عند الله تعالى، فإن استئذان جبرئيل كي يكون واحداً من أهل الكساء وان يكون معهم ولو للحظات - اضافة إلى سائر القرائن والادلة التي سبقت وستاتي في هذا الحديث وغيره - دليل على الأهمية القصوى لهذا الاجتماع الفريد عند الله سبحانه وتعالى، فإن للإجتماعات المعنوية أهميتها البالغة فكيف باجتماع من هم وسائط الله وحججه؟

وإذا كانت للإجتماعات المادية كاجتماع رؤساء الدول لاجل اتخاذ قرار

فَقَالَ اللَّهُ : نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ

إقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو ما أشبه ذلك أهمية كبرى لما تتركه من آثار سلبية أو ايجابية على مستقبل البلاد، فكيف باجتماع خَطَطَ له اله الكون، وقد ضَمَّ من بسببهم خلق الكون كله؟ وقد بيّن فيه الله سبحانه سرّ الخلقة وحقائق كونية أخرى في غاية الأهمية كما سيأتي؟ كما ترتبت عليه ثمار وآثار وضعية للبشرية؟ - كما سيوضح ذلك إن شاء الله تعالى -.

«فَقَالَ اللَّهُ : نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»

الإذن من ذي الحق

مسألة : يستحب الإذن من ذي الحق إذا كان في تلبية طلب المستاذن، فائدة له أو لذاك أو لغيرهما، بل مطلقاً، ولو باعتبار كونه قضاء حاجة، وقضاء الحاجة إلا في المحرم - وأحياناً المكروه - مستحب، وقد أذن سبحانه لجبرئيل بالهبوط لما استأذنه.

هل الأصل التخلّق بأخلاق الله ؟

لا يقال : اعمال الله لا يقاس عليها، لأن الله يعمل الخير والشر، قال سبحانه : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٢) وقال سبحانه : ﴿مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ

(١) الانبياء : ٣٥ .

(٢) التوبة : ٩٣ .

.....

فما له من هاد^(١) وقال تعالى : ﴿كُلَّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الإحياء والإمامة والأمراض وترك الظالم وظلمه ونحوها.
لأنه يقال :

أولاً : في الحديث : «تخلّقوا بأخلاق الله»^(٣)، والمراد بالأخلاق : الإطلاق لا خصوص المعنى المصطلح ، كما هو^(٤) المراد بـ : «انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»^(٥) وقالت بعض زوجات الرسول ﷺ لما سئلت عن أخلاقه ﷺ : «كان خلّقه القرآن»^(٦) ونحوهما ، والاستثناء يحتاج إلى الدليل ، فالأصل هو التخلق إلا ما خرج.

وثانياً : انه سبحانه يعمل حسب المصلحة التي الزم بها نفسه في التكوين والتشريع ، فإن الأقسام خمسة : ما هو خير محض ، وما خيره أكثر ، وما هو شر محض ، وما شره أكثر ، والمتساوي الطرفين.

وقد ثبت في الكلام^(٧) ان الله لا يعمل إلا الأوّلين فيكون التعبير بالشر مسنداً له الى الله تعالى مجازياً بنحو المجاز في الاسناد بل والكلمة ايضاً^(٨).
ولو فرضنا ان انساناً استطاع ان يدرك مصالح الأمور ويحيط بها جميعاً بان

(١) غافر : ٢٣ .

(٢) النساء : ٧٨ .

(٣) بحار الانوار : ٦١ / ١٢٩ ب ٤٢ ، الحجة السادسة .

(٤) اي : الإطلاق ، والمعنى الاوسع .

(٥) مستدرک الوسائل : ١١ / ١٨٧ ب ٦ ح ١ .

(٦) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد : ٦ / ٣٤٠ ط بيروت .

(٧) راجع المنظومة للسبزواري والتجريد للطوسي وشرحهما للإمام المؤلف .

(٨) إذ اطلاق (الشر) على ما خيره أكثر مجاز في الكلمة .

علم أن الإمامة في مورد معين خير محض أو خيره أكثر إلى حد المنع من النقيض،
كان له ذلك أيضاً من حيث المقتضي - مع قطع النظر عن كونه تصرفاً في ملك
الغير اعني : الله سبحانه وتعالى - وذلك كما في قتل المسلم إذا ترس به الكفار،
لأنه في اللازم لا إشكال، وفي الثاني تأتي مسألة الأهم والمهم.
وأما «الإبلاء» فهو بمعنى الإمتحان والأمر في نظائره كذلك على ما فصل
في علم الكلام.

إضافة إلى جواب آخر ذكره البعض كالطوسي «قده» والعلامة «قده»
والسبزواري من أن الشر اعدام فالأمر من قبيل باب السالبة بانتفاء الموضوع^(١)
ويكون التعبير به في الآيات والروايات مسنداً إلى الباري تعالى مجازياً بنحو المجاز
في الكلمة،^(٢) والإمامة والإمراض وشبهها - على هذا القول - كلها خير وإن
خفي علينا ذلك.

ثم عمله الشر لو فرض فلأنه مالك حقيقي له أن يتصرف في ملكه، فلا
يصح التخلّق في ما ثبت أنه شرّ فقط، فليتأمل.

(١) المراد كما يبدو أن قولك (خلق الله الشر) أو (الشر مخلوق الله) غير تام من جهة أن الشر
عدم محض غير قابل للخلقة، لا أنه ممكن الخلقة لكنه تعالى لم يخلقه من جهة المصلحة
التي ألزم بها نفسه كما هو مقتضى الجواب السابق.

(٢) بأن يكون إطلاق الشر على (ما يتوهم شرّاً) وإن كان خيراً حقيقة، أو على الشر بالقياس
النسبي.

فَهَبَطَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْعَلِيُّ
الْأَعْلَى

«فَهَبَطَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ»
«وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى»

وصف الله بالعليّ الأعلى

مسألة : يجوز خطاب الله تعالى بالعليّ الأعلى حتى بناءً على ان اسامي
الله توقيفية ، استناداً لهذا الحديث الشريف .

ولعل جبرائيل إنما قال : «العلي» باعتبار انه قد هبط من أعلى وكلما هبط
الإنسان وكان من موقع أعلى فاعلى تجلّى علوّ العالي له أكثر فأكثر ، ويكون أظهر
بالنسبة إليه ، ولهذا ورد انه «لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ، قال لنا
رسول الله ﷺ : اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾
قال لنا رسول الله ﷺ : اجعلوها في سجودكم» .^(١)

وحيث ان العلوّ يمكن اتصاف غير الله سبحانه وتعالى به عرفاً - وإن كان
بمعناه الحقيقي وبقول مطلق منحصرأ به جلّ وعلا- قيده جبرائيل بالأعلى ، فإنه
أعلى من كل عال ، وهذا من ضيق التعبير إذ أين المحدود من اللامحدود والفقر
المحض من الغني ذي القوة المتين؟

ثم ان جمعاً من أهل الذكر والدعاء قالوا: ان الإنسان لو كرّر وأكثر من

(١) وسائل الشيعة : ٩٤٤/٤ ب ٢١ ح ١ .

يَقْرُوكَ السَّلَام

ذكر أحد أسماء الله سبحانه وتعالى أفاض الله عليه مفاد ذلك الاسم، فمثلاً: من يريد العلو: إذا أكثر من ذكر «يا عليّ» ومن يريد الغنى إذا كرر «يا غني»، ومن يريد الجاه إذا لازم ذكر: «يا ملك» وهكذا، فإن الله سبحانه وتعالى يفيض عليه مصاديق تلك الالفاظ، وهذا من المجربات وإن لم أجد به رواية.

تعظيم الله سبحانه

مسألة : يستحب تعظيم الله سبحانه عند ذكر اسمه دائماً، كما قال جبرئيل: «العليّ الأعلى...».

وكذلك تعظيم كل من عظمه الله تعالى، فإذا ذكر الإنسان الرسول (ص) قال: «صلّى الله عليه وآله» وإذا سمى علياً (ع) أو الحسن (ع) أو غيرهم من المعصومين (ع) عقب الاسم بوصف أو دعاء دال على العظمة والرفعة مثل: «عليه السلام» و«صلوات الله عليه» و«روحي له الفداء»، وما أشبه ذلك.

«يَقْرُوكَ السَّلَام»

ارسال السلام عبر الوسطة وأحكامه

مسألة : يستحب ارسال السلام، كما ارسل الله تعالى السلام بواسطة

جبرائيل (ع).

وقد صدر ذلك من الائمة (ع) ايضاً كثيراً، حسب الروايات.

.....

والإرسال يصح أن يكون إلى فرد أو إلى جماعة، بواسطة فرد أو جماعة، وفي الحديث: «اقرأ موالينا السلام»^(١) وفي حديث فاطمة «سلام الله عليها» إبلاغ السلام إلى ذريتها، إلى غير ذلك. والظاهر أن ردّ مثل هذا السلام ليس بواجب، لانصراف أدلة الوجوب عن مثله.

نعم يستحب قطعاً، للملاك، ولأنه من الخلق الكريم.

وهل يجب إبلاغ الوساطة لمثل هذا السلام؟

لا إشكال في عدم الوجوب إن لم يتعهد بالإبلاغ، أما إن تعهد فيحتمل الوجوب لانه من الأمانة، كما يحتمل العدم لانه ليس إلّا وعداً، والمشهور عدم وجوب الوفاء، والثاني أقرب إلى الصناعة وإن احتملنا في الفقه: وجوب الوفاء بالوعد في الجملة، والاول إلى الإحتياط.

ثم لو قال جماعة لزيد: ابلغ فلاناً سلامنا، يكفي الموجز بأن يقول: إن جماعة ابلغوك السلام، لسيرة المتشرعة من غير تكير، بالإضافة إلى أن المستفاد من الأدلة لا دلالة له من حيث التنصيص.

والسلام المرسل عبر الكتاب حاله حال السلام المرسل بواسطة الرسول، ومثلهما السلام في التسجيلات الصوتية ونحوها، نعم لا يجب ردّ السلام على وسائل الإعلام العامة بلا إشكال^(٢).

(١) بحار الأنوار: ١/ ٢٠٠ ب ٤ ح ٧.

(٢) راجع في هذا البحث: «الف مسألة متجددة»، «الفقه: المسائل المتجددة»، «الفقه: الواجبات والمحرمات»، «الفقه: الآداب والسنن».

جواز حذف بعض الحديث المنقول

مسألة : من المحتمل أن يكون جبرائيل قد سلم على النبي (ص) فقط - على ما ربما يستظهر من اقتصار الزهراء «عليها الصلاة والسلام» في النقل على ذكر «يقروك السلام» - فيعلل ذلك بأنه من جهة انه (ص) أعظم الموجودين تحت الكساء فاقضى إجلاله وإعظامه تخصيص الخطاب والسلام به.

ومن المحتمل أن يكون جبرائيل قد سلم عليهم (ع) أيضاً - بعد سلامه على الرسول (ص) - وانما ذكرت الزهراء «عليها الصلاة والسلام» بعض كلام جبرائيل، احتراماً وإجلالاً لرسول الله (ص)، حيث ان تشريك غيره معه في النقل ليس بذلك التعظيم له فيما إذا ذكر وحده.

ومن الواضح ان حذف ما يعلم وما هو بمنزلة جائز، كما نجد ذلك في كثير من الروايات حيث لا تتعرض صراحة لكثير من المطالب والحوادث الواقعة وذلك لوجود القرائن الحالية او المقالية الأخرى، فيمكن استكشافها كثيراً ما من اماكن أخرى.

كما ان الزهراء (ع) حين نقلها كلام الله تعالى لم تقل «بان الله امر جبرئيل ان يُقرأ نبيه السلام ويخصه بالتحية والإكرام ويقول له وعزتي وجلالي» وقد استنبط ذلك بالملازمة العرفية من كلامه.

وهذا جار عند البلغاء حيث يكتفون بذكر بعض الكلام في الكثير من المواقع، كما هو شأن القرآن الحكيم في نقله للقصص فإنه يذكر بعضاً ويترك بعضاً آخر، ويعلل ذلك - فيما يعلل به - ب: لكي يُحدث في النفس منطقة فراغ لتذهب

وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ

النفس في ذلك الفراغ كل مذهب، من قبيل ما ذكروه في قوله سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾^(١) حيث ان الفراغ محل لجولان الخواطر، وتقليب وجوه الرأي، والتعود على التدبر والاستنباط، بينما إذا كان ممثلاً لم يكن له إلا وجه واحد وهو ما ملأه.

وقد يكون ذلك السبب - أو جزء السبب - أحياناً في تقطيع بعض المحدثين الأحاديث وذكرهم بعضها دون بعض، وإن كان الغالب في التقطيع: كونه لاجل الإقتصار على محل الحاجة.

«وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ»

التحية والتكريم

مسألة : يستحب تحية وتكريم من كان أهلاً لهما.

و«التحية» من الحياة، والمراد بها: الحياة السعيدة.

و«الإكرام»: جعل الإنسان كريماً، أي ربيعاً مرضياً، فسلامة وحياة

وكرامة، وهذا غاية التبجيل، ودعاء بأهم عوامل السعادة، فإن كل واحد وإن

كان يطلق على الآخر أحياناً، ولذا أريد بـ ﴿حَيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾^(٢) الأعم من السلام،

إلا أن الجمع بينها كان للدلالة على مزيد التجليل والتبجيل.

(١) القصص : ١٠ .

(٢) النساء : ٨٦ .

.....

فإن الفاظ لغة العرب - وإن كانت مترادفات في الصورة - إلا أنها لدى الدقة مختلفة باختلاف الخصوصيات، مثلاً الجواد والسخي والكريم كلها تعطي معنى البذل والعطاء، لكن بينها فرقاً:

فالأول : من يعطي ولا يريد بذلك شهرة، ولا كمالاً لنفسه، عبر الجود.
والثاني : من يريد كمالاً أو شهرة بذلك، ولذا لا يطلق على الله سبحانه : السخي.

والثالث : من يعطي وهو كريم، قد ظهرت منه محاسن عديدة^(١) أو يقصد التكريم.

والتحية إذا كانت بغير لفظ السلام لا يجب الردّ على المشهور، وإن كان ذلك مقتضى سمو الخلق ورفعة الأدب.

ثم إن السلام من الله سبحانه معناه : السلامة لعبده مع قطع النظر عن التحية، أما السلام نسبةً إلى الله تعالى كما ورد في أعمال مسجد الكوفة : «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام»^(٢)، وكون الله سلاماً كما قال سبحانه : ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام﴾^(٣) فمعناه : أنه باعث السلام وخالقه أو أنه لا نقص فيه ولا عيب ولا تغير.

مسألة : يستحب بيان أن الله تعالى قد أقرّ رسوله ﷺ السلام وخصّه بالتحية والإكرام.

فإن معرفة ذلك وأشباهه توجب مزيداً من ربط وتعلق الإنسان بربه وبرسوله كما لا يخفى، إضافة إلى العمومات التي تشمل المقام وأمثاله، ومنها ما سيأتي

(١) راجع لسان العرب.

(٢) مفاتيح الجنان : ٣٠٩ (أعمال جامع الكوفة) ط بيروت.

(٣) الحشر : ٢٣ .

وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي

في هذا البحث من (ما ذكر خبرنا هذا...).

«وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي»

القسم وموارده

مسألة : يستحب الحلف، وقد يجب، إذا كان الامر المحلوف عليه مهماً، كما حلف الله سبحانه، وانما يجب إذا كان المحلوف عليه شرفاً وعرضاً ينهتك بترك الحلف، كما في المرافعات، أو مال صغير وهو متوليه، أو ما اشبه ذلك. وهذا لا ينافي كراهة مطلق الحلف، ولذا لم يحلف الإمام زين العابدين عليه السلام وأعطى المهر لمن ادعت عليه عدم اعطائه لها المهر، معللاً بأن الله سبحانه اجل شأناً من أن يحلف عليه لاجل المال. والحلف من الله سبحانه في هذا المورد تأكيد للأمر، لا لهم عليهم السلام بل للناس حينما يبلغهم الخبر.

وقد اكثر الله سبحانه من القسم في القرآن الحكيم.

أما قوله تعالى : ﴿لَا أَقْسَمُ بِهِذَا الْبَلَدِ﴾^(١) وما اشبه فالظاهر انه إلماع إلى الحلف، بدون أن يحلف، جمعاً بين التجليل والحلف، لا أن «لا» زائدة كما قاله بعض الأدباء.

وقوله سبحانه : ﴿لَعَمْرِكَ أَنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾^(٢) حلف بالعمر بالضم،

(١) البلد : ١ .

(٢) الحجر : ٧٢ .

لكن صيغة الحلف تأتي بالفتح، ولعل «الكاف» لمن يتأتى منه الأمر مثل: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم﴾^(١) حيث قال الأدباء: انه أريد به من تتأتى منه الرؤية.

وقد ذكرنا في «الفقه» صحة أحلاف كل إنسان بما يعتقد به من كتاب ونحوه كاليهود والنصارى ومن أشبههم، بل لا يستبعد صحة الأحلاف بمثل العباس (ع) بالنسبة إلى من يخشاه ويهابه، حيثما توقف ظهور الحق على ذلك دون ما عداه، وتفصيل الكلام في ذلك في باب الإيمان^(٢).

أما الحلف بما هو باطل محض كالصنم ونحوه فلا يجوز إلا إذا اضطر إليه حيث إن الضرورات تبيح المحظورات، وقد ورد في الحديث: «ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه»^(٣) إلا أن نزاحمه جهة أخرى كما لو استلزم ذلك ترويحاً.

(١) السجدة : ١٢ .

(٢) راجع «الفقه: كتاب الجمالة، الإيمان، النذر» .

(٣) وسائل الشيعة : ١٦/١٣٧ ب ١٢ ح ١٨ .

إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَذْحِيَّةً وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً
مُضِيَّةً وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي

«إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَذْحِيَّةً وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً
مُضِيَّةً وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي»

النقل باللفظ أو بالمعنى

مسألة : يستحب ، وقد يجب ، النقل بالنص ، فإن جبرائيل عليه السلام بلغ نص ما قاله الله سبحانه وتعالى وهو : «إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً» إلى آخره ، وذلك يدل على أفضلية أن يذكر الإنسان نص ما صدر عن الله تعالى والمعصوم عليه السلام ، وإن جاز النقل بالمعنى أو التقديم والتأخير إذا أريد المعنى ، كما وردت بذلك الروايات وافتي به الفقهاء ، وذلك لتعسر أو تعذر النقل باللفظ عادةً أما لغير العرب فواضح لأنهم لا يحسنون اللغة ، وأما العرب فإنه من المتعسر جداً الضبط الكامل وإن كانت الالفاظ بخصوصياتها ذوات مزايا لا توجد في النقل بالمعنى حتى لو كانت باللغة العربية وبمرادفاتهما أيضاً.

والحاصل ان الامر من باب الالهم والمهم ، وإلا فاللفظ له مدخلية لا توجد في الفاظ أخرى تفيد ذلك المعنى بتلك اللغة أو بلغة أخرى ولعل بعض الاختلاف في الروايات نشأ من ذلك.

إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ

التذكير بالتكرار

مسألة : يرجح التذكير بالمهم من الأمور والتأكيد عبر التكرار، فإن تكرار هذا المقطع في كلام الزهراء «عليها الصلاة والسلام» إنما كان لأهميته إذ أنه كان بإمكانها الإشارة إلى أن جبرئيل أدى الرسالة الإلهية إلى النبي صلى الله عليه وآله. ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى خلق كل الكون دينياً وآخرة لأجلهم «عليهم الصلاة والسلام» كما دل على ذلك متواتر الروايات، وذكر السماء والأرض والشمس والقمر والبحر - في حديث الكساء - إنما هو لارتباطها بالشؤون الأرضية التي هم فيها.

«إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ»

المعصومون عليهم السلام أجلّ وأعظم من الكون

مسألة : يستحب دعوة الناس إلى التمسك بمن ينفعهم في دينهم ودنياهم وقد يجب، كما وجه سبحانه الناس إلى الخمسة الأطياب كراراً عديدة ببيان أن الكون خلق لأجلهم.

إذ يجب في الواجبات - كالمقام - ويستحب في المستحبات توجيه الناس إلى ما ينفعهم، ولأنهم عليهم السلام العلة الغائية^(١) للكون، فهم أجلّ وأكبر وأعظم منه،

(١) قد سبق في الكتاب الحديث عن ذلك تفصيلاً.

وغير خفي ان كونهم ﷺ أجل وأكبر وأعظم من الكون لا يراد به البعد المادي^(١) ، بل المقصود الجانب المعنوي ، فكما ان مثقالاً من الالماس قد يكون أغلى من مليون مثقال من الفحم - في القيمة والمعنى - كذلك في المقام.

وقد رأى النبي ﷺ في المعراج قافلة من الإبل لا يُعلم أولها ولا آخرها ، وهي محمّلة بفضل الإمام علي عليه السلام ، وقد يكون ذلك من باب تشبيه المعقول بالمحسوس^(٢) وربما يكون حقيقياً كان تكون فضائله ﷺ مسطرة في صحائف وكتب حملتها ملايين الإبل كما تشهد به بعض القرائن ، أو يكون فضائله ﷺ حقيقة وبما هي محمولة ويكون المجاز في «الإبل» فليدقق.

فإن معنوية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أكبر من الكون وهو المصدق الاتم بعد الرسول الأعظم ﷺ للشطر الثاني من قوله ﷺ :

«اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»

وهو كذلك بعد رسول الله ﷺ ، وانما كان الإمام علي عليه السلام كنافذة لتلك النفس الرفيعة الكبيرة ، مثل نبع ماء تحته بحار من المياه.

والمراد بالمعنوية : سعة علمه وعمق حلمه وسموّ خلقه وآدابه وقوة امكانياته في التصرف في الكون ، إلى ما أشبه ذلك^(٣).

وذلك كقوله سبحانه : ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً

(١) اللهم إلا على التوجيه الآتي آخر هذا البحث فيشمل البعدين .

(٢) بفرض تحول المعنى إلى المادة ، كما تتحوّل الطاقة إليها وذلك كما لو فرضنا حمل الإبل للكرة الأرضية - أو المشتري الذي هو أكبر من الأرض ألف مرة ، كما يقول علماء الفضاء - لاستدعى ذلك الملايين من الإبل كما هو واضح .

(٣) إلى جانب من ذلك يشير الشاعر بقوله :

« له همم لا منتهى لكبارها وهمته الدنيا أجل من الدهر »

متصدعاً من خشية الله ﷻ ^(١).

فإنه إذا قيسست معنوية القرآن بمادية الجبل تكون معنوية القرآن أضعاف
أضعاف مادية الجبل، فإنه قد يلاحظ المادي في قبال المادي، وقد يلاحظ المعنوي
في قبال المعنوي، وقد يلاحظ في قبال المادي وقد يكون العكس، وهذه الآية من
القسم الثالث.

ومن المعلوم ان المادي قد يتحوّل معنوياً كما في تحوّل المادة إلى الطاقة في
الانفجار الذري مثلاً وفي تحول الاغذية في بدن الإنسان إلى قوة وطاقة.
وقد يُبادل المادي ويعوّض بالمعنوي كصرف المال لاجل العلم فإن العلم
معنوي والمال مادي، وقد يكون العكس كصرف العلم في تحصيل المال، وقد
يصرف العلم لتحصيل علم آخر، أو المال لتحصيل مال آخر، فلو فرض ان القرآن
المعنوي تحول إلى شيء مادي لكان الجبل خاشعاً متصدعاً بسبب ذلك الشيء
المادي الذي تحول القرآن المعنوي إليه، وهناك معنى آخر لتوضيح الآية الشريفة
نذكره في محله.

ولكونهم عليهم السلام اكبر واعظم من الكون توجيه آخر هو ما قد ذهب البعض
إليه من الإلتزام بالسعة الوجودية والإحاطة الشمولية، والكلام في المقام طويل
وعميق نكتفي منه بهذا القدر.

وَقَدْ اِذْنِ لِي اِنْ اَدْخُلَ مَعَكُمْ فَهَلْ تَاْذُنُ لِي يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ

«وَقَدْ اِذْنِ لِي اِنْ اَدْخُلَ مَعَكُمْ فَهَلْ تَاْذُنُ لِي يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ»

الإستئذان طولياً

مسألة : يستحب الإستئذان المجدّد من العظيم - وإن حصل الإذن من الله تعالى من قبل - احتراماً لذلك العظيم، كما استأذن جبرئيل من النبي ﷺ .
ولربما توقف الجواز^(١) على الإذن الثاني فيما لو كان إذن الله سبحانه وتعالى متوقفاً على إذنه ﷺ، كماذنه سبحانه وتعالى في التصرف في أموال الناس طولياً إذ يتوقف حيثنذ على إذن المالك، فإن إذن الله سبحانه وتعالى إذا كان جزمياً لم يتوقف على شيء آخر، وإن كان تعليقاً وعلى نحو الإجازة توقف على شيء آخر، فإنه أيضاً بأمر الله سبحانه وتعالى الذي جعله مالكاً وهكذا في أمثال ذلك.

وهل دخول جبرائيل معهم ﷺ كان معنوياً أو مادياً، بمعنى انه تمثّل في صورة البشر ودخل معهم كما كان أحياناً يتمثّل بصورة دحية الكلبي وغيره، أم انه بنفس روحه وواقعيته وكما هو هو دخل معهم؟
احتمالان، ولم يظهر من هذا الحديث ما يؤيد أحد الإحتمالين، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وأولياؤه.

(١) اي : جواز التصرف وشبهه .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحَيِّ اللَّهَ إِنَّهُ نَعَمْ

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحَيِّ اللَّهَ إِنَّهُ نَعَمْ»

سلام غير الإنسان

مسألة : يجب رد سلام غير الإنسان كالملائكة، كما ردّ ﷺ سلام جبرائيل، والفعل وإن كان أعم إلا أنه يدل على الجامع، واستفادة الوجوب من الإطلاقات.

التأكيد

مسألة : يرجح التأكيد في مقام الجواب والإذن إذا كان فيه الفائدة، حيث قال ﷺ : «انه نعم قد أذنت لك».

ومن الواضح ان التأكيد في مثل المقام يفيد مزيداً اشتياق الأذن للمستأذن فليس تأكيداً لفظياً فحسب، ويحتمل أن يكون ردّ الرسول ﷺ معنوياً في قبال المعنوي، أو مادياً ظاهرياً في قبال الظاهري، فإن النفس قد توحى إلى النفس دون وساطة الجوارح.

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ»

«قَدْ أَذْنْتُ لَكَ»

«فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ»

التجمع قوة وفائدة^(١)

والظاهر ان جبرائيل عليه السلام كان يريد بذلك الطلب الإستفادة المعنوية من معنوياتهم عليهم السلام ، فكما يستفيد المادي من المادي ، كاستفادة الشجر والحيوان والإنسان من الماء والطعام وما أشبه ذلك ، كذلك يستمد المعنوي من المعنوي ، كما يستفيد الإنسان من علم العالم وأخلاق الخلق وأدب الأديب وما أشبه ذلك ، ولا شك انهم عليهم السلام أفضل من جبرائيل عليه السلام ، فدخوله معهم سبب لاكتساب الخير منهم.

وكما ان التجمع في الماديات يوجب القوة كذلك التجمع في المعنويات يوجب قوة ذلك البعد أيضاً ، ومن ذلك : «ما حار من استخار ولا ندم من استشار»^(٢) و«أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله».

وقد ورد عنهم «عليهم الصلاة والسلام» : «يد الله مع الجماعة»^(٣) أي : قوته وعزته وبركته كما نشاهد ذلك في الماديات ، فإن القطرات تتجمع حتى تكون بحراً وسيلاً يجرف بالقطيع أو المدن وغيرها.

(١) للتفاصيل راجع : «الفقه : السياسة» ، «الفقه : الاجتماع» ، «الفقه : الدولة الإسلامية» ،

«السبيل إلى إنهاض المسلمين» ، «الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرفاه والسلام» .

(٢) تحف العقول : ٢٠٦ ح ٤٨ ط طهران .

(٣) نهج الفصاحة : ٦٤٦ ح ٢٢١١ ، وفيه : «يد الله على الجماعة» .

فَقَالَ لَا بِي : اِنَّ اللَّهَ قَدْ اَوْحَىٰ اِلَيْكُمْ يَقُولُ :

وكذلك الذرّات تتجمّع حتى تكون صحراء والخلايا الحيّة تتجمع حتى تكون إنساناً أو حيواناً إلى غير ذلك، فكما ان التجمع في الماديات يُفيد قوة ومضياً كذلك التجمع في المعنويات.

«فَقَالَ لَا بِي : اِنَّ اللَّهَ قَدْ اَوْحَىٰ اِلَيْكُمْ يَقُولُ :»

التمايز بين القرآن وغيره

مسألة : يرجح أن تمتاز الآيات القرآنية في الكلام أو في الكتابة عن سائر الكلمات بمميز ظاهر كما قال جبرئيل : «قد أوحى إليكم يقول».

ولقد كان ما جاء به جبرائيل عليه السلام وحياً من الله سبحانه وتعالى وانما لم يذكر الوحي في اول الكلام، وذكره هنا لان الوحي باعتبار انه قرآن وتحدّ، بخلاف المقطع الاول من الكلام حيث لم يكن من القرآن.

ويمكن أن يفهم من الفرق بين الكلامين ان من المستحسن تمييز القرآن عن غيره من أنحاء الوحي إذا كان في ضمن كلام بعضه قرآن وبعضه حديث قدسي، بما يدل على ان هذه القطعة من القرآن، وحيث ان الخطاب هنا كان بصيغة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(١) قال جبرائيل : أوحى إليكم بصيغة الخطاب للجمع، بينما في السابق كان يخاطب النبي صلى الله عليه وآله بصيغة المفرد.

ومن الواضح انه يمكن الوحي بالنسبة إلى غير النبي صلى الله عليه وآله كما قال سبحانه :

(١) الاحزاب : ٣٣ .

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

﴿واوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾^(٢) إلى غير ذلك. أما الوحي بالمعنى الاخص وهو ما كان بتوسط جبرائيل بالنحو الخاص فهو خاص بالانبياء ﷺ.

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٣)

عصمة المعصومين ﷺ

مسألة : يجب الاعتقاد بـ: عصمة الرسول ﷺ وأهل بيته وقد سبقت الإشارة إليه.

إشارة لآية التطهير

ولعل الإتيان بلفظ «إنما» لإفادة أن إرادة الله سبحانه وتعالى منحصرة في ذلك، فلا يمكن أن يحيد عنه، كما أن لفظ «يريد» يدل على أنه فعل مع الإرادة لإمكان انفكاك الإرادة عن الفعل أو الفعل عن الإرادة في الممكن^(٤) دون الواجب

(١) النحل : ٦٨ .

(٢) طه : ٣٨ .

(٣) الاحزاب : ٣٣ .

(٤) التقيد بـ«في الممكن» لدفع توهم امكان الانفكاك في الواجب إذ ارادته تعالى علة تامة لحدوث المراد، وفعله بالإرادة كما ثبت بالبرهان .

تعالى، إذ إرادته التكوينية تلازم فعله وهي العلة التامة لتحقيق المراد، فـ«إرادته فعله».

و«يريد» أولى من «يذهب» كما لا يخفى و«يذهب» يراد به : الإذهاب حدوثاً وبقاءً ماضياً وحاضراً ومستقبلاً للقرائن الكثيرة الحالية والمقالية، ومنها انه كان المجيء بالمضارع في «يريد» و«ليذهب» لإفادة الإستمرارية حيث ذكروا ان فعل المضارع يدل على الإستمرار، اما الماضي فإنه يدل على الحدوث فقط دون دلالة على البقاء، فلو قال : طهر نفسه دل على حدث في الماضي فقط، ولذلك عدل سبحانه عن «أذهب» إلى «ليذهب»، فبهذا وبغيره تكون هذه الجملة دليلاً على ارتفاع الرجس بأبلغ لفظ، ولو قال : أنتم طاهرون مطهرون، وما أشبه ذلك لم تكن في الجملة تلك الفائدة البلاغية الرفيعة والتفصيل في كتب الكلام والتفاسير.^(١)

ولعل ذكر الآية في أثناء الآيات المرتبطة بنساء النبي (ص) كان لإخفائها، حتى لا تمتد إليها يد التحريف من المخالفين. و﴿إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) لا يدل ولا يقتضي ان يكون كله غيبياً، بل بالاسباب ايضاً.

لا يقال : إذا كان معنى «الإذهاب» التطهير، فما معنى ﴿ويطهركم تطهيراً﴾؟^(٣)

(١) راجع شرح التجريد وتقريب القرآن إلى الأذهان للإمام المؤلف، والعبقات للسيد مير حامد حسين، والبحار للعلامة المجلسي واحقاق الحق للتستري ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي.

(٢) الحجر : ٩ .

(٣) الاحزاب : ٢٣ .

لأنه يقال : واسطة بين الأمرين ، وليساً من الضدين الذين لا ثالث لهما ، فإن «الرجس» قبح و«التطهر» جمال وبينهما ما لا قبح له ولا جمال ، وللتقريب نمثل بإذهاب السواد عن شيء حيث لا يلزم كونه أبيض ، إذ من الممكن أن يكون لون آخر وكذلك من يُذهب عن نفسه الجبن لا يستلزم أن يكون شجاعاً بل أمكن أن يصبح انساناً عادياً وكذا الأمر في البخل والكرم ، وما إلى ذلك . وربما كان ﴿ويطهّرکم تطهيراً﴾^(١) للإشارة إلى عليا مراتب الطهارة .

إذهاب الرجس عن النفس

مسألة : يستحب للإنسان أن يسعى لإذهاب الرجس المعنوي والمادي - عن النفس ، ويكون ذلك واجباً في موارد . ويستفاد من آية التطهير ، بضميمة الملاك في بعض المراتب ، والفحوى من وجه ، وأدلة التأسّي وغير ذلك ، فضل إذهاب الرجس المعنوي عن النفس من الشرك والعقائد الباطلة والملكات الرذيلة ، وكذلك الرجس المادي عن البدن وسائر ما يتعلق بالإنسان عبر المطهرات ، إلى غير ذلك .

(١) الأحزاب : ٣٣ .

تطهير الباطن والجوهر

مسألة : ينبغي التطهير والتطهر، مادياً ومعنوياً، استحباباً ووجوباً، كل في مورده.

وقد ظهر مما تقدم ذلك، ولا شك ان تطهير القلب والباطن أهم من تطهير البدن والظاهر، لان الباطن هو المحور للإنسان وهو الجوهر وهو محطة الإيمان والشرك وسائر أصول الدين، فإذا طهر باطنه من المعتقدات الفاسدة، والملكات الرذيلة، والنوايا السيئة ونحوها، يكون انساناً كاملاً، وإلا كان منحرفاً عن منهج الله سبحانه، فإذا كانت عقيدته فاسدة أوجبت له الهلاك في الآخرة، بل وفي الدنيا أيضاً في كثير من الاحيان ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتَّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم﴾^(١)، وإذا كانت ملكاته رذيلة كالحسد والبخل وحب الدنيا وما أشبه ذلك أورثت له نكالاً ووبالاً في الدنيا والآخرة.

والإنسان ذو النية السيئة تترتب على نيته آثار وضعية، كما سينكشف أثره أيضاً، قال علي (عليه السلام) : «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»^(٢) فيفتضح بين الناس، كما انه مفضوح عند الله سبحانه، وقد قال (عليه السلام) : «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة»^(٣).

وكما تكون الطهارة عن الرذائل، تكون عن الدنايا أيضاً، مثل الكسل

(١) الاعراف : ٩٦ .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٦ .

(٣) وسائل الشيعة : ٢٢٧/٧ ب ١٨ ح ٢٠ .

«فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لَأَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي»

والضجر وحب الدنيا غير المحرم والشهوات الجائزة ونحو ذلك، فإن كل ذلك يوجب سقوط الإنسان أو تأخره ونقصان حظه .

وقد قال عليه السلام : «من وقى شر ثلاث فقد وقى الشر كله : لقلقه وبقببه وذذبته»^(١) والمراد الأعم من الحرام والمكروه ك: لغو الكلام - من غير أن يكون محرماً - والإفراط في الأكل وفي قضايا الجنس، فإن كل ذلك يوجب الإنحطاط، والإفراط في أمر البطن والفرج يوجب الأمراض كما هو معلوم.^(٢)
ف: «المعدة بيت الادواء والحمية رأس الدواء».^(٣)

«فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لَأَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي»

استحباب السؤال لتعليم الغير

مسألة : يستحب السؤال لتعليم الغير، كما يستحب السؤال عن فضائل أهل البيت عليهم السلام خاصة.

وقد كان علي «عليه الصلاة والسلام» يعلم ذلك لكنه سأل كي يظهر ذلك للآخرين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يستدل على استحباب سؤال العالم

(١) مستدرك الوسائل : ٣٢/٩ ب ١٠٣ ح ١٦ .

(٢) راجع : «الفقه : الواجبات والمحرمات»، «الفقه : الآداب والسنن»، «الفقه : الاطعمة والاشربة» و«الفقه : النكاح» .

(٣) مستدرك الوسائل : ٤٥٢/١٦ ب ١٠٩ ح ١٠ .

ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله

للتعليم، كما يدل على استحباب السؤال عن فضائل أهل البيت «عليهم الصلاة والسلام» بصورة خاصة.

والظاهر ان كلام علي «عليه الصلاة والسلام» كان بعد كلام جبرائيل (عليه السلام) لان كلام جبرائيل كان دليلاً على وجود فضل لهذا الاجتماع، لوضوح ان تجمع المعنويات يوجب قوة وآثاراً تكوينية في المعنويات، بل وفي الماديات أيضاً، كما ان تجمع الماديات يوجب قوة وآثاراً في الماديات على ما سبق الإلماع إليه، فلا يقال: ان جلوس جماعة في مكان لا فضل له، كما ان مشي جماعة معاً لا فضل له، فما معنى سؤال علي «عليه الصلاة والسلام»: ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله.

هذا اضافة إلى ما كان لهذا الاجتماع من تعليم البشرية على مرّ العصور حقائق غيبية وكونية كبرى على ما سبقت الإشارة إليه وسيأتي الحديث عنه أيضاً.

«ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله»

اجتماع ذوي الفضل...

مسألة : يستحب اجتماع ذوي الفضل، والحضور في مجالسهم، والإستفادة من محضرهم، وهو مما يترتب عليه الفوائد والثمار.

ولذا قال علي (عليه السلام) : «يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا... من الفضل عند الله».

ولا فرق بين ان يكون البعض افضل من بعض او يكون لبعضهم فضل دون

.....

بعض، أو أن يكون للجميع فضل، فإنه إذا كان هناك إنسان عظيم واجتمع إليه الناس ترشح إليهم من علومه أو معنوياته بحديثه بل بصمته أيضاً وبهيئته وسمته وسلوكه بل وبإشعاعاته أيضاً.

أمّا إذا كان كلهم عظماء - على درجات - فالترشح سيكون أكثر، والتجمع يسبب الفضل الأوفر، واجتماع المتساويين في الفضل كذلك أيضاً، إذ البحث يقدح زناد الفكر، بل تجمعهم بحد ذاته يوجب قوة الروح والنفس أيضاً، وإطلاق «يد الله مع الجماعة»^(١) وملاكه أيضاً يدل على ذلك، كما يؤيده الإعتبار.

الهدفية في الأعمال وقصد القربة

مسألة : ينبغي أن يقوم الإنسان بكافة أعماله بهدف الفضل والثواب والفائدة^{(٢)(٣)} وأن يتحرى عن ذلك كما قال علي عليه السلام : «يا رسول الله أخبرني ما جلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله».

فكل عمل وكل حركة وسكون للجوارح أو الجوانح يمكن أن تكون ذات فائدة أو ضرر بما هي هي، أو بالقصد^(٤) وسائر العوارض، فإذا قام بالعمل لاجل الفضل والثواب والفائدة وإذا تحرى عن ما يحقق ذلك ضمن سعادة الدنيا

(١) نهج الفصاحة : ٦٤٦ ح ٣٢١١ ط طهران، وفيه : «على الجماعة».

(٢) قد يكون الفضل إشارة للقيمة الذاتية، والثواب إشارة للأجر الأخروي، والفائدة إشارة للمنفعة الدنيوية.

(٣) راجع الفضيلة الإسلامية، و«الفقه : الآداب والسنن».

(٤) المباح يتحول إلى مستحب بالقصد؛ فمثلاً شرب الماء واكل الطعام بما هو مباح وبقصد الإستعانة به على العبادة وقضاء الحوائج و... مندوب مثاب عليه.

.....

والآخرة، وإلا خسر نفسه وأضاع عمره وضياعه خسارة لا تعوض، إذ لا تعود للإنسان حتى ثانية من عمره الضائع، يقول الشيخ البهائي «قدس سره» :
«العمر مضى وليس من بعد يعود».

ولذلك ولغيره - كالتعليم مثلاً - سأل علي (ع) عن فضل جلوسهم تحت الكساء؟

وفيه تنبيه على لزوم اتيان الاعمال بهدف التقرب إلى الله والتفكير في فضل عمله عنده سبحانه، فإن للإنسان أن يعمل حتى الواجبات الجنسية وما أشبه، قربة إلى الله سبحانه، مما يوجب له الاجر والثواب، وإلى ذلك أشارت بعض الروايات.

وقد ورد في الحديث^(١) : انه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربعة وعشرون خزانة - عدد ساعات الليل والنهار - فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً فينالها عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على أهل النار لادهشتهم عن الإحساس بالم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه.

ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة متنتة مفزعة، فينالها عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه.

ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فينالها من الغبن والاسف على فواتها حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصف، ان

(١) بحار الانوار : ٢٦٢/٧ ب ١١ ح ١٥ .

.....

هذا قوله تعالى : ﴿ذلك يوم التغابن﴾ . (١)

قال الشاعر :

«انفاس عمرك اثمان الجنان فلا تشري لها لهباً في الحشر تشتعل»

ليس من الخسارة ان يخسر الإنسان نفسه ودنياه وآخرته بالحرام؟ قال

تعالى : ﴿ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم﴾ . (٢)

ليس من الخسارة ان يقضي الإنسان حياته فيما لا يدر عليه ارباحاً وجناناً

عرضها السماوات والارض؟ ومثله كمن يحرق أوراقه النقدية، وإن لم يصرفها

في الحرام الضار؟!

وحيث كان جلوسهم ﷺ لله سبحانه كان له فضل .

وهكذا يعلمنا الإمام ﷺ كيف نصرف أوقاتنا في مرضات الله تعالى .

أقسام الجلوس

مسألة : الجلوس في مكان والاجتماع فيه ينقسم إلى الاحكام الخمسة :

فمنه : واجب للتعليم والتعلم الواجبين وما أشبه ذلك، كالمرابطة في الثغر

ونحوها .

ومنه : مستحب، في التعليم والتعلم المستحبين، ومنه جلوسهم تحت

الكساء ولا يبعد كونه أحد مصاديق الواجب التخييري .

(١) التغابن : ٩ .

(٢) الشورى : ٤٥ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرُّسَالَةِ نَجِيًّا

ومنه : مكروه كما إذا كان من مجالس الباطل لا إلى حد الحرمة .
ومنه : محرم وهو ما إذا كان إلى حد المحرم أو ما أشبه ذلك ، لذا قال سبحانه : ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(١) .
ومنه : مباح إذا لم يكن أيًّا من الأربعة .

«فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرُّسَالَةِ نَجِيًّا»

التأكيد على حقانية أفعاله تعالى

مسألة : يستحب التأكيد على حقانية أفعال الله تعالى ، ولذا قال النبي ﷺ :
«والذي بعثني بالحق»^(٢) مع ان بعث الله سبحانه لا يمكن أن يكون بالباطل .
كما انه يرجح - إلى حد المنع من الترك في صورة التوقف - القسم بالله سبحانه وتعالى في الأمور المهمة ، ولذا قال النبي ﷺ : «والذي بعثني بالحق نبياً» .
ومن الواضح الفرق بين النبوة والرسالة ، لان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، وإن كان أحدهما يطلق على الآخر في كثير من الأحيان .

(١) النساء : ١٤٠

(٢) للباء معنى واحد وهو الإلصاق على ما يراه الإمام المؤلف في «الأصول» كما هو رأي سيبويه ، وكل المعاني الأخرى المذكورة له من المصاديق ، قال ابن مالك :
بالبا استعن وعدّ عوض الصق ومثل مع وعن ومن بها انطق

.....

التأكيد على نبوة الرسول ﷺ

مسألة : يستحب التأكيد على نبوة الرسول ﷺ حيث قال ﷺ : «والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً» .

ومن الواضح ان الإستحباب في محله والوجوب في محله - في هذا وفي سابقه - حسب مقتضيات الاحوال والظروف والشرائط .

وقوله ﷺ : «نجياً» ، دليل على النجوى التي كانت بين الله تعالى وبين الرسول ﷺ ، فلم يكن الوحي بحيث تظهر للناس علاماته في كل الاوقات ، وهذا يدل على رفعة مكانة الرسول ﷺ لان النجوى بين اثنين تدل على اختصاص احدهما بالآخر ، فهو كالتأكيد على قرب منزلة الرسول ﷺ من الله سبحانه وتعالى حتى اتخذه نجياً .

ولا يخفى ان تأكيد الرسول ﷺ في هاتين الجملتين انما هو لسائر الناس واما علي عليه السلام واهل البيت عليهم الصلاة والسلام فهم يعرفون ذلك حق المعرفة فلا حاجة إلى اصل الذكر والتذكير ، فضلاً عن التأكيد والقسم .

ما ذُكِرَ خَبَرُنَا هَذَا

«ما ذُكِرَ خَبَرُنَا هَذَا»

ذكر الخبر في المحافل

مسألة : يستحب ذكر هذا الخبر في المحافل والمجالس .
و«هذا» في قول النبي ﷺ «خبرنا هذا» اشارة إلى مجموعة القضايا التي قصتها السيدة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» لجابر .
وفي مثل ذلك يجوز تذكير الضمير باعتبار الحادث وتانيثه باعتبار القضية ونحوهما .

وهل يتحقق الإستحياب بغير حالة التلاوة الإنسانية المباشرة لهذا الخبر ،
كالتسجيل الصوتي وسائر وسائل الاعلام؟

لايبعد ذلك ، فإن انصراف «ذكر خبرنا» إلى قراءة وتلاوة الإنسان لهذا
الخبر بدوي ، والظاهر اختلاف مراتب الثواب والإستحياب ، ثم ان المهم ذكر هذا
الخبر ، ولو كان بسبب جماد أو حيوان .

لكن هل يشمل الكتابة كما إذا كتب هذا الحديث وعُلِّق على الحائط وكان
هناك جمع من الشيعة ينظرون إليه أو دون نظر؟

احتمالان ، لايبعد ان يكون له فضل ، لكن خصوص هذا الفضل الظاهر
انه ليس له ، للإنصراف عنه ، بل لو اطلق عليه كان مجازاً .

فالفضل من باب الملاك لا الإطلاق ، ولعمومات تعظيم الشعائر وشبهها .

في مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ

«في مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ»

عمومية المراد بـ: «مَحْفَلٍ»

قد سبق بيان استحباب ذكر أخبار أهل البيت عليهم السلام في جميع المحافل وذلك للإطلاق في «مَحْفَلٍ».

والظاهر أنّ أهل الأرض - المنصرف منه الساكنون فيها - من باب المصداق فإن كان هنالك في الأنجم الأخر جماعة من أهل الأرض أو من سكّانها ثم ذكروا هذا الحديث كان لهم هذا الفضل، وانما ذكر أهل الأرض لوقوعه في الأرض يومئذ، وكونه محل الإبتلاء عندها، ومن باب أظهر المصاديق عند المنقول إليهم. أما وهل ذكره في محافل أهل السماء وشبهها ممن هم من قبيل الملائكة والولدان والخور له هذا الفضل أم لا؟

لايبعد ذلك أيضاً بالنسبة إلى القابل، يعني: نزول الرحمة، أما شفاء المريض ونحو ذلك من الآثار المادية المترتبة على هذا الخبر فليس هنالك محل هذه الأمور كما لا يخفى مما يفهم من الروايات، فإن الملائكة والولدان والخور عادة لا تمرض أو تضعف، أما الحزن فقد يفهم وجوده لدى العلّيين مما ورد بالنسبة إلى الإمام الحسين «عليه الصلاة والسلام» من حزن الخور عليه، لكن لا يبعد أن يكون حزن الخور بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام استثناءً.

استحباب مطلق تلاوة هذا الحديث

مسألة : يستحب تلاوة حديث الكساء للعمومات ولقوله (ع) : «ما ذكر خبرنا هذا» سواء كان في محفل أم لم يكن .

إذ الظاهر عدم الإنحصار بالمحفل ، بل يشمل - بملاكه - حتى ما إذا قرا هذا الحديث فرد من الافراد لوحده ، وذلك من باب تعدد المطلوب .

وانما يستحب باعتبار الآثار ، إذ منها يفهم استحباب المؤثر عرفاً .

ثم ان الظاهر من «ذكر خبرنا هذا» هو ذكره بهذا التفصيل وإن كان لا يبعد وجود الملاك في ذكره اجمالاً ، وعلى الملاك فهو من باب المستحب في المستحب .

ولا يخفى ان الآثار الإيجابية لتلاوة حديث الكساء لا تختص بالإنسان بل تشمل غيره كالجن ، ولذا قال النبي (ص) : «في محفل من محافل أهل الارض» .

وخاصة مع الإنتباه إلى ما دلّ على ان الإنس والجن يشتركان في التكليف الإلهية ، والاحكام الشرعية ، فالقرآن المشتمل على كل هذه الاحكام لهما ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به﴾^(١) اضافة للروايات الدالة على انه (ص) مرسل للجن والإنس وغير ذلك .

وقد ذكرنا في بعض كتبنا الفقهية^(٢) مسألة الزواج مع الجن والطلاق والإرث وما أشبه ذلك .

كما ان ما جرى من امر الثعبان الذي سأل علياً «عليه الصلاة والسلام» وهو

(١) الجن : ١ - ٢ .

(٢) راجع كتاب «الف مسألة ، المسائل المتجددة» و«الفقه : المسائل المتجددة» و«الفقه : النكاح» .

على منبر الكوفة^(١) يؤيد ذلك، إلى غيرها من الاحداث والقصص المذكورة في الاحاديث.

وعلى أي حال فهو خارج عن محل الإبتلاء عادة.

أما ما ورد من تزويج ابني آدم بحورية وجنية، فالظاهر ان المراد كونهما كذلك في الاصل، إذ قد كانتا من البشر في وقت الزواج من ابني آدم، نظير ما قاله سبحانه: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^(٢).

فكونهما جنية وحورية من باب كون الإنسان طيناً، وكون الملك نوراً، وكون الجنّ ناراً، وليس المراد الفعلية، وهذا لا ينافي ان يكون الإنسان قد خلق من إنسان واحد وهو آدم ﷺ كما في بعض الآيات أو من انسانين آدم وحواء ﷺ كما في بعض الآيات الأخر، لأن المراد هي النشأة الأولى وإلا فعيسى ﷺ خلق من نفخ جبرائيل ﷺ.

أما ما احتمله بعض العامة من ان آدم زوج ابنيه ببنتيه وانه كان حلالاً في ذلك الوقت، حراماً فيما بعد، فترده الروايات الواردة عن ائمتنا عليهم الصلاة والسلام^(٣).

(١) راجع بحار الانوار : ١٧١/٣٩ ب ٨٣ ح ١١ .

(٢) الانعام : ٩ .

(٣) راجع قصص الانبياء للجزائري ص ٦١ ط قم .

وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا

«وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا»

استحباب التجمع، والمراد بالمحب

مسألة : يستحب تجمع الشيعة والمحبين لاهل البيت (ع).^(١)

قد يكون المراد - كما يظهر من بعض الروايات - من المحبين : الاعم من الشيعة وغيرهم ممن كانوا محبين لهم «عليهم الصلاة والسلام» ولم يكونوا من شيعتهم، فيكون من باب عطف العام على الخاص.

وقد يكون المراد منهم غير الشيعة، لان التاكيد خلاف الاصل فهو تأسيس، كما ان الاصل في القيود كذلك.

وربما يكون الشيعي والمحب متساوقين^(١) فليس غير الشيعي بمحب حقيقة، ولا إشكال في ان المحب الذي ليس بشيعي إذا لم يكن معانداً يكون له بعض الاجر كما تدل على ذلك جملة من الروايات.

نعم من ليس بمحب لا يكون شيعياً، إذ الشيعي - على وجه - عبارة عن من يطابق لسانه وجوارحه قلبه بالنسبة لهم «عليهم الصلاة والسلام»^(٢) ولو في الجملة.

(١) التساوق غير الترادف، إذ المتساوقان هما المتطابقان في المصداق وإن اختلف المفهوم، والمترادفان المتطابقان في المفهوم.

(٢) في الإعتقاد بإمامتهم (ع)، إضافة إلى محبتهم (ع)، أما الإلتباع العملي فهو سبب لإطلاق الشيعي بالمعنى الاخص عليه.

.....

والظاهر ان الشيعي يشمل الفاسق ايضاً وإن كان العادل هو الشيعي الكامل، لان ما ذكرناه هو مقتضى الإطلاق.

وما في بعض الروايات من ان الشيعي هو الكامل يراد به الشيعي بالمعنى الاخص فمثلهما مثل المؤمن والمسلم حيث ان المؤمن والمسلم يطلق تارة على من في القمة منهما، وتارة على الاعم، والاعم هو المتبادر من اطلاقهما لا من في القمة فقط.

وقد يفرق بين المعنى اللغوي للشيعي^(١) وبين المعنى الاصطلاحي^(٢) وعلى الاول فقد يقال بالشمول للاتباع في الجملة فلا يشمل الفاسق بقول مطلق.

أقسام التجمع وأنواعه

وقد تقدم ان تلك الآثار وهذا الاجر إذا كان في الجمع يكون - بدرجة أو أخرى - في الفرد والإثنين ايضاً، إذ لا تفهم الخصوصية هنا إلا في مراتب الثواب، وإن كان ظاهر الجمع الخصوصية فيما إذا لم تكن قرينة، والقرينة الملاك وغيره.

واللفظ يشمل النساء والاطفال ولو بالقرينة والغاء الخصوصية.

نعم الظاهر ان تكون تلاوة حديث الكساء بما يُسمع لا بما لا يسمع إلا إذا كان الحاضرون صُماً أو كانت هناك ضوضاء تمنع من السماع، والتفريق انما هو بلحاظ المقتضي وعدمه وبلحاظ منصرف (الذكر)، والإطلاق - على تقدير -

(١) شايع اي تابع لغة، فالشيعي هو المتبع.

(٢) المعتقد بالإمامة.

.....

يشمل ما لو كان بعضهم شيعة وبعضهم محبين بأن يكون الجمع متشكلاً منهما.

... وعبر الأجهزة الحديثة

وهل يشمل ذلك مثل ما إذا كان الجمع في أماكن متعددة يتصل بعضهم ببعض بواسطة بعض الأجهزة الحديثة كالهاتف ونحوه؟^(١).

الظاهر ذلك، وقد ذكرنا نظيره في باب الطلاق وباب البيع ونحوهما^(٢) فإذا كان هناك شاهدان كل منهما في غرفة منفصلة وكان الذي يتولى إيقاع الطلاق في غرفة ثالثة وتمّ اتصال بعضهم ببعض بسبب الهاتف ونحوه وطلق بحيث استمع الشاهدان كان كافياً في تحقق الطلاق.

وهكذا يكون الأمر فيما إذا كانوا في غرف متعددة أو أماكن متعددة يسمع كلهم الحديث بسبب مكبرات الصوت ونحوها.

(١) هناك مؤتمرات تعقد حالياً بالصوت والصورة بين علماء في أماكن متباعدة عبر أجهزة بث واستقبال موجودة في منطقة وغرفة كل منهم فيرى كل منهم الآخر ويستمع إليه، وهناك أجهزة أخرى مثل ال: فيديو - فاكس تقوم بدور مماثل من وجه آخر.

(٢) لمزيد التفاصيل يراجع «الفقه: المسائل المتجددة» للإمام المؤلف.

أنواع الذكر والتلاوة

مسألة : يستحب جمعُ جمعٍ من الشيعة لإقامة ذكر حديث الكساء كما يجتمعون لزيارة عاشوراء ودعاء كميل و...

فإن هذا هو المفهوم من الكلام، لأنه يفهم من المسبب السبب عرفاً.
فإن ذكر الفضل والخير دليل على محبوبة تلاوة هذا الحديث عند الله سبحانه، وجمعُ جمعٍ مقدمة له.

والظاهر أن الذكر كاف وإن لم يفهموا معناه كما إذا لم يعرفوا اللغة العربية والإنصراف - لو كان - فبدوي، نعم لا اشكال في اختلاف درجات الثواب.
وهل يشمل ذلك ما إذا قُرئ حديث الكساء بلغة أخرى؟

لا يبعد ذلك، لشمول قوله «عليه الصلاة والسلام»: «ما ذكر خبرنا هذا» بالنسبة إلى التفسير والترجمة بلغة أخرى، إذ هو هو لباً وجوهرأ، نعم استثني من ذلك الصلاة وصيغة الإحرام وقراءة القرآن والدعاء الماثور، بمعنى أنه لا يكون تفسير وترجمة دعاء كميل كميلاً، وإن كان موجباً للثواب فتأمل.^(١)

وهكذا الكلام في الأذكار، مثلاً: «سبحان الله» و«لا إله إلا الله» و«الحمد لله» إذا ذكرت بلغة أخرى فلا دليل على حصول الأثر الذي رتب عليها في

(١) قد يكون إشارة إلى أن الإستثناء حكمي لا موضوعي، وبالدليل الخارجي، أي أن استثناء الصلاة بمعنى عدم جريان حكمها - من الإجزاء والوجوب ونحوهما - على ما كانت بلغة أخرى، لا أن المراد عدم إطلاق لفظ الصلاة عليها موضوعاً، أو إلى أن إيجابه للثواب في الجملة أو كليهما.

«إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ»

الروايات .

مثلاً: ورد أن من قال: «لا إله إلا الله» كان له كذا من الثوب^(١)، فإنه إذا ذكر هذا الذكر بلغة أخرى لم يكن له خصوص هذا الاثر وإن كان له اثر في الجملة لانه ذكر لله سبحانه وتعالى، فيشمله قوله سبحانه: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿فاذكروني اذكركم﴾^(٣) وما اشبهه.

«إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ»

لماذا هذا الأجر العظيم؟

مسألة : يستحب أن يفعل الإنسان ما يوجب نزول الرحمة وأن يقوم بما ينفع غيره، كما في اجتماع أهل الكساء (عليهم السلام)، فإن معرفته وذكره والحديث به وعنه من قبل الموالين سبب نزول الرحمة و...

والسر في هذا التأكيد وفي عظيم المثوبة التي قررها الله تعالى لـ(ذكر هذا الحديث الشريف) انه تأكيد على القيادة التي بها تصلح الدنيا والآخرة، كما قال (عليه السلام): «ولم يناد أحد بشيء كما نودي بالولاية»^(٤).

فإن القيادة الصحيحة هي التي تصلح حال البشر وتقوده إلى السعادة

(١) راجع ثواب الاعمال للصدوق : ص ٢٢ ح ١١ ط بيروت .

(٢) الاحزاب : ٤١ .

(٣) البقرة : ١٥٢ .

(٤) راجع بحار الأنوار : ٣٢٩/٦٨ ب ٢٧ ح ١ .

وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ

الدنيوية والأخروية، ومن المعلوم ضرورة التأكيد على مثل هذه القيادة وتوفير كافة وسائل دعمها وتركيزها، ولذا يؤكد عقلاء العالم على الشعار وعلى ذكر القائد والقيادة - فردية كانت أو جماعية - ليل نهار في وسائل اعلامهم ومحافلهم. وحيث ان قيادة هؤلاء الاطهار عليهم السلام جاءت من عند الله تعالى الذي بيده الدنيا والآخرة، فإن من يلتف حولها يفيض عليه سبحانه الخير في الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام: «نزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا». (١)

«وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ»

التمهيد لنزول الملائكة

مسألة : يستحب ان يقوم الإنسان بتمهيد ما يوجب نزول الملائكة وحفها به كالاستقامة - كما في الآية الآتية - وكما في ذكر هذا الحديث الشريف ونحو ذلك، لان نزول ملائكة الرحمة وحفهم بالإنسان يوجب الرحمة والمغفرة والشخصية الإلهية، كما هو معلول لها ايضاً، فهو معلول لمراتب من الرحمة وعلة لمراتب أخرى.

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

(١) تحدث الإمام المؤلف تفصيلاً عن قيادة الائمة عليهم السلام وولايتهم في كتاب «الفقه: البيع» المجلد الرابع مقدمة لولاية الفقيه، فليراجع.

.....

الملائكة^(١) حيث يفهم منه ان تنزل الملائكة امر مطلوب مرغوب شرعاً.
وقال سبحانه : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) فإن الملائكة بما انها مخلوقات خيرة ولله طيعة، وهي وسائط نعم الله سبحانه في الجملة، فإنها تفيض الخير في غير ملائكة العذاب.
كما ان الشياطين على العكس فيما انها شريرة فإنها تترشح بالشر، ولذا قال سبحانه : ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٣) فإن الجنس مائل إلى جنسه، كما قال الشاعر:
«انّ الطيور على أشكالها تقع».
ويؤيد ما ذكرناه من الإستحباب ما ورد من قول جبرائيل لرسول الله ﷺ :
«إنا معاشر الملائكة لا ندخل بيوتاً فيها تصاوير»^(٤) وما أشبه ذلك مما يشير إلى ان فيها نوعاً من منع الخير الحاصل بدخولهم^(٥).

نوعية تواجد الملائكة

ولا يخفى ان الملائكة مخلوقات قابلة للتواجد على الحيطان والابواب وغيره كما دلت على ذلك أدلة عديدة، وكما يرشد إليه ان ذلك هو مقتضى

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) الانفال : ١٢ .

(٣) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٤) راجع سفينة البحار : ٤٨٩/٢ باب الكاف ط نجف . وفيه : «انا لاندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة انسان ولا بيتاً فيه تمثال» .

(٥) راجع شرح التجريد وتوضيح نهج البلاغة للإمام المؤلف «دام ظله» .

.....

«الحفّ» فيما إذا كان المجلس قد امتلأ بالحاضرين امتلاءً كاملاً، وذلك هو المستفاد من الروايات مثل ما ورد من أن المائدة إذا وضعت حضرها كثير من الملائكة . ، ومن الواضح أن إطلاقه يشمل حتى ما إذا كانت المائدة لاتسع إلا لثلاثة أشخاص، بل حتى الواحد، فإن الملائكة كالنور لا تزاحم بينها، وعلى فرض تجرّدها فالامر أوضح، وإنا وإن لم نعرف حقيقة الملائكة وخصوصياتها ومزاياها إلا أن ما ذكرناه هو المستفاد من جملة من الروايات.

أمّا ما ورد من أن الرسول ﷺ كان يمشي على أصابعه في جنازة «سعد» فذلك لجلب انتباه الناس على نزول الملائكة ومشاركتها في تشييع الجنازة، وإن احتمل كونها قد تشكلت بشكل يقتضي ذلك.

وما ورد من أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، يراد به الإشارة إلى تواضعهم له، فهو من قبيل قوله سبحانه: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾^(١) وإن احتمل البعض إرادة المعنى الظاهري أي أنهم يفرشون أجنحتهم تحت رجله.

ومن المعلوم أن حف الملائكة نوع تكريم للحاضرين، كالشخصية التي يحف بها عبيدها وحفدتها وخدمها ومن أشبههم.

... وعددهم

وأما عدد الملائكة فهم كما قال الشاعر:

«عدد الرمل والحصى والتراب»

(١) الإسراء: ٢٤ .

وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ

وقال علي (عليه السلام) : «فملاهنّ أطواراً من ملائكته»^(١) ولا عجب فإن الإنسان إذا نظر إلى البستان من الأشجار لرأى فيها ملايين الاوراق والاغصان وما اشبه، اليس كل ذلك من صنع عليم حكيم قدير؟

فإن من يخلق بمجرد الإرادة، حتى ان لفظة «كن» انما هي من باب المثال أو الإشارة إلى السرعة والسهولة ومطلق القدرة، لا مانع من ان يخلق ملايين الاكوان والعوالم فكيف بأفواج الملائكة، بلفظ «كن» أو دونه، فحيثما قرأ حديث الكساء ولو في ملايين الاماكن في ساعة واحدة حفت بكل مجلس الملائكة.

«وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ»

استحباب الإستغفار للآخرين

مسألة : يستحب الإستغفار للآخرين.

وفي الحديث : ان الإنسان لو دعا لآخيه بظهر الغيب قالت له الملائكة : ولك ضعف ذلك، ومن المعلوم ان الإستغفار دعاء في حق الغير بغفران ذنبه وستر عيبه.

ولا يخفى ان هناك فرقاً بين الإستغفار والتوبة، فإن الغفران ستر، والإستغفار طلب للستر، والتوبة رجوع، ولذا ورد في الاحاديث : الإستغفار، إلى جانب التوبة في عبارتين، مثل : «استغفر الله» و«أتوب إلى الله» أو في عبارة واحدة مثل : «استغفر الله وأتوب إليه».

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ .

.....

الإستغفار

مسألة : يستحب الإستغفار مطلقاً، وقد يجب، ولقد كا من لطفه تعالى وعموم فضله ورحمته ان جعل «الإستغفار» سبباً لمحو الذنوب والعودة إلى الله فوراً، بل ان للإستغفار اثر وضعي في هذا الدنيا ايضاً ﴿فقلت استغفروا ربكم انه كان غفّاراً يُرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهاراً﴾^(١).

التسبب للإستغفار

مسألة : يستحب التسبب لاستغفار الملائكة بل مطلق الغير، للإنسان، بان يقوم بما يوجب ذلك، فإنه مستفاد عرفاً من هذه الجملة وإن لم تكن بالدلالات الثلاث المنطقية، لان الدلالة لا تنحصر فيها، وقد تقدم الإلماع إلى انه بدلالة الإقتضاء العرفي^(٢) لا الاصطلاحي.

(١) نوح : ١١ - ١٢ .

(٢) ترتيب «واستغفرت لهم الملائكة» على «ما ذكر خبرنا» معلول رجحان استغفار الملائكة واردة الله للمثوبة، والتسبب مقدمة لهذا الراجع .

هل الجزاء على السعى أم لا؟

وحيث ان التواجد والحضور^(١) من فعل الإنسان وسعيه فلا يستشكل على استغفار الملائكة له لاجله، فلا يقال: انه مناف لقوله سبحانه: ﴿أَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) أو قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرَأٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٣) وما أشبه ذلك؟ لا يقال: هذا تمام في من حضر اختياراً فلا يتم في الذين حضروا اضطراراً، كما إذا كانوا في السجن وأحدهم قرأ حديث الكساء دون طلب من الحاضرين بل ومع عدم رغبة منهم لاشتغالهم بدراسة أو مطالعة أو ما أشبه ذلك. لانه يقال: ذلك يفهم بالملاك أو بالإطلاق، وحينئذ يكون الجواب عن الآية ما سيأتي من أحد الوجهين.

نعم إذا كرهَ الذكر فالظاهر ان الفائدة لا تشملُه وإن احتمل كون بعضها كالأثر الوضعي، بخلاف النائم والصبي والمغمى عليه وما أشبه.

وقد ذكرنا في بعض مباحث الفقه: ان أمثال ذلك استثناء من الآيتين بالدليل الخاص تفضلاً منه تعالى، أو يقال: ان هذه الآثار الخيرية انما هي ببركة أولئك الأطهار عليهم السلام، فهو امتداد لسعيهم عليهم السلام وذلك كما ان الإرث فائدة تتوجه للإنسان بسبب القرابة، وإن لم يكن من سعي نفس الوارث وهناك أجوبة أخرى

(١) المستفاد من «وفيه جمع من شيعتنا».

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الطور: ٢١.

إلى أن يتفرَّقوا

ذكرناها في محلها^(١).

«إلى أن يتفرَّقوا»

استحباب اللبث في مجالس الخير

مسألة : يستحب البقاء في مجالس الخير واستدامة الجلوس فيها، فمجلس القراءة الحسينية عليه السلام ومجالس العلم والمصلى يستحب استمرار الجلوس فيه ولو بعد انتهاء القراءة والدرس والصلاة في الجملة، فإن في ذلك تذكيراً أكثر بذلك الخير وربطاً للمرء به أكثر فاكثر في مختلف شؤون حياته.

كما ان قوله «عليه الصلاة والسلام»: «إلى أن يتفرَّقوا» يرشد إلى ذلك مع لحاظ عدم الخصوصية في المورد من حيث أصل المثوبة وإن كان له خصوصية من حيث الخصوصية، ومن المعلوم - كما أشرنا سابقاً - استحباب فعل الإنسان ما يوجب جلب الخير إلى نفسه من الرحمة والبركة واستغفار الملائكة وما أشبه ذلك.

ويجري هنا الكلام السابق فيمن كان كارهاً للبقاء أو مضطراً أو فاقداً للوعي أو الصحو كالجنون والمغمى عليه والطفل وما أشبه ذلك، لأن كلا البحثين بملاك واحد.

(١) تحدث الإمام المؤلف بالتفصيل حول «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» [النجم: ٢٩] في «الفقه: الإقتصاد» وغيره.

فَقَالَ عَلِيٌّ (ع) إِذَا وَاللَّهِ

ولا يخفى ان التفرق هنا ليس كالتفرق في باب خيار المجلس ، حيث يوجب زوال الاثر هناك ، بل ظاهر المقام انه بخلاف خيار المجلس حيث ان مشي خطوات وشبهه يوجب سقوطه^(١) ، فليس البابان بملاك واحد حتى يكون كلاهما في حكم واحد من هذه الجهة.

والظاهر ان «ما ذكر خبرنا...» يشمل ما إذا كانت مكبرات الصوت تبث حديث الكساء وهو يسير في الشارع ويسمعه ، أما إذا كان في السيارة أو الطائرة أو القطار واحدهم يقرأ الحديث فلا إشكال في شمول «وفيه جمع...» له.

فَقَالَ عَلِيٌّ (ع) إِذَا وَاللَّهِ

الحلف على عظام الأمور

مسألة : يجوز الحلف على الأمور العظيمة^(٢) ، والجواز هنا بالمعنى الاعم - والمراد به هنا^(٣) الوجوب أو الإستحباب - وقوله «عليه الصلاة والسلام» : «إذا» بمعنى انه حيث كان الامر كذلك تحقق الفوز.

فإن أمثال هذا القسم مستثناة من كراهة الحلف بالله سبحانه وتعالى كما قال : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٤)

(١) راجع «الفقه : الخيارات» للمؤلف «دام ظله».

(٢) وقد سبق الإشارة إليه .

(٣) أي في هذا الحديث .

(٤) البقرة : ٢٢٤ .

فُزْنَا

وكما قال الإمام زين العابدين «عليه الصلاة والسلام»: «أني كرهت أن أحلف بالله» في قصة مهر زوجته^(١).

التجاوب مع العظيم

مسألة : يرجح التجاوب مع العظيم إذا تحدث وتكلم، كما صنع علي عليه السلام بقوله: «إذن واللّه فزنا»، من غير فرق بين أن يكون التجاوب بالكلام أو بالإشارة كان يشير برأسه أو ما أشبه ذلك لأن التجاوب هو نوع احترام.

«فُزْنَا»

رجحان مدح النفس !

مسألة : يستحب مدح الإنسان نفسه وسرد فضائله وذكر مناقبه إذا كان في مقام التعليم أو دفع تهمة أو احقاق حق، وقد يجب ذلك. وهذا لا ينافي ما ورد عنه «عليه الصلاة والسلام» من أن تزكية المرأ نفسه قبيح^(٢) لأن القبح بلحاظ العنوان الأولي، فإذا طرأ عليه عنوان مُحسّن صار مستحباً، بل قد يجب المدح فيما إذا توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو

(١) حول الحلف والقسم ومختلف بحوثه يراجع كتاب «الفقه: العهد واليمين» للمؤلف «دام ظله».

(٢) حول مدح النفس راجع: «الفضيلة الإسلامية» للإمام المؤلف «دام ظله».

الدعوة إلى الواجب عليه ، ولذا كان الانبياء والائمة «عليهم الصلاة والسلام» يُعرفون أنفسهم بما هو مدح لها .

نعم انما يستحب مدح الإنسان نفسه إذا كان مدحاً صادقاً ، اما المدح الكاذب فهو داخل في اطلاقات أدلة الكذب .

ومما ذكر في باب مدح الإنسان نفسه يعلم الحكم في عكسه من ذم الإنسان نفسه ، في كونه مستحباً او محرماً او واجباً او غير ذلك .

معنى فوز أولياء الله وانتصارهم

ثم إن قول علي «عليه الصلاة والسلام» : «فزنا» انما كان لاجل ما ذكره جبرئيل (ع) من مدحهم (ع) عن لسان الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) فإن كونهم (ع) ممدوحين لله تعالى ومطهرين بأمره وإرادته يوجب الفوز في الدنيا والسعادة في الآخرة .

ومن المعلوم ان فوز الدنيا ليس خاصاً بالماكل والمشرب والمسكن وما أشبه ذلك من الأمور المادية ، بل ذلك الفوز الأدنى ، فإن الإنسان الهدفى إذا كان يسعى من أجل تحقيق هدفه يكون فائزاً ولو حرم من كل الملذات المادية ، فالإمام الحسين (ع) فائز وهو قتيل ومجروح من رأسه إلى قدمه ، ولهذا قال الراوي : «ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته أربط جاشاً وأقوى جناناً منه عليه الصلاة والسلام»^(٢) فهو (ع) الفائز والمنتصر وهو صريع سليب على أرض المقتل ،

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) راجع بحار الانوار : ٥٠ / ٤٥ «بيان» .

وَفَازَ شِيعَتُنَا

لأنه ﷺ كان يعلم انه بعين الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى مؤتماً بأمره، وهذا هو الانتصار الحقيقي.

ليس «الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء»؟

ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١) فإن ميزان الانتصار والإنكسار ليس بغلبة الجيش أو انهزامه أمام جيش العدو، بل إن ميزان انتصار الصالحين هو انتصار مبادئهم وانتصارهم على أنفسهم وانتصارهم في امثال أوامر الله سبحانه وتعالى. وهذا بحث كلامي ذكرناه هنا إلماعاً لا استيعاباً.

«وَفَازَ شِيعَتُنَا»

التمسك بمذهب آل البيت ﷺ

مسألة : يجب التمسك بمذهب شيعة آل بيت الرسول ﷺ فإنهم هم الفائزون^(٢) وانما فازت الشيعة لانهم التفوا حول القيادة الإلهية الصحيحة التي عينها الرسول ﷺ بأمره تعالى والتي لها المكانة الرفيعة في الدنيا وفي الآخرة. ومن المعلوم ان قائد الإنسان إذا كان على صراط مستقيم يكون متبعه فائزاً

(١) غافر : ٥١ .

(٢) راجع القول السديد في شرح التجريد للإمام المؤلف وإحقاق الحق للتستري والغدير للأميني والعبارات وغيرها.

أيضاً.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره جبرائيل «عليه الصلاة والسلام» من : تنزل الرحمة عليهم وان الملائكة تحف بهم وتستغفر لهم، فإن هذا من أعظم الفوز.

بشارة الغير وإدخال السرور

مسألة : يستحب بشارة الآخرين خاصة بشارة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بالفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وذلك من باب المصداق، وإلا فهذا الكلي صادق في كل انسان يبشر بشارة سارة شرط عدم معارضتها للشريعة.

بل يمكن ان يقال : بأن إدخال السرور حتى على قلب الكافر مستحب^(١) إلا في مورد قوله سبحانه : ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً﴾^(٢) وذلك لقوله (عليه السلام) : «لكل كبد حربي أجر»^(٣).

ولقوله «عليه الصلاة والسلام» : «الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(٤).

ولما نقرؤه في سيرتهم العطرة (عليهم السلام) من تفريجهم كرب الكفار والمنافقين، كما لم يمنع الرسول (عليه السلام) الماء عن أهل خيبر، وفَسَحَ الإمام علي (عليه السلام) المجال أمام جيش معاوية الذين جاؤوا لحربه للتزود من ماء الفرات^(٥)، ومن المعلوم ان الحرب

(١) راجع «الفقه : الواجبات والمحرمات» و«الفقه : الآداب والسنن» للإمام المؤلف «دام ظله».

(٢) التوبة : ١٢٣ .

(٣) بحار الانوار : ٧٤ / ٣٧٠ ب ٢٣ ح ٦٣ «بيان».

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣ .

(٥) راجع بحار الانوار : ٤٢ / ٢٩ ب ١١٦ ح ٨ .

مع الإمام علي عليه السلام حرب مع الرسول صلى الله عليه وآله كما قال صلى الله عليه وآله: ^(١) يا علي حربك حربي ^(٢).

وكذلك أمر الحسين عليه السلام أصحابه بسقي الحر وأصحابه في الطريق ^(٣). وفي سيرة الأئمة الطاهرين «عليهم الصلاة والسلام» يشاهد ذلك بوفور وكثرة.. كما أن الإمام الهادي «عليه الصلاة والسلام» عالج المتوكل حتى برأ من مرضه، وهكذا مما هو كثير.

وقد يكون السبب في بعض تلك الموارد عناوين أخرى طارئة: كإلقاء الحجة على الخصم وإتمامها وهداية الضال وإرشاد الجاهل وشبه ذلك ولا مانعة من الجمع ^(٤).

الثواب والعقاب بسبب الآخرين

مسألة : يستحب بيان مدى مدخلية أهل البيت صلى الله عليه وآله في سعادة الإنسان فيما إذا اتبع منهجهم، بل هم صلى الله عليه وآله محور السعادة ومدارها، حيث أن الله تعالى لاجلهم قرّر هذه النعمة العظمى. فإن الإنعام على إنسان من أجل إنسان آخر دليل على عظمة ذلك المعطى

(١) أمالي الطوسي : ص ٣٦٤ ح ١٥ «المجلس الثالث عشر» ط قم.

(٢) وقد نظمه السيد الطباطبائي في قصيدته حيث قال :

«لقوله حربك حربي واشتهر من الفريقين رواية الخبر»

(٣) راجع بحار الأنوار : ٢٨/٦٠ ب ٣ ح ١١ «بيان».

(٤) سيأتي في بحث «استحباب قضاء الحاجة» تنمة مفيدة لهذا البحث.

.....

من أجله النعمة»^(١) ، «بيمنه رزق الوري وبوجوده ثبتت الارض والسماء» .
 اما في عكسه وهو العقاب فلا يُعاقب أحد بذنب انسان آخر ، فقد قال
 سبحانه : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٢) وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية : ان
 المراد بهذه الآية العقوبات الأخروية كلها ، ومن العقوبات الدنيوية ما كان أمثال
 الحدود والقصاص وما أشبه ، دون بعض الأمور الكونية الأخرى مثل ما ذكره
 سبحانه : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾^(٣) مما له أثر وضعي ،
 وكذا في بعض الاموال مثل ما على العاقلة ، إذ ذلك داخل تحت قانون كوني
 وشرعي ، فإن أطراد قوانين الكون يقتضي العموم ، وكذا كونها دار امتحان
 واختبار ، كما ان التكافل الإجتماعي يقتضي ان تكون الدية على العاقلة ، وهذا ما
 يقوم به كافة عقلاء العالم إلى اليوم ، حيث يأخذون المال من الاغنياء بعنوان أو
 آخر ويصرفونه على الفقراء من ناحية ، ويشركون جماعة في نتيجة لاجل غرض
 اهم وهدف أسمى ، كما في كون «عمد الصبي خطأ تحمله العاقلة»^(٤) .

(١) «لاجل عين الف عين تكرم» .

(٢) الانعام : ١٦٤ .

(٣) الانفال : ٢٥ .

(٤) راجع حول هذا المبحث «الفقه : الديات» و«الفقه : القانون» .

وَرَبُّ الْكَعْبَةِ

«وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»

القسم بالله وبمخلوقاته

مسألة : يجوز القسم بأسماء الله تعالى وصفاته مثل : ربّ الكعبة، وإله الكون، وخالق السماوات، إلى غير ذلك، وينعقد الحلف به بحيث يوجب حنثه الكفارة.

أما الحلف بغير الله سبحانه كالانبياء والائمة عليهم السلام والآيات الكونية فالظاهر جوازه لكن لا ينعقد به الحلف مثل :

قوله سبحانه : ﴿لَعَمْرِكَ أَنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١)

وقوله تعالى : ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾^(٢)

وقوله سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٣)، فهو جائز تكليفاً غير منعقد وضعاً.

أما ما ورد في الحديث : «من كان حالفاً فليحلف بالله»، فالمراد : الحلف الجامع للشرائط ذوالاثر الوضعي ولا دليل على تحريم ما عداه.

وسيرة المشرعة - قديماً وحديثاً - بالإضافة إلى دليل البراءة وغيرهما تدل على الجواز.

(١) الحجر : ٧٢ .

(٢) الضحى : ١ - ٢ .

(٣) الشمس : ٧ .

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَلِي

ووجه قسمه ﷺ بربّ الكعبة كونها موضع عناية الله تعالى ، فإنه سبحانه كما خلق الأشياء حسناً واحسن ، كذلك جعل بعض الازمنة والامكنة محطةً ومورداً لعنايته ، وذلك مثل الكعبة والمساجد ، ومثل يوم الجمعة والاعياد الإسلامية وما أشبه .

كما انه تعالى جعل بعض الاماكن محطة امان وبعض الازمنة كذلك ، وذلك كمكة المكرمة كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(١) والاشهر الاربعة الحرم .

«فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَلِي»

توجيه الكلام للمشاكل

مسألة : يرجّح توجيه العظيم كلامه إلى من يقاربه في العظمة ويشابهه ، مع وجود غيره .

ولذا نرى ان النبي ﷺ وجه كلامه إلى علي (ع) فقال : «يا علي» ولم يقل : «يا فاطمة ، او يا حسن ، او يا حسين (ع)» .

فلا يقال : ان فاطمة «عليها السلام» كعلي (ع) في العظمة ، كما يدل على ذلك بعض الاحاديث التي ذكرها السيد البحراني «قده» في معالم الزلفى ، فإن الترتيب - حسب ما يستفاد من بعض الاحاديث - :

(١) آل عمران : ٩٧ .

.....

الرسول ﷺ أولاً في الفضيلة، ثم علي ﷺ وفاطمة ﷺ معاً، ثم الحسن ﷺ، ثم الحسين ﷺ ثم القائم «عجل الله تعالى فرجه الشريف»، ثم من بعده الأئمة الثمانية ﷺ قبله ﷺ، وهذا باعتبار سمو الجوهر في مختلف مجالات الإرتفاع.

لا يقال : كيف يكون القائم «عجل الله تعالى فرجه الشريف» أفضل من أبيه ﷺ مع أن أباه كان إماماً عليه مدّة؟

لأنه يقال : الأمر تابع لجعل الله سبحانه وتعالى، والجعل كما ذكرناه حسب دلالة بعض الروايات، ويوضحه قضية موسى ﷺ - وهو من أولي العزم - والخضر ﷺ فتأمل.

ومن المحتمل أن يكون الخطاب لعلي «عليه الصلاة والسلام» نظراً لأنه كان هو الذي قام بطرح السؤال أولاً، فاراد الرسول ﷺ أن يجيب على سؤاله مرة ثانية.

فسح مجال الحديث للأكبر أو الأعظم

مسألة : ينبغي ترك زمام الحديث للأكبر أو الأعظم مع وجوده، ولذا نرى أن الزهراء والحسين ﷺ لم يسألوا النبي ﷺ وإنما سألوه علي ﷺ. والزهراء «عليها السلام» وإن كانت عدل علي ﷺ في العظمة - لما سبق من الروايات، ولقوله ﷺ: لما كان لفاطمة كفو آدم فمن دونه^(١) ولغير ذلك - إلا أن

(١) التهذيب ٧/ ٤٧٠ ب ٤١ ح ٩٠.

وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَأَصْطَفَانِي بِالرُّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبَرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا

علياً «عليه الصلاة والسلام» حيث كان إماماً على الزهراء (ع) اقتضى الأمر أن يكون هو المتكلم مع رسول الله (ص) وأما الحسنان (ع) فهما في الرتبة بعدهما (ع)، ولذا قال الإمام الحسين «عليه الصلاة والسلام» :

فأبي شمس وأمي قمر
وأنا الكوكب وابن القمرين^(١)
وقال (ع) : «أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني»^(٢)، هذا بالإضافة إلى الإحتمال الأخير المذكور آنفاً.

«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَأَصْطَفَانِي بِالرُّسَالَةِ نَجِيًّا»
«مَا ذُكِرَ خَبَرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا»

التأكيد في البحوث العقائدية

مسألة : يستحب التكرار والتأكيد في البحوث العقائدية ومطلق المطالب الهامة^(٣)، كما أكد النبي (ص) ههنا قائلاً مرة ثانية : «والذي...» .
والتأكيد يكون للإبلاغ وتركيز الموضوع في ذهن أكثر فاكثراً وإتماماً للحجة

(١) بحار الانوار : ٤٨/٤٥ ب ٣٧ .

(٢) بحار الانوار : ٣/٤٥ ب ٣٧ .

(٣) وقد سبق الإشارة إليه .

.....

وقطعاً للعذر.

دور التكرار في الأمور الغيبية

وكما انه ينبغي سقي الاشجار كل يوم حتى تثمر بعد حين، كذلك يلزم التكرار في الإرشاد والتوجيه والهداية حتى يثمر خيراً في النفس او في البدن لنفسه او للغير.

ولذا كرر في القرآن الحكيم: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾^(١) وشبهه.

ولذا كان التوجيه نحو تكرار الدعاء الكذائي او الذكر المعين حتى تتحقق النتيجة المطلوبة، كما ورد في الروايات.

وفي حالة عدم امكان التكرار او صعوبته او ما اشبه ذلك فالظاهر الإكتفاء بالممكن ولو المرة وستتحقق كل الآثار احياناً وبعضها احياناً أخرى.

فقد ورد ان نوحاً عليه السلام لما خاف على السفينة الغرق، أمره الله سبحانه ان يقول: «لا إله إلا الله» ألف مرة، ولما اشرفت السفينة على الغرق، ورأى ان الوقت لايسع لتكرار الالف، علمه الله سبحانه ان يقول: «لا إله إلا الله ألف مرة».

وورد في حديث في باب زيارة عاشوراء ان يقرأ الإنسان اللعن والسلام مرة واحدة ثم يقول بعد كل منهما: (مائة مرة).

ومنها، ملاكاً والغاء للخصوصية ولإرشاد العقل لذلك، يفهم العموم. وقد ورد في الحديث ان رسول الله ﷺ ربما كرّر الكلام للسان ونحوه

(١) الرحمن .

وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ

ثلاث مرات.

وفي حديث ان فاطمة «عليها السلام» كررت الإجابة على سؤال السائل إلى عشر مرات.

وقال ابن سينا : طالعت الكتاب الفلاني أربعين مرة حتى فهمته.^(١)

«وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ»

تجمع المهمومين لأجل الدعاء

مسألة : يستحب تجمع المهمومين والمغمومين وأصحاب الحوائج لأجل الدعاء. وإطلاق «يد الله مع الجماعة»^(٢) يشملها، ولا وجه للإنصراف.

وهو اقرب لانكسار القلب وادعى للإجابة، ولذلك لما دعى أصحاب يونس (ع) وتضرعوا وهم مجتمعين استجاب الله تعالى دعاءهم.

والفرق بين الهم والغم :

ان «الهم» ما يهم ويهتم الإنسان بفعله مما هو لصالحه أو لصالح غيره، وربما يعمم، كزواج ولده وتأسيس معمل ومكسب له أو لنفسه وطلب العلم وشبه ذلك، ومنه ما يهم بفعله للوصول إلى مقصده.

و«الغم» ما يغمه كأنه غطاء على قلبه، ويطلق على ما ابتلي به الإنسان من

(١) ومن الإستطراد انه ما نسب الى ابن سينا من شرب الخمر تهمة اقترفها بعض المؤرخين المنحرفين ووقع فيها من لا اطلاع له من المؤمنين ومثل ذلك كثير في التاريخ.

(٢) نهج الفصاحة : ص ٦٤٦ ح ٣٢١١، وفيه : «على الجماعة».

.....

المشاكل وذلك كغم المريض وكغم الفقير وكغم المسجون وما أشبه ذلك.
ولقد كان من المتداول سابقاً وكنا نرى كثيراً مجالس عامة تعقد للدعاء عند حلول بلية نازلة سماوية أو أرضية بحيث كان يظهر على البلاد ذلك كطابع عام وكان ذلك من أسباب انكشاف المهوم والغموم، ولعل من أسباب زيادتها الآن قلة مجالس الدعاء والتضرع العامة.

التفريغ عن المهوم

مسألة : يستحب التفريغ عن المهوم وهو الذي يهمل بامر ولا يتمكن عليه أو هو بحاجة إلى من يعينه فيكون الإنسان عوناً في أن يفرج همه، وهذا من المستحبات الأكيدة، ويدل عليه بالإضافة إلى هذا الحديث أحاديث متعددة^(١).
فإن الله سبحانه خلق الإنسان وجعل له حاجات واهتمامات روحية وجسمية فردية واجتماعية، ولا يستطيع أن ينال كثيراً منها بمفرده فجاء الأمر الإلهي بمساعدة الإنسان في الوصول إليها، فمن ساعد كان له أجران : أجر أخروي وأجر مساعدة الناس له في التفريغ عن همومه أيضاً كأثر وضعي لعمله، «فمن كفّ يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيادي كثيرة»^(٢) كما في كلام علي عليه السلام.

والحياة بالتعاون تتقدم إلى الامام في مختلف أبعادها^(٣) ولذا قال سبحانه : ﴿تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(٤) والمراد أن يعين

(١) راجع «الفقه : الآداب والسنن» .

(٢) راجع بحار الانوار : ٥٣/٧٥ ب ٤٢ ح ٩ .

(٣) راجع «الفقه : الاجتماع» و«الفقه : السياسة» .

(٤) المائدة : ٢ .

وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ

بعضهم بعضاً.

والفرق بين: «أعان» و«عاون» و«تعاون»: ان الأول من جانب واحد، والثاني من الجانبين مع تقدم أحدهما على الآخر، والثالث من الجانبين بشكل متزامن دقة أو عرفاً.

ولا يخفى ان كل الأقسام الثلاثة من المستحب وإن كان الثالث أفضل.

والبر : عمل الإنسان بالنسبة إلى الغير.

والتقوى : عمله بالنسبة إلى نفسه.

وربما يستفاد من الحديث ان غير الإنسان - كالجن - ايضاً قد يبتلى بهم والغم والحاجة، لانه (عليه السلام) قال: «وفيهم» ومرجع الضمير إلى من هو من أهل الأرض، وقد علمت شمول أهل الأرض لغير الإنسان.

«وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ»

كشف الغمة وأقسامها

مسألة : يستحب كشف غم المغموم، وقد ذكرنا الفرق بينه وبين الهمّ وانه يسمى «غمّاً» لانه كالشيء الذي يغطي شيئاً آخر، ومنه «الغمام» للسحاب، و«الاغم» لمن غطى شعر راسه جبهته، إلى غير ذلك، و«الغم» يغطي قلب الإنسان بغطاء من الحزن.

ثم لا يخفى ان «الغم» قد يكون سببه الإنسان نفسه، وقد يكون سببه الأمور التكوينية الطبيعية التي لا بد وأن تعترى الإنسان مهما كان، ولكشف

.....

كليهما أجر وأهمية، إلا أن الثاني أهم، وأما لو كان الإنسان بنفسه سبباً وكان حله بيده، فلا يكن لكشف كربته تلك المنزلة.

فإن الدنيا «دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة»^(١) كما قاله علي عليه السلام، والأقسام أربعة:

إذ الإنسان بطبيعته يمرض ويهرم ويفتقر، أو يكون جاره جار سوء، أو تكون له امرأة أو لها زوج غير صالحين، إلى غير ذلك، وهذه طبيعيات. كما قد يكون هو بنفسه سبب وقوعه في المشكلة.

وفي هاتين الصورتين قد لا يكون قادراً بنفسه على حل المعضلة فيتاكد حينئذ استحباب مساعدته، وقد يكون قادراً على حلها بأن كان الحل بيده من أي الصورتين كان، كما إذا تمرض بسبب موجة برد فجائية أو بحادث اصطدام، وكان بإمكانه علاج نفسه، وكذلك لو عرض نفسه اختياراً للإستبراد أو الوباء، بمعرفة واختيار حتى تمرض وكان العلاج بيده، فإنه وإن استحب مساعدته إلا أن الإستحباب أضعف مما لو لم يكن قادراً، وهذا التقسيم - بلحاظ الشدة والضعف في الإستحباب - يفهم عرفاً من نفس النصوص بالإضافة إلى بعض الملاحظات:

مثل «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»^(٢) فالامر أشد في هذه الصورة للإضطراب وعدم قدرته على الدفع عن نفسه.

ومثل ما ورد من أن جماعة لا يستجاب لهم دعاء لأن علاج مشكلتهم بأيديهم، إلى غير ذلك، وكيف كان فإن كشف الغم وإن كان مطلقاً مستحباً إلا أن بعضه أكد من بعض.

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٦.

(٢) بحار الأنوار : ٢٨/٧٥ ب ٧٩ ح ١ .

وَلَا طَالِبُ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ

سوق الناس إلى الله

مسألة : ينبغي سوق الناس إلى الله تعالى وبيان ان الله سبحانه هو الذي يفرّج الهم (وفرّج الله همّه) ويكشف الغم (وكشف الله غمه).
فإن أزمة الأمور طرأ بيده تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١)
﴿والذي هو يطعمني ويسقني وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾^(٢) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾^(٣).

«وَلَا طَالِبُ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ»

طلب الحاجة وانه مقتض

مسألة : يستحب طلب الحاجة من الله سبحانه والالتجاء إليه في كشف
الهم والغم بالتوسل بأهل البيت عليهم السلام الذين هم الوسائط إلى الله تعالى والوسائل
إليه ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾^(٤) ولذلك كان «وقضى الله حاجته» نتيجة طبيعية
لقراءة هذا الحديث الشريف الذي يدور محوره حول منزلة أهل البيت عليهم السلام

(١) الانفال : ١٧ .

(٢) الشعراء : ٧٩ - ٨٢ .

(٣) الانعام : ١٨ .

(٤) المائدة : ٣٥ .

.....

ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكرنا في بعض مباحث هذا الكتاب أن أمثال هذه القضايا من القضايا الطبيعية التي لا يلزم أن تكون كلية، بل إن حالها حال كثير من الأمور الأخر كقولهم: إن العقار الفلاني دواء للمرض الكذائي أو إن فلاناً مهندس للبناء أو خبير اقتصادي أو إحصائي في الزراعة أو ما أشبه ذلك حيث لا يلزم الكلية. وكثيراً ما يستعمل الدواء ولا يرفع الداء وكثيراً ما يقدم المهندس خريطة للبناء أو الخبير الاقتصادي مخططاً للبلاد ولا يكون مصيباً، وهكذا، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للأمور الدنيوية شرائط وعلل معدة وموانع وخصوصيات إذا حققها الإنسان جميعها تحققت النتيجة، وإلا فلا، والدعاء ونحوه من هذا القبيل فهو مقتض للإجابة لا علة تامة.

فلا يقال: كيف يدعى عند رأس الحسين عليه السلام ولا يستجاب مع أنه ورد: استجابة الدعاء تحت قبته ^(١)، أو يستعمل تربته الشريفة ولا يتحقق الشفاء مع أنه ورد: «الشفاء في تربته» ^(٢)، إلى غير ذلك من الأسباب الواقعية والأسباب الظاهرية.

وغير خفي أن السعادة الدنيوية - بل الأخروية - قوامها: تفريج الهم، وكشف الغم، وقضاء الحاجة، وقد تكفلها الله تعالى جميعاً ببركة حديث الكساء.

(١) بحار الأنوار: ٢٨٦/٣٦ ب ٤١ ح ١٠٧.

(٢) نفس المصدر.

استحباب قضاء الحاجة

مسألة : يستحب قضاء حاجة المحتاج ، فإذا قال : اسقني الماء ، وهو على المائدة ، كان سقيه قضاءً للحاجة وإن لم يسم تفريج الهم ولا كشف الغم.^(١)

وقضاء الحاجة أعم من الأمرين السابقين (كشف الهم والغم). ولا فرق في ذلك بين الحاجات الدنيوية أو الأخروية .

ولا يبعد أن يكون قضاء حاجة غير المسلم - كإدخال السرور على قلبه -^(٢) ايضاً مندوباً وإن كان في المسلم أولى ، ويؤيده الإطلاقات ، أما التقييد بالمؤمن ونحوه في بعض الروايات فلا يقيدها لانهما مثبتان على الإصطلاح الأصولي^(٣).

كما يؤيده قضاء النبي (ص) والائمة (ع) حاجات غير المؤمنين ، كما ورد في تفسير سورة المنافقين من ان الرسول (ص) أعطى بعض ملابسه لعبدالله بن أبي لما طلب منه ذلك. وفي موارد أخرى دلالة على ذلك ولو بتنقيح المناط.

(١) النسبة بينهما عموم من وجه .

(٢) قد سبق بعض البحث عن إدخال السرور تحت عنوان : «بشارة الغير وإدخال السرور» .

(٣) المطلق والمقيّد إذا كانا متخالفين بالسلب والإيجاب قيّد أحدهما الآخر كما في «أكرم العالم» و«لا تكرم العالم الفاسق» ، أما إذا كانا متوافقين في السلب والإيجاب فلا ، بل يكون المقيّد أشد في المطلوبة كما لو قال : «أكرم العالم» و«أكرم العالم الفقيه» و«أقم الصلاة» و«أقم صلاة الظهر» ، راجع «الأصول» للإمام المؤلف .

فَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) إِذَنْ وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا

«فَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) إِذَنْ وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا»

مسألة : يستحب وقد يجب - حسب المراتب - السعي لتحقيق الفوز، للنفس وللغير .

ففوزهم (عليهم السلام) كان - اضافة للجانب الذاتي - لاجل انهم واسطة الخير والفيض .

وفوز شيعتهم لانهم (عليهم السلام) بسبب تمسكهم بالائمة الهداة (عليهم السلام) ينالون خير الدنيا والآخرة وحوادثهم فيهما .

فإن علمهم (عليهم السلام) بفوزهم وفوز شيعتهم ببركة هذا الاجتماع الرباني اوجب عقدهم ذلك الاجتماع التاريخي ، لما ورد من «انهم (عليهم السلام) عالمون بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم لقيامة» بتعليم الله سبحانه لهم .

علم الغيب وتأثيره في سلوك المعصومين (عليهم السلام)

لا يقال : إذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم بأن اللحم مسموم فلماذا مضغه؟

ولماذا ذهب الإمام علي (عليه السلام) للصلاة وهو يعلم بأن ابن ملجم يريد قتله؟

ولماذا شرب الإمام الحسن (عليه السلام) السم؟ إلى غير ذلك .

لانه يقال : علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية لا تغير سلوكهم وبرنامجهم الفردي والاجتماعي وإلا لم يكونوا أسوة، ولما تحقق الإمتحان، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان

.....

قادراً - بإذن الله تعالى - على أن يقلب الحصى جوهراً ويخرج بذلك نفسه وأصحابه من الفقر، إلى غير ذلك من الاشباه والنظائر.

وكذا لو كان المقرر أن يؤثر علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية في تغيير المقدرات الإلهية ومقتضيات عالم الإمكان لكان الإمام الحسين عليه السلام قد أوجد الماء لأصحابه وأهل بيته عليهم السلام، بل حتى لو أشربوا السم وضربوا بالسيف، كانوا سيجدون الحل الناجح غيبياً، وكذلك لما بكى الإمام الحسين «عليه الصلاة والسلام» لفقد ولده عليه السلام وهو يرى أنه دخل جنات عرضها السماوات والأرض.

وكذا حال الأنبياء عليهم السلام وإلا لكان إبراهيم عليه السلام قضى على غرود بإشارة من يده، ولاحث عيسى عليه السلام بينه وبين اليهود سداً حتى لا يتمكنوا منه، ولم تكن حاجة لأن يرفعه الله تعالى إلى السماء، وكذلك كان يقضي موسى عليه السلام على فرعون بآدى ذي بدء دون حاجة إلى إيقاع النفس في مخاطر ومتاعب جسيمة والجهاد لعشرات السنين قبل التيه ومعه وبعده.

ولكان الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف» يظهر ولا يتمكن عدو من النيل منه، مما يضطره إلى التستر، كما في الأحاديث من أنه عليه السلام تستر تحفظاً على نفسه من الطغاة.

أما ما ظهر من المعجزات والكرامات فكان بقدر معين بحيث يكفل إقامة البرهان على ارتباط هذا الرسول عليه السلام ووصيه عليه السلام بإله الكائنات، وبحيث يتم الحفاظ على أصل الرسالة دون أن تمحى نهائياً، وشبه ذلك، وأما ما عدا ذلك فيدخل في عالم الأسباب والمسببات الطبيعية.

وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر.

أبواب الجنة والنار

لا يخفى ان التشيع كالايمان يؤثر ويتحكم ويرتبط بثمانية موضع من الإنسان وهي:

١ - الباصرة .

٢ - السامعة .

٣ - الذائقة .

٤ - اللامسة .^(١)

٥ - الفرج ، حيث انه وإن شملته اللامسة من وجه لكنه لكثرة الإبتلاء به وخطورته وصعوبة التحكم به ، عدّ واحداً في قبالتها .^(٢)

٦ - البطن .

٧ - الإعتقاد والفكر .

٨ - النية .

فإن كل واحد من هذه يمكن أن يستخدم للخير أو الشر ، وكلها باستثناء الأخير يمكن أن تدخل الإنسان في الجنة أو في النار ، ولعلّ السرّ في أنّ للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب هو هذه الجهة ، حيث ان نية السوء بما هي هي لا تؤدّي بالإنسان إلى النار ، كما حقق في بابهِ وذكرناه في الأصول ، أما الابواب السبعة الأخر فمن الممكن أن تؤدّي بالإنسان إلى النار ، ونية الخير من أبواب

(١) اما الشامة فلا مدخلة لها إلا نادراً جداً - كشمّ الطيب في الحج - .

(٢) قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون : ٥] .

.....

الجنة.

وأما الإعتقاد : فمن الواضح ان التفكير والإعتقاد قد يجرّ إلى النار كالإعتقاد بالباطل في الأصول، وقد يؤدّي بالإنسان إلى الجنة، وذلك كالتفكير في أمور الخير ولاجلها وفي أصول الدين والإعتقاد بها.

والإنسان الذي يرغب في دخول الجنة وسعادة الدنيا والآخرة لابدّ من ان يجنّد كل المجالات الثمانية في الإمتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر أهل البيت «صلوات الله عليهم أجمعين» والتي تنبثق من أوامر الله تعالى أيضاً، بل هي هي لقوله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾^(١) ولما ورد : «أهل بيت النبوة وموضع الرسالة»^(٢).

وأما العقل فليس علة مباشرة بل بسبب إحدى السوابق وإن كان هو لا يتوجه بذاته إلا إلى الله وإلى أوامره.

أما من يصرف بعض مواضع السبعة في معصية الله ومعصية أوامر رسله وأوصيائهم «عليهم الصلاة والسلام» فهو يفتح على نفسه باباً أو أكثر إلى النار، أعاذنا الله منها.

هذا كله حسب الإحتمال، ولكن في بعض الروايات إشارة إلى ما يظهر منه توزع أبواب الجنة حسب الصفات النفسانية، إذ ورد ان أبواب الجنة منها باب الرحمة ومنها باب الصبر ومنها باب الشكر ومنها باب البلاء، والباب الأعظم لأهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عزوجل المستأنسون به^(٣).

(١) النجم : ٣ - ٤ .

(٢) «زيارة الجامعة الكبيرة» .

(٣) راجع أمالي الصدوق : ص ١٧٧ ح ١ «المجلس الثامن والثلاثون» ط بيروت.

.....

وهناك روايات أخرى تشير إلى ان أبواب الجنة الثمانية متعددة بلحاظ أصناف الافراد :

«ان للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغض أهل البيت عليهم السلام»^(١) ولعل ذلك بعد امتحانه في الآخرة.

وهناك طائفة ثالثة من الروايات من أمثال : «من صام من رجب يوماً واحداً من أوله أو وسطه أو آخره أوجب الله له الجنة وجعله معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن صام يومين من رجب قيل له استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى، ومن صام ثلاثة أيام قيل له : قد غفر لك ما مضى وما بقي فاشفع لمن شئت من مذنبى اخوانك وأهل معرفتك، ومن صام سبعة أيام من رجب أغلقت عليه أبواب النيران السبعة، ومن صام ثمانية أيام من رجب فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخلها من أيها شاء». ^(٢)

وغير خفي ان أمثال هذه انما هو بنحو المقتضي.

وروايات تقوم بالتوزيع حسب نوعية الوظيفة والمسؤولية التي قام بها الشخص، فمثلاً : «ان للجنة باباً يقال له باب المجاهدين...»^(٣) و«ان في الجنة باباً يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون»^(٤).

(١) الخصال : ٢/٢٤٠٨ ح ٦ «باب الثمانية» ط قم.

(٢) أمالي الصدوق : ص ١٥ ح ١ «المجلس الثاني» ط بيروت.

(٣) بحار الانوار : ١٨٦/٨ .

(٤) بحار الانوار : ١٩٤/٨ .

.....

وهناك روايات تشير إلى أعداد أكبر فقد قال رسول الله ﷺ : «...ان للجنة احد وسبعين باباً...وطبقاتها ثمانية»^(١).

وقد يجمع بين هذه الروايات بأنحاء :

منها : ان هنالك أبواباً رئيسية وأخرى فرعية ، فالأبواب الرئيسية ثمانية في كل واحد منها العديد من الأبواب الصغيرة.

ومنها : ان الأبواب الثمانية وكذا السبعة يراد بها طبقات بعضها فوق بعض كما في بعض الروايات ولكل منها أبواب.

ومنها : ان للأبواب جهات عديدة وحشيات مختلفة أو مراتب متعددة.

ومنها : ان ما كان بلحاظ الصفات أو الاعضاء يتطابق مع ما كان بلحاظ الافراد ولو باعتبار أبرزها ، فباب المجاهدين يتطابق مع باب الصبر مثلاً ، فالتعدد في العناوين والتطابق عموماً وخصوصاً مطلقاً أو من وجه في المصاديق.

ويمكن إدراج ما ذكرناه من التقسيم بلحاظ الاعضاء في تلك العناوين الأخرى أيضاً^(٢) فتأمل.

(١) كفاية الموحدين ٣/٢٧٦ الفصل الثامن عشر في أوصاف الجنة .

(٢) مثلاً : الصبر يشمل صبر اللامسة والسامعة والباصرة و... عن معصية الله وهكذا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن اللامسة محطة للشكر والبلاء والصبر و... فكل من مفردات الطرفين تصلح محطة لكل أو غالب مفردات الطرف الآخر .

فَارِزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

«فَارِزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»

الضلالة والشرّ وضدهما ودور الله أو الإنسان فيها

مسألة : من المعلوم ان الإهتداء والفوز والسعادة الأخروية بل وحتى الدنيوية وعكسها بيد الإنسان نفسه بعد هداية الله سبحانه .

قال جلّ وعلا : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ .^(١)

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ .^(٢)

وقال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُمْ﴾ .^(٣)

وقال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ .^(٤)

ومعنى إضلاله سبحانه تركه . وشأنه ، من قبيل : أفسد الوالد ولده والحكومة الناس ، إذا تركت الحكومة الناس وشأنهم حتى يفسدوا وإن لم تقم هي بالتخطيط للإفساد بل كان مجرد تركهم ، وترك الوالد ولده حتى يفسد ، ولكن انما يكون ذلك بعد هداية الله وعدم قبول الإنسان للهداية كما فصلناه في بعض

(١) الروم : ٤١ .

(٢) الطلاق : ٢ .

(٣) الاعراف : ٩٦ .

(٤) الكهف : ١٧ .

.....

كتبنا الكلامية في بابي الضلال والهداية.

ثم ان الله سبحانه وتعالى لا يريد باحد شراً او سوءاً بل يريد الخير للجميع، كما لا يريد مشكلة لاحد بما هو هو، وبما هي هي، ولذا ورد في سورة القدر ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾^(١) فإن كل ما ينزل من السماء إلى الارض هي السلامة، وانما الناس - بسوء تصرفاتهم - يجلبون لانفسهم الشر كالفقر والمرض وما أشبه ذلك، فإنها بيد الإنسان نفسه او بيد بني نوعه وانما يوقع الإنسان نفسه في الشر بهذه الاسباب.

نعم قديكون السبب في ايقاع الإنسان في مشكلة : التكفير عن ذنوبه كي لا يتلى بالعقاب الاشد في الأخرى، او رفعة درجاته، كمن يوقع نفسه في مشاق السفر رغبة في الربح والتجارة.

وربما كان السبب في الوقوع في المشكلة الاثر الوضعي لتصرفاته هو فتكون المصائب التي ترى عليه نتيجة لذلك وإن لم يعلم هو بالترابط بي الامرين، ف«من زرع حصد» حنظلاً كان أم ورداً.

لا يقال : فماذا تقولون فيما ورد في الدعاء : «أكرمني بهوان من شئت من خلقك ولا تهني بكرامة أحد من أوليائك»؟^(٢)

فإنه يقال : مثالهما مثال من يطلب من قائد الجيش أن لا يرسله في المهمات الصعبة، بل يكلف غيره بها، فيما لا بد من خوضه لنجاة الجيش أو الشعب، فإذا كان هنالك هوان لا بد منه فإن هذا الداعي يطلب من الله سبحانه أن لا يكون هو الذي يُهان وغيره يُكرم، بل يكون هو المكرم وإن كان غيره يهان.

(١) القدر : ٥ .

(٢) بحار الانوار : ٢٧٥/٩٧ ب ٣ ح ١ .

وَرَبُّ الْكَعْبَةِ

والتعبير بـ«من شئت» قد تكون حكمته الإشارة إلى ان انتخاب البديل حيث كان من الله تعالى فإن من الطبيعي ان يُحلَّ الله سبحانه الهوان في المحل القابل وفيمن يستحق ذلك أو فيمن تقتضي الحكمة ذلك وإن لم يكن مستحقاً، وهذا الداعي وإن كان يستحق ذلك إلا انه بالدعاء يريد أن يرفع ذلك الإستحقاق أو تغيير وجه الحكمة فيما كان من قبيل ما هو مكتوب في لوح المحو والإثبات لا اللوح المحفوظ، وتفصيل هذه المباحث في الكتب الكلامية^(١) وانما اردنا الإلماع إليها حسب ما يقتضيه المقام.

«وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»

الكعبة ومكانتها

مسألة : يستحب التركيز على الكعبة المكرمة ومكانتها وتوجيه الناس إليها، وبيان ان للكعبة - زادها الله شرفاً - حرمة ومنزلة خاصة، ولذا أقسم علي عليه السلام برب الكعبة مرتين، ولم يقسم برب الصفا والمروة أو المزلفة مثلاً. والقسم برب الكعبة تركيز عليها وتوجيه إليها وتحريض على احترامها وبيان لعظمتها، وبذلك يلتف الناس حولها ويكونون بذلك قياماً في طاعة الله تعالى في مختلف شؤونهم: الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية

(١) راجع «شرح المنظومة» و«القول السديد في شرح التجريد» للمؤلف «دام ظله».

.....

والدينية وغيرها. ولذا قال سبحانه: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾^{(١)(٢)} وقال تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾^(٣).

(١) المائدة : ٩٧ .

(٢) راجع ايضاً كتاب «خواري عن القرآن ج ١ ص ٤١٩ فصاعداً» لآخ الإمام المؤلف، آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي «قدس سره» .

(٣) الحج : ٢٨ .

خاتمة

وفي ختام هذا الفصل نشير إلى ان الاحكام والعبر التي استنبطناها من حديث الكساء كانت عبر الإستناد إلى الدلالة المطابقة والتضمنية والإلتزامية ونحوها، كما المعنا إليه في المقدمة.

التدبر والتفكر والإستباط في القرآن

ويمكن أن يستخرج أكثر مما ذكرناه من الاحكام عبر «التدبر» و«التفكر» و«الإعتبار»، فقد ذكر الاول في القرآن الحكيم في أربع آيات، والثاني في ثمانية عشر موضعاً، والثالث في سبع آيات، والقرآن يؤكد على الإجتهد والإستباط، قال سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١).

ولذا أكثر من حديث «العقل» و«التعقل» وجاءت الإشارة إلى ذلك في تسع وأربعين آية.

وتحدث عن «القلب» - والمراد به ذلك أيضاً - في مائة واثنين وثلاثين آية. وعن «اللب» - وهو جوهر الإنسان وحقيقته والمراد به العقل أيضاً، مع اختلافهما في اعتبار ان العقل من العقال، واللب هو جوهر الشيء معرئ عن الحواشي وشبهها - في ستة عشر موضعاً.

وعن «النهي» - بمعنى العقل لانه ينهي الإنسان عن الرذائل - في اثنتين،

وعن «الفقه» في عشرين، وعن «الحكمة» في تسع عشرة آية، إلى غير ذلك.

تجسّم الأعمال

ولابأس أن نشير ههنا إلى أن ما ورد من أن الفكرة السيئة تفوح منها رائحة خبيثة، وما ورد من تجسّم الأعمال في الآخرة وفي القبر وما أشبه ذلك واضح، حتى حسب الموازين الطبيعية المتعارفة، فكيف بغيره فإن كل عمل يصدر من الإنسان حتى تفكره وسماعه ورؤيته وشمّه وذوقه ولمسه انما يكون من تحوّل المادة إلى الطاقة - على الإصطلاح - أي عبر تحوّل جزء من الطعام والشراب إلى قوة وطاقة تنشر في أرجاء الجسد وتعد وقود الأعمال والأفكار، فإن الأذن تأخذ نصيبها من الطاقة حتى تسمع، والعين كذلك حتى تبصر، واللسان حتى يتكلّم، والجسم حتى يلمس وهكذا.

ومن المعلوم أن تلك الاطعمة أجسام، والجسم قابل للتقلص والتمدد والتشكل والتلون والتغير والتحول، كما نشاهد في الفواكه وسائر المواليد^(١) حيث أن الماء والتراب والنور والهواء تتشكل من مليارات من المواد أو الجزيئات^(٢) والاطعمة والروائح والخواص، ولذا ورد أن المغتاب تقياً من فمه، وأن العمل يتجسّم كلباً إذا كان سيئاً، ومنع الزكاة يتشكل ثعباناً، وقد قال سبحانه: ﴿انما تجزّون ما كنتم تعملون﴾^(٣) ف«ما» هو الجزء لا سبب الجزء ولذا لم يقل «بما» فهو

(١) المواليد اصطلاح متداول في كتب الفلسفة سابقاً ويعني النبات والحيوان والإنسان .

(٢) كالـ «فوتون» - حسب العلم الحديث - .

(٣) الطور : ١٦ .

هو جزاء، إلى غير ذلك من الآيات والروايات والمؤيدات.
 وأولياء الله تعالى من الأنبياء والأئمة عليهم السلام وصالحى العباد، أمثال سلمان
 وربما مؤمن آل فرعون^(١)، يرون تلك الأشكال الواقعية، ولذا أحس الإمام
 علي عليه السلام بالرياح الشديدة من حركة الملائكة في ليلة بدر.
 ويمكن بإرادة الله تعالى تبدل الأجسام اللطيفة والواقعيات إلى أجسام كثيفة
 وشبهها كما جمع الإمام عليه السلام زغب الملائكة، وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا
 القدر، تقريباً لرؤيتهم وسماعهم واستشمامهم عليهم السلام لما لا ندرك.
 ولذا قال النبي يعقوب عليه السلام رغم كون البون بعيداً والمسافة شاسعة: ﴿إني
 لأجد ريح يوسف﴾^(٢).

للحواس والإدراكات درجتان

ومما ذكرنا يتلخص ما يلي :

الأول : ان الحواس الظاهرة ، والفهم والإدراك ، لها درجتان :
 الأولى : الدرجة الطبيعية المعهودة كرؤية البصر إلى مقدار محدد، وسمع
 السمع إلى مسافة وقدّر معيّن وهكذا، ويلحق بهذا القسم تطوير الحاسة بالمباشرة
 أو بواسطة كرؤية الأبعد بواسطة النظارة والتلسكوب مثلاً، وسماع الأبعد
 بواسطة المكبرة السمعية والاذاعية الصوتية.

(١) قال تعالى : ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين﴾ [يس : ٢٦ -
 ٢٧] والذي فسّره بعض الروايات بأنه رأى مكانه في الجنة.

(٢) يوسف : ٩٤

الثانية : الدرجة الغيبية كرؤية باطن الإنسان وحقيقته وسماع اصوات الملائكة والاموات، وهذه الدرجة تختص بأولياء الله سبحانه ممن اراد الله تعالى له ذلك وهكذا حال الفهم الطبيعي العادي والفهم الغيبي، فلفهم درجتان.

ظاهر الإنسان وباطنه

الثاني : ان الإنسان له ظاهر وباطن، فظاهره هذا الذي نشاهده وندركه بالآلة او بدون الآلة، وباطنه هو قلبه المثالي الداخل في هذا الجسم كدخول الماء في النباتات والحيوانات وشبهها، والزجاج في الحجر.

وذلك الباطن قد يكون متطابقاً مع الظاهر، وقد يكون متخالفاً معه، بان يكون ظاهره انساناً وباطنه قرداً او كلباً او خنزيراً حسب صفاته النفسية، ولذا رأى ابو بصير جملة ممن وقف بعرفات على غير صورتهم الإنسانية، وقال له الإمام (عليه السلام) : «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»^(١) إلى غيرها من الروايات المتواترة.

ويستفاد من بعض الروايات : ان الناس يحشرون يوم القيامة بتلك الصورة الباطنية حسب صفاتهم التي اكتسبوها في هذه الدنيا^(٢).

ومثال هذين الامرين : مثال من يقرأ الحمد وهو يفكر في تجارته او دراسته، فظاهره شكل وباطنه شكل آخر، او بالعكس يتاجر في محل تجارته وباطنه مشغول بالله سبحانه حيث يكون ظاهره عادياً وباطنه نورانياً، ولعل ما

(١) سفينة البحار : ٧١/٢ «باب الضاد» ط نجف .

(٢) راجع بحار الانوار : ٢٢٩/٦ .

ورد من «ان الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم»^(١) اشارة إلى هذين الامرين.

سبحان ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١٤١٤ هـ

(١) راجع بحار الانوار : ٧٠/٢٤٨ ب ٥٤ ح ٢١ .

الفهرس

٧	مقدمة المؤلف
١٠	لمحة عن عظمة الزهراء (عليها السلام)
١١	الولاية التكوينية والتشريعية
١٧	الولاية التكوينية للأنبياء والصالحين
٢٠	العلة للحدوث والبقاء
٢٣	الولاية التشريعية
٢٤	الامر بين الامرين
٢٦	من الادلة على ولايتهم (عليهم السلام)
٢٨	سلطة الهدم والبناء
٣٠	بين التصرف والصلاحية
٣٢	لا فرق بين حياتهم ومماتهم (عليهم السلام)
٣٦	شمولية علمهم وقدرتهم (عليهم السلام)
٣٨	بين العلم الغيبي والسلوك العملي
٤٠	الاحكام المستفادة
٤١	دروس من سيرتها (عليها السلام)

- ٤٥ وفي الختام
- ٤٧ الفصل الاول : أحكام مستفادة من حديث الكساء
- ٤٩ حديث الكساء
- ٥٣ سند الحديث
- ٥٤ استحباب الرواية
- ٥٥ رواية النساء
- ٥٧ رواية الرجال عن النساء
- ٥٩ رواية حديث الكساء
- ٥٩ تسمية المرأة
- ٦٠ صوت الاجنبية
- ٦٢ استحباب التلقيب
- ٦٤ توقيت الأمور
- ٦٥ ترتيب المطالب
- ٦٧ استحباب الإبتداء بالسلام
- ٦٨ السلام على فاطمة عليها السلام
- ٦٩ سلام الرجل على المرأة
- ٧٠ رد السلام
- ٧٠ الإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية
- ٧٢ الدعاء للمريض
- ٧٣ الإستعاذة بالله تعالى
- ٧٤ رفع الضعف الجسمي والنفسي
- ٧٥ امر الغير بإنجاز الحاجة

٧٦	قضاء الحاجة
٧٧	طاعة الاب
٧٨	النظر إلى وجه الاب
٧٩	النظر إلى وجه المعصوم عليه السلام
٨٠	ذكر الكرامات
٨١	التشبيه في الكلام
٨١	مزيد البيان
٨٢	تحديد الاحداث
٨٥	السلام على الأم و...
٨٧	التسمية
٨٨	خطاب الأم
٨٩	صيغ السلام المختلفة
٩١	مدح المؤمن وتوقيره
٩٢	اظهار المحبة للأولاد والاقرباء
٩٣	استحباب السؤال والتحقيق
٩٥	استعمال الطيب
٩٧	عدم التسرع في الحكم
٩٨	الإتيان باللقب
٩٨	بحث في مؤاخاته عليه السلام لعل عليه السلام
٩٩	الإجابة على الاسئلة
١٠٠	الوضوح والتعجيل والإيجاز
١٠٢	التوجه نحو العظيم

- ١٠٥ بحث في معنى السلام و...
 ١٠٧ الإستئذان
 ١٠٨ حق السبق
 ١١٠ شمول الولد للسبط
 ١١١ اظهار العطف للسبط
 ١١٢ بحث عن حوض الكوثر
 ١١٣ توقير الطفل وذكر فضائله
 ١١٤ والكبير ايضاً
 ١١٥ ذكر فضائل المعصومين ع
 ١١٦ الإستجابة للطفل ولغير المسلم
 ١١٧ رجحان التاكيد
 ١١٨ اجتماع الاقرباء
 ١٢٠ استيفاء البيان
 ١٢٢ تفضيل الولد الاصغر
 ١٢٣ الإعلام بالواقع
 ١٢٥ تكرار السلام
 ١٢٧ التفنن والتنويع في الكلام
 ١٢٨ أفراد الضمير وجمعه
 ١٢٩ الإعتقاد بالشفاعة
 ١٣٠ الشناء بالحق
 ١٣٢ الشفاعة للناس
 ١٣٤ استحباب التكنية

- ١٣٥ استحباب السلام على الزوجة
- ١٣٧ احترام الزوج
- ١٣٩ التعرف على حياة المعصومين عليه السلام
- ١٤١ التواجد بمحضر أولياء الله
- ١٤٣ الإعتقاد بالولاية
- ١٤٥ التركيز على الإعتقاديات
- ١٤٦ انتقاء الكلمات المحببة
- ١٤٧ الإستئذان مع العلم بالإذن
- ١٤٨ البضعة وأقسام الخطاب
- ١٥٠ اجتماع القلوب
- ١٥٢ الإشارة في الأمور الهامة
- ١٥٤ أنواع الإشارة وأحكامها
- ١٥٥ رفع اليد حين الدعاء
- ١٥٥ تقديم الميامن
- ١٥٦ استحباب الدعاء في كل الأحوال
- ١٥٨ الدعاء للغير
- ١٥٩ التوجه إلى الله عند اجتماع الأسرة
- ١٦١ معنى «أهل البيت» وإطلاقاته
- ١٦٣ تعميم الادعية
- ١٦٣ من هم الحامة؟
- ١٦٤ التركيز بوشائج القربى
- ١٦٥ دفع الأذى عن آل الرسول عليه السلام

- ١٦٦ مشاطرة العائلة همومهم وأحزانهم
- ١٦٧ ما هو ماء الولاية؟
- ١٦٨ مواجهة أعداء الرسول عليه السلام
- ١٦٩ مناصرة أولياءهم عليهم السلام
- ١٦٩ تحقيق في معنى العداة والمسألة
- ١٧٠ معاداة أهل البيت عليهم السلام
- ١٧١ تعاضد الأرحام
- ١٧٢ محبة أهل البيت عليهم السلام
- ١٧٣ المحبة ودورها في التكوين والتشريع
- ١٧٦ توثيق الترابط بين الأقرباء
- ١٧٧ الإحتمالات في «انهم مني وأنا منهم»
- ١٧٩ الولاية التشريعية والتكوينية
- ١٨١ التمهيد للدعاء
- ١٨٢ الصلاة على النبي وآله عليهم السلام
- ١٨٣ التنوع في الدعاء
- ١٨٥ الدعاء لأهل البيت عليهم السلام
- ١٨٦ علة تخصيصهم بالدعاء هنا
- ١٨٧ بحث في معنى الرجس والعصمة
- ١٨٩ الطهارة والتطهير
- ١٩١ كلام الله سبحانه
- ١٩٣ معنى العزة والجلالة
- ١٩٥ بيان الحقائق

١٩٥	سكان السماء
١٩٧	التذكير بعظمة الله
١٩٩	دحو الارض وحركتها
٢٠٠	التفصيل عند الخطاب
٢٠٣	المؤثر في الوجود هو الله
٢٠٤	الغاية من الخلقة
٢٠٦	محبة اهل البيت عليهم السلام
٢٠٧	محبة ذويهم عليهم السلام
٢٠٩	امتداد اصحاب الكساء عليهم السلام
٢١٠	اتباع الموضوع بذكر وصفه
٢١٠	الإعتقاد بأمانة جبرائيل
٢١١	استحباب النعت بالفضائل
٢١٢	الإذن في السؤال والدعاء
٢١٣	العلم والإستعلام
٢١٥	تقديم اكبر القوم
٢١٦	الجواب على مقتضى الحال
٢١٨	فاطمة عليها السلام حجة الله
٢٢٠	لماذا جعلها الله محوراً؟
٢٢١	الحركة الدورانية للمخلوقات والمحور الرئيسي لها
٢٢٣	معادن الثروة المعنوية
٢٢٥	الجمع والجماعة
٢٢٦	الإستئذان من ذي الحق

- الإلتحاق بركب المتقدمين ٢٢٨
- أهمية هذا الإجتماع الرباني ٢٢٩
- الإذن من ذي الحق ٢٣٠
- وصف الله بالعلي الاعلى ٢٣٣
- تعظيم الله ٢٣٤
- ارسال السلام عبر الواسطة واحكامه ٢٣٤
- جواز حذف بعض الحديث المنقول ٢٣٦
- التحية والتكريم ٢٣٧
- القسم وموارده ٢٣٩
- النقل باللفظ أو بالمعنى ٢٤١
- التذكير بالتكرار ٢٤٢
- المعصومون عليهم السلام أعظم وأجلّ من الكون ٢٤٢
- الإستئذان طويلاً ٢٤٥
- سلام غير الإنسان ٢٤٦
- التأكيد ٢٤٦
- التجمع قوة وفائدة ٢٤٧
- التمايز بين القرآن وغيره ٢٤٨
- عصمة المعصومين عليهم السلام ٢٤٩
- إشارة لآية التطهير ٢٤٩
- إذهاب الرجس عن النفس ٢٥١
- تطهير الباطن والجوهر ٢٥٢
- استحباب السؤال لتعليم الغير ٢٥٣

- ٢٥٤ اجتماع ذوي الفضل و... ..
- ٢٥٥ الهدفية في الاعمال وقصد القربة
- ٢٥٧ اقسام الجلوس
- ٢٥٨ التاكيد على حقانية افعاله تعالى
- ٢٥٩ التاكيد على نبوة الرسول ﷺ
- ٢٦٠ ذكر الخبر في المحافل
- ٢٦٢ استحباب مطلق تلاوة هذا الحديث
- ٢٦٤ استحباب التجمع والمراد بالحب
- ٢٦٥ اقسام التجمع
- ٢٦٧ انواع الذكر والتلاوة
- ٢٦٨ لماذا هذا الاجر العظيم؟
- ٢٦٩ التمهيد لنزول الملائكة
- ٢٧٠ نوعية تواجد الملائكة
- ٢٧٢ استحباب الإستغفار للآخرين
- ٢٧٣ الإستغفار
- ٢٧٣ التسبب للإستغفار
- ٢٧٥ استحباب اللبث في مجالس الخير
- ٢٧٦ الحلف على عظام الأمور
- ٢٧٧ رجحان مدح النفس!
- ٢٧٩ التمسك بمذهب اهل البيت ﷺ
- ٢٨٠ بشارة الغير وإدخال السرور
- ٢٨٣ القسم بالله وبمخلوقاته

- ٢٨٤ توجيه الكلام للمشاكل
- ٢٨٥ فسح مجال الحديث للأكبر أو الاعظم
- ٢٨٦ التاكيد في البحوث العقائدية
- ٢٨٧ دور التكرار في الأمور الغيبية
- ٢٨٨ تجمع المهمومين لاجل الدعاء
- ٢٨٩ التفريج عن المهموم
- ٢٩٠ كشف الغمة واقسامها
- ٢٩٢ سوق الناس إلى الله
- ٢٩٢ طلب الحاجة وانه مقتضى
- ٢٩٤ استحباب قضاء الحاجة
- ٢٩٥ علم الغيب وتأثيره في سلوك المعصومين عليهم السلام
- ٢٩٧ أبواب الجنة والنار
- ٣٠١ الضلالة والشر وضدهما ...
- ٣٠٣ الكعبة ومكانتها
- ٣٠٥ خاتمة
- ٣٠٦ تجسم الاعمال
- ٣١١ الفهرس

